

نورالدين يوسف نورالدين

الشعراء الثلاثة

أبو الطيب المتنبي
أبو العلاء المعري
الشريف الرضي

دراسة - تحليل - منتخبات

obeikandi.com

المقدمات

في تاريخ الفكر الانساني ، حروف ضخمة ، احتلت مكانتها
بجدارة ، ومقدرة ، واستحقاق ، وتفتحت امامها ابواب العبقورية
فانخلود .

وحتى الان ، والى الابد ، لن يتحجر الفكر الانساني ،
ولن تعدم العبقورية سبيلاً الى الانطلاق ، بل تخطت سنة التطور
كل حواجز الرجعية ، وحطمت افكار الانسان ، صروح الظلم ،
ودكت معالم الاصنام والعبودية .

ودائماً الانسان ، ذلك القبس الملهب من حيوية ، ونشاط ، وتطلع .
ودائماً قلب الانساب . ذلك الوتر الذي عزف ، ويعزف
اعزب الحان الجمال ، والظير ، والحق .

ودائماً عقل الانسان ، ذلك الميزان ، الدائم العمل ، والدائم
التفتيش عن الحقيقة ، والمجدد قيم التقدم والابداع .
ثم نفس الانسان ، وبله منها ، تلك الدابة الحرون . المستغضة
دائماً ، الانانية ابدا .

اذن ، هو الانسان ، هم الناس ايضاً ، ونحن هنا نتحدث عن بعضهم ،
عن بعض الذي شغلوا الناس ، شغلهم في عصرهم ، وفي العصور التي تلت ،
وحتى هذا الوقت ، وستبقى آثارهم شغل الناس في العصور اللاحقة ايضاً .
ولست اول من تحدث ، كما اني لست آخر من سيتحدث عنهم ،
ولكنني مع كل هذا سأحاول جاهداً ، ان اوضح ما غمض من تلك
الجبلة الواضحة الغامضة .

من اقصى الامور على النفس ، ان تكون انت التاريخ ،

التاريخ : ما هو ؟ هل هو الزمن ؟ ام الانسان ؟
فالتاريخ هو الانسان ، الانسان المتفوق ابداً ، المتفجر قوة
وعزماً وبطولة واقتحاماً للصعاب

انه لمعات الفكر المجدد الباعث . انه التغير المفاجيء الذي
يقضي على الهود والتحجر . انه السفر الذي يشع من سطوره
لألاء الحضارة ويهزجها . انه الابداع الفعلي الذي يرسم ويخطط
ويبنى وينشيء لما نسميه ، ولما يسميه الناس ، الاجيال .

لهذا قلت ان من اقصى الامور على النفس ان تكون انت
التاريخ . انت يا من ستتعرض يوماً لقسوة التاريخ وعذله .

مع كل هذا ، كن جريئاً وجديراً بأن تكون حرفاً من
حروف . او كلمة من كلمات ، او سطوراً من سطور ذلك السفر العظيم .
ونحن الآن امام ثلاثة حروف ضخمة محفورة في قلب صفحة
من صفحات ذلك السفر حيث نود ان نتيج لأنفسنا فرصة الوقوف
على الحيز الزمني والمكاني الذي احتملته هذه الحروف ، والذي
اطلت منه على البشرية ، بالومضات الصاعقة ، والحوالد العاصفة .
حرفنا الاول حسب التسلسل الزمني هو المتنبي .

المتنبي ، ذلك الحرف الكبير في تاريخ الادب العربي . بماذا
ينبئنا ذلك الحرف ؟ وهل استطاع المتنبي ان يجلس في المسكن
العالي من التاريخ الذي تنطح له ، وطمح اليه ، واراد ان
يكون فيه ؟ وهل اعد الزاد الملائم لتسم مثل هذا المكان ؟

الحقيقة ، ان المتنبي كأكثر رجال التاريخ ومفكويه ، يتميز
بشيء من الجسارة التي لا تعرف الكلال ، وبحظ عظيم من الذكاء
اللواع الذي هم ابداً الارتفاع ... والارتفاع ... وبموهبة شعورية
وقنية استخدمها للوصول الى ما دفعته اليه جوارته وحزمه وتطلعه

الى القمم والقلال . لأنه لا يكفي لمن يبغيون الخلود ، ودخول التاريخ من رتاجه الكبير ان يقصروا زادهم على الموهبة وحدها ، وانما يجب ان تلازم الموهبة اندفاع الرجل بجوأة وجسارة وقوة فيما يندفع اليه ، وفيما يريد ان يبلغ من اهداف قد تكون هوساً وجنوناً وانسياقاً في اللامعقول ...

هكذا دخل المتنبي باب التاريخ ، وخط في صفحته حروفه الضخم . ونأتى الى الحرف الثاني ، وهو حرف بمائل للحرف الاول من بعض الوجوه ، ومختلف عنه من وجوه أخرى . ولكنه يلتقي معه في الثورة ، والايغال في الهدم والتمرد ، ويزيد عليه تعقلاً ودراية وتفلسفاً ، وعرضاً لمشاكل الحياة وقضاياها الوجودية والغيبية ، ذلك الحرف الذي لا يقل عن الحرف الاول ضخامة هو ابو العلاء المعري .

اما الحرف الثالث ، فلا يقل عن الأولين ثورة ، ورجولة وعموداً ، ولكنه يزيد عليهما افتتاناً بالجانب الضاحك من الحياة ، فهو يغني ويشدو ، كما تشدو البلابل ، ويتزعم بروائع تبعث في النفس الانسانية الشعور باللذة والموج ، اللذين رغب فيهما الشريف وأثرهما ايثاراً لا يخلو من الشدة .

ثلاثة حروف ، نستبين منها ثلاثة رجال جثموا فوق رقاب الاجيال الزاحفة ، واجبروها على الاعتراف لهم بالقدرة المتحدية الزمن ، غير الهيابة ، وغير المتعاصاة عن امر جلال ، والمستهيمنة بكل بغي وظلم ، والناشوة كل عدل وحق ، والمستخفة بكل مشقة وتعب .

اذن الانسان ، ذلك الجبار القزم ، ذلك الذكي الغبي . سيبقى

دائماً امثولة الدنيا ، وكتاب التاريخ .
فيخلد من بني الناس من شذ عن قاعدة الحياة العادية ، ويبقى
مجهولاً من اقبع ذلك « الروتين » العادي لسير الانسان في ركب
هذه الحياة .

وطرق الخلود كثيرة ، وانواعها ومسالكها متباينة ، ومن
هذا ، قد يخلد التاريخ فاجراً سفيهاً ، عريداً ، وعدواً للقيم التي
يقدمها الانسان ، وتؤمن بها البشرية .

وقد يتنكر لعبقري عظيم كرس نفسه ووقته للانتاج الخير
الخصب .

انه الانسان ذلك الذي يصنع التاريخ ، وافهاله تلك التي تكتب
كلماته ، واذا عرفنا ما في الانسان من متناقضات واهواء ، منها الخير
الرفيع ، ومنها المنحط الوضع .

واذا عرفنا ما في اعماله من غرائب وشواذ ، لأدركنا ما وصل
اليهنا عن الاجيال السالفة ، ولاكتشفنا ما يحيط بنا من امور
عجيبة قد يعجز عن حلها العقل الذي آمن به المعري ايماناً
مطلقاً .

ولكن ذلك السر الذي صنع التاريخ والانسان معاً ، سيبقى
الستار الذي يحجب عن الانسان المعرفة التامة ، فالسعادة القصوى .
والذي يلجمه عما يدعي به من التسلط ، والسيطرة ، والقدرة .

وسيبقى الانسان واحالة هذه ، اي انسان . سيبقى الحرف
الدائم السمي والعمل لاحتلال مكانه في عالم نجده اوسع من ان
تشغله عبقریات الرجال . وسيبقى الانسان وعالم الانسان ضعيفاً
بسيطاً امام تلك القدرة الجبارة العلمية .

ولكنه الخلود ، والشعور بالتفوق في هذه الدنيا ، انشودة

الرجال ، ومطلب النفوس ، ومسعى العقول ، والهدف الذي
يجتهد الانسان في سبيله كل ما في كيانه من قوى .

فليكن الخلود والوصول الى مرتبة الخالدين في عالم الفكر
والفن والاختراع والوطنية ، غاية كل فرد ، فبذلك الابداع ،
وهذا التحفز ، تبقى امتنا متمسكة ظافرة في عالمها ، ونستمر ومشعل
التفوق ينير امامنا سبل الحق والخير .

ولنا في عالم الفكر والابداع والعبقورية ، صفحات خالدة .
واذ انا ابعث بعض هذه الصفحات ادعو الى صفحات جديدة ،
بل الى كتب ضخمة في شتى حقول الفكر ، والعمل ... والتفوق .

نور الدين يوسف نور الدين

obeikandi.com



يا ماضيي أخمر في كؤوسكما أم في كؤوسكما وتسهميد
اصخرة أنا؟ مالي لا تحركني هذي المدام ولا هذي الاغاريد
.....
ماذا لقيت من الدنيا واعجبه اني بما انا منه شاك منه محسود

obeikandi.com

... هذا الرجل الذي لا يطربه الغناء . ولا تحركه الخمرة ونشوتها ،
هذا الرجل ، الذي تتخيل وكأن كأسه ليست سوى آنية متروعة بالهموم
والآلام ، هذا اليأس ، القانط ، المحطم ، الوحيد في حياة كلها حسد ،
ونمية ، وبغضاء .

وهذا المغني الذي يحرك لواعج النفوس بأنشاده ، ويبعث الألم والذقة
في القلوب بتوجهه وتأمله وشكواه ، هر نفسه القائل في مطلع شبابه
وفي زهوة صباه :

اي محل ارتقي	اي عظيم اتقي
وكل ما قد خلق الله	وما لم يخلق
محتقر في همتي	كشعرة في مفريقي

النفس الطامحة التي كانت في ذروة الكبرياء والعظمة ، والقلب الكبير ،
الذي ما خاف الاهوال ، وما خشي الليالي والايام ، والذي صور حياته
انشودة العظمة والرجولة ، هذه الرجولة نفسها قد نالت منها الايام .
وقد اخسرتها مصائب الحياة وكوارثها .

ان المراحل التي سجلت فيها هذه المشاعر المتباينة ، من عظمة ومجد
واستصغار لكبار الامور ، الى الاحساس بهذا الواقع الأليم الحزين
الذي انتهى اليه امر صاحبه ، ثم هذه الوحدة المضنية ، مضت الايام
تصارع الرجل ويعارضها ، فينتصر على الاحداث حيناً ، وتنتصر هي
عليه احياناً .

في هذه المرحلة ، بل المراحل الطويلة سطرت الخطوط البارزة
لحياة وفن الشاعر الذي ملأ الدنيا وشغل الناس .
من هو ذلك الرجل الذي شغل اناس عصره ، بل الاجيال التي

عقبت اولئك الناس من الذين يتكلمون هذه اللغة ، التي غنى بها الرجل
اناشيد البطولة والرجولة ، واهازيج القوة والعظمة ؟

ذلك الرجل هو ابو الطيب احمد ، المعروف بالمتني ، اما بقية كنيته
كما تذكر كتب الادب فهي ، احمد بن الحسين ، بن الحسن ، بن عبد
الصمد الجعفي ، الكندي ، الكوفي ، ولد بالكوفة سنة ٣٠٣ هـ بمحلة
كانت تسمى كنده .

واقعد دار حول هذا النسب جدل طويل ، فمنهم من زعم ان
والده كان يعرفه القوم (بعبدان السقاء) ولكنني اشك في صحة هذا
النسب والأبوة ، ايكون ابن السقاء من يقول :

واني لمن قوم كأن تقومهم بها انفسان تسكن اللحم والعظما
انني سأعتمد امر نسبه ، اقواله . ولشعاره ، ثم الحوادث التي تعاقبت
على حياته والتي نال اثاثها ما نال ، وفي اعتقادي ان نسبه جر عليه
الكثير من المشاكل ، منها امر بنوته مثلا ، وسوف نتحدث عن ذلك
في حينه .

وسأثبت هنا قوله عندما سأل علي بن الحسن التستري عن نسبه
فأجاب المتني : انا رجل احيط القبائل ، واطوي البوادي وحدي
ومنى انتسبت لم آمن ان يأخذني بعض العرب بطائلة بينها وبين
القبيلة التي انتسب اليها ... وما دمت غير منتسب الى احد فانا
اسلم على جميعهم ويخافون لساني .

او كان المتني ينتسب الى احدى القبائل الكبيرة لقلنا انه على حق
في ذلك ، او لو انتسب الى رجل عظيم لقلنا ان الرجل معذور في
هذا ، اما ووالده سقاء فلماذا يخشى الانتساب اليه ؟ ، ثم لماذا يخشى
الانتساب الى قبيلة والده ولا يجزع في مدح اهل جدته ووالدها :

لو لم تكوني بنت اكرم والد لسكان ابالك الفخيم كونك لي اما
فكيف يخشى من الانتساب الى قبيلة ابيد ، ثم لا يهاب من
الانتساب الى قبيلة جدته وهي بنت اكرم والد .
ثم اليس هو القائل :

وهم فخر كل من نطق الضا د. وعوز الجاني وغوث الطريد

من هم هؤلاء الذين يفتخر بهم الشاعر ؟
الواقع ان ديوان الشاعر لا يؤكد النسب ولا يسجله . ولكنه
يتركنا في حيرة ... فالمتنبى لم يمدح والده ولم يفتخر به ، كما انه لم
يرثه ، ولم يحزن عليه حين موته .

لذلك حامت الشبهات حول نسبه ، سيما وقد رافقت حياته بعض
الامور التي تثبت ان المتنبى لم يكن ابناً لذلك السقاء . ولكنه
يستدل بما ورد في الحديث عن لسانه ، وفي بعض اشعاره ، ان
الرجل كان يكره الحديث حول نسبه ، واذا أكره على ذلك فضل
ان ينسب نفسه الى البأس والقوة ، والى السيف على ان ينتسب
الى ذلك الجعفي المغسور .

تري ، هل كان الشاعر ينجل ان ينتسب الى ذلك الرجل ؟ اما
تري هل كانت عائلة الشاعر تكره ان ينتسب هو اليها ؟

لا بقومي شرفت بل شرفوا بي ...

انا ارى الافتراض الثاني ، فاذا اعتبرنا ما جر عليه نسبه من
النقمة والكره من بعض الفئات ، وخاصة العلويين ، تبين لنا ان
بين هذه النقمة وبين نسب الشاعر حلة قوية .

هل كان والد المتنبى علوياً ، وهل رافق هذا الامر بعض الشذوذ

والحوادث التي تبرر عدم الاعتراف به رسمياً . هذا ما اعتقده .
ودليلي في الاسباب التي ذكرتها ، والاسباب التي سأتي عليها ، وسأشير
اليها في حينه . ولنتعرف الآن الى طفولة الشاعر ونشأته .

كان المتنبي محباً للعلم ، ذكياً ، فطناً ، يهرع الى المكتاتب فيقرأ
ويتمعن بما يقع تحت يده ، ويحفظه ، وقد روى عنه احدهم نادرة
توضح قوة حافظته وفطنته ، وهو انه استعرض من احد الدالين كتاباً
فيه اكثر من عشرين ورقة مخطوطة واطال تأمله فيها فبادره الدلال
قائلاً : اريد بيعه وقد قطعني عن ذلك ، فأنا كنت ترغب شراءه
فيعجل بالثمن ، وان كنت تريد حفظه فهذا في شهر ، فقال له
ابو الطيب :

« فان كنت حفظته في هذه المدة فما لي عليك ؟ »

قال « اهب لك الكتاب » قال الوراق : فأخذته من يده ، فأقبل
يسرده علي الى آخره . . .

ان هذه النادرة على ما فيها من مغالاة تبين فطنة الصبي وذكائه
واستعداد اليب لقبول العلم والمعرفة .

لقد حفظ اخبار العرب ، واشعار الجاهلية ، ثم درس الشعراء المتقدمين
والمعاصرين ووفر لنفسه كنزاً و ذخيرة لا تنضب .

ولا بد لنا الا ان نشير الى عصر المتنبي ، ذلك العصر الذي كان
له مع المتنبي شأن ، وكان له في شعر المتنبي اثر بارزاً .

لقد عمت الفوضى ، وتباينت الدعوات السياسية ، وملك الطمع
والجشع على الامراء والحكام كل تعقل ، وكل روية ، ففسد الحاكم والمحكوم ،
وبرزت الطبقة تهدد وتنذر بالويل والثبور .

لم تكن الخلافة العباسية سوى رمزاً دينياً ، بينما استقل عنها الامراء

في الاصقاع البعيدة منها والقريبة ، ثم وقعت ثورة تركت آثاراً بارزة في حياة ذلك الجيل ، ألا وهي ثورة القرامطة . ومن المؤكد ان المتنبي قد تأثر بهذه الدعوة ، بل يمكنني ان اقول اكثر من ذلك ، اقول انه كان قرمطياً صرفاً عندما عاد من البادية ، ومن ان القرمطية ، يضاف اليها امر نسبة دفعت به الى التجول والترحال .

قلنا ان عصر المتنبي كان من العصور التي كثرت فيها الفوضى والشغب والطمع ، والطموح ، عصر جمحت فيه النفوس الى المراكز السامية ، وتناهدت فيه القلوب الى البغضاء والحسد والنميمة ، وتسخير جميع العوامل في سبيل الغايات والاهداف ، وخصائص ذلك العصر الملتهب ، انه عصر هانت فيه الوسائل مهما اختلفت انواعها ، وسهل ركوبها في سبيل الغاية .

وكان لا بد للرجل ، في ذلك العصر إلا ان يسلك احد الطريقين ، اما ان يخضع ويستكين ، ويرى ولا يقدم ، واما ان يداو بدلوه ، ويجرب حظّه ، كما يقال ، علم يبلغ ما يتأجج في صدره من الاحلام والاماني .

من هذه الفئة الاخيرة كان شاعرنا المتنبي .

وقد يكون للشاعر العذر في هذا ، وهو الفقير المشتبه ، والذي لا يقدر له ان يبلغ في الحياة ما بلغه غيره من اهل الجاه والمال . ومن هم دونه فطنة وذكاء ومعرفة لهذا الهدف .

اذن ، لقد شعر المتنبي بفقد العدل والحق ، وانعدام المساواة والانصاف ، ولا بد له ان يسيخط وينقم وهو الفتى صاحب النفس الحساسة ، ومن ذلك الحين — ويمكنني ان اقول ذلك — عرف المتنبي هدفه ، ووضع الخطط له .

كان يريد هزاء الناس وسعادتهم ، ولكنه كان يريد قبل كل ذلك استغلال الظروف لمصلحته هو ، كان يريد مجد امته واجتماع كلمتها ، ومع كل هذا كان ينبغي سعادة نفسه وعزها .

لقد كان الشاعر اول الامر ، اي في الفترات الاولى من حياته يندفع اندفاعاً حارخاً من اجل خير الجماعة ، وفي سبيل حياة فضلى ، ويجتمع اصلح ، يعطف على المظلوم ، ويحاول مد يد المساعدة للمحتاج والضعيف ، وكان لا بد له ان يثور على الاوضاع السياسية ، والاجتماعية ، ومن اجل كل هذا ، وفي سبيله ، فثار عليها وهاجمها بشدة ما بعدها شدة ، ونشير هنا الى ان المتنبي في تلك الحقبة من حياته لم يكن انانياً جشعاً ، ولكنه كان انساناً ينشد العدل لجميع الناس على اختلاف انواعهم ومتباين آرائهم ، ونؤكد هنا وجود الدعوة القرمطية في حياته ، التي اخذت الكثير من وقته وجهده وهو يبشر بها في الفيافي والبادي والقفار .

وتمر الزمن ... الزمن المعلم ، فاذا كل هذا لا يعوض عن نفس الشاعر شيئاً ، وهنا تبدو خصائص نفسيته بعد الفشل الذريع الذي نزل به في مستهل حياته ، وبعد ان تحطمت امانيه وآماله في احقاق العدل والانصاف ، وبعد ان تبخرت من رأسه اهواء الشباب وكرمه ، فاذا به بعد ان ابتلي الحياة وعرف الناس وبعد ان خابت دعوته ، وانجالت تلك الغمامة العاكرة من الاوهام ، اذا به يسيطر على نفسه الحقد الجامح والانانية المسرفة ، وبصورة اوضح ، لقد اضحى يحب نفسه ، بل يعشقها اذا كانت تعشق الانفس .

وعودة الى حياة الرجل .

عرضنا انه كان فقير الحال ، وكان في بلدته الكوفة دائم التبرم بأحزانه واحتقاده وفقره ، وكان دائم الثورة على تلك الاوضاع ، كثير

العجب من هذه الحياة وما يرى وما يسمع ... والى جانب هذا
عظيم التقدير لعله وذكائه ...

لم الليلي التي اخنت على جدتي برقة الحال واعذرني ولا تلم
ارى اناساً ومحصولي على غنم وذكرك جوده ومحصولي على الكلام
ارأيت هذا التحرق ، وهذا الشعور ، ان هذا الشعور بالحاجة
والظلم اوصل المتنبى الى ما وصل اليه كما سنتبين .

بقي الفتى في الكوفة حتى سنة ٣١٧ ثم هجرها الى البادية وتنقل بين
قبائل كلب وغيرها وحفظ عنها قواعد الشعر واللغة ... ولم يطل به
الامر حتى عاد الى الكوفة يغرق ثانية في الشقاء والحقد ... ومن ثم
خرج الى بغداد عاصمة العلم والشهرة والمجد ، وعلى الأرجح كان خروجه
حوالي سنة ٣١٩-٣٢٠ وفي بغداد شاهد المتنبى من الاحداث ما هز
نفسه هزاً ، وكيف كان الموالي من الديلم والأتراك والاعجام يخرجون
على الامراء والخلفاء ، وكيف اصبحت الخدم تتصرف بأمر الدولة
وشؤون السياسة ، فغفت نفسه الابية ، وكرامة الشباب ، ان يدح احداً
من هذه الجموع المتهافة الحقيمة .

وامتلاً صدره بالحقد الدفين وقد رأى امته وبلاده يسودها التنافر ،
وتحكمها جماعات من الخدم . وعقد العزم والرأي على ان يخرج الى
الارض يضرب فيها عله يصيب من وراء هذا الخروج ما يعتقد
وما يريد .

محي قيامي ما لذتكم النصل بريئاً من الجرْحى ، سليماً من القتل
من هم محي قيامته ، غير جدته ، وما هي قيامته ؟ ان ذلك يعني

ولا شك ثورته ، اذن لقد بدأ الفتى يفكر بالثورة ، بل بدأ يشور
وعقد العزم على انه يريد ان يدرك ثأراً وان يحقق امراً .
وخرج الفتى الى بغداد ، ثم مضى عنها بعد ان شاهد ما شاهد
الى ديار ربيعة ، ثم نصيبين ، ورأس عين ، وحران ، ومينج ، ثم دفعته
الايام الى دمشق سنة ٣٢١ هـ ثم بعثك ، وطرابلس ، وحمص ، وحلب ،
واللاذقية ، وانطاكية .

اذن لقد سلك الفتى طريق الشعر ، واختار لنفسه هذه الحياة ،
وفي هذه المرحلة من حياته مدح اكثر الامراء والحكام الذين التقى
بهم في مستهل رحلاته وفي خطواته الاولى نحو حياة الكفاح والطموح ،
ولا بد لي من الاشارة الى ان الشاعر في تلك الاثناء كانت تظهر في
ثنايا مدائحه عقيدته القرمطية .

ومن جملة مدائحه قصيدته في بعض الكلابيين ومطلع القصيدة :

اذا ما شربت الخمر صرفاً مهناً شربنا الذي من قبله شرب الكرم
الا حبذا قوم زداما هم الانا يسقونها رياءً وساقهم العزم
ومدح ايضا سعيد بن عبد الله الكلبي القيسي بقصيدة مطلعها :

احيا وايسر ما قاسيت ما قتلا والبين حار على ضعفي وما عدلا
ثم مدح ابو المنتصر شجاع الازري بهذه القصيدة والتي اضحى
مطلعها انشودة تتلوها فئة كثيرة من الناس صادفهم في حياتهم ما
صادف صاحبها في حياته .

ارق على ارق ومثلي يارق وجوى يزيد وعبرة تترقرق

ومدح كثيرين غيرهم ، وفي تلك الايام التقى بسيف الدولة ،
هذا الذي قال فيه بعد سنوات قصائد خلدها الايام ورددتها الاجيال

ومطلع هذه القصيدة التي قالها في مدحه :

ذكرُ الصبا ومرايح الآرام جلبت حمامي قبل وقت حمامي

اذن ، لقد التقى المتنبي في مستهل حياته بالامير الشاب سيف الدولة الحمداني ، واعجب به ومدحه ، ولم يكن هذا المدح كما اعتقد يهدف التكمسب ولكنه كان نتيجة الاعجاب والتقدير والاحترام .

ونحن اذا تناولنا خصائص هذا الشعر في ذلك الوقت ، وفي ذلك السن المبكر ، والشباب الكريم للمسنو المملكة الشعرية المسرع لدى المتنبي ، وان قصائده اصبحت تتجه بسرعة فائقة نحو الكمال ، ونحن وان لمسنو في هذه القصائد خفة الصبا ، وشعور الشباب ، ثم بعض المآخذ ، لا بد لنا من ان نلمس ايضاً هذا الاتجاه نحو النضوج والكمال ان كان في اللفظ او في المعنى ، او في التفكير والشعور .

ولكن المتنبي لم يطل به المقام في ديار الشام وهي الديار التي كثر فيها الاضطراب وسادتها القلاقل والمنازعات بين سلطان مصر من جهة ، وسلطان العراق من جهة اخرى ، واخذت القبائل تفكر بالاستقلال عن هذين السلطانين معاً .

فرحل عن الشام الى ملك الاخشيديين يبغي هناك الشهرة ويرجو الامن والاستقرار ولكن الامل الذي كان يراوده هناك لم يتحقق فعاد ادراجه نحو طرابلس حيث مدح عبيد الله بن خلصان بالسينية التي مطلعها :

دان بعيد محب مبغض بهج أغرّ حلو ممر لين شرس

ونحن نرى التكلف الظاهر في هذا المدح ، ولكن المتنبي كان قد اشتهر فلذا قبل شعره قبولا حسناً .

وترك المتنبي طرابلس ثم اتجه الى ملك التوشيين حيث مدح

رجلين منهم ، احدهما علي بن ابراهيم بن اسحاق التنوخي ببضع قصائد
جاء في مطلع احداها :

احقُّ شاف بدمعك الهمم أحدث شيء عهداً بها القدمُ
ومدح ايضاً الحسين بن اسحاق التنوخي بقصائد اخرى ايضاً ،
مطلع احداها :

اتنكر يا بن إسحاق اخائي وتحسب ماء غيري من إنائي
واننا نلّس ان امر الشاعر قد عرف ، وشأنه قد عظم من خلال
هذه القصيدة وغيرها من القصائد كما اننا نلّس هذه الروح الطامحة
وهذه الهمة العالية التي تبرز من خلال الفاظه ، وجمال التصوير ،
وعظمة المسعى :

أفكر في معاقرة المذايا وقود الخيل مشرفة الهوادي
زعيم للقمنا الخطى عزمي بسفك دم الحواضر والبوادي
الى كم ذا التخلّف والتواني وكم هذا التماي في التماي
وشغل النفس عن طلب المعالي يبيع الشعر في سوق الكساد
وما ماضي الشباب يسترد ولا يوم يمر بمستعاد

ماذا يريد الشاعر اذن ؟

انه يتهيأ ولا شك لأمر جليل ، فهذه القوة التي يدخرها ، والعزم
الذي يتغنى به ، اذن لقد نضج الشاعر ، واضمح خبيراً بالحياة والسياسة
والحكم والدهر ، واذا المتنبّي الآن اوسع فكرة واعمق نظرة ،
فهو يريد تحقيق وحدة قومه وبلاده التي قطعت اوصالها مطاعم الاعجام
والترك والديلم .

ورحل المتنبي الى طبرية ، اوليست حياته رحلات متعددة
لا نهاية لها ؟

وفي طبرية نلمس قوة الشاعر على الوصف ، وهذا وصفه لبحيرتها
يعطينا الدليل الواضح على ذلك الخاصة والقدرة في التصوير .

والموج مثل الفحول مزبدة تهر فيها وما بها قطم

والطير فوق الحباب تحسبها فرسان بلق تخونها اللجم

كأنها والريح تضربها جيشاوغى هازم ومنهزم

ونمر بهذه الفترة من حياة المتنبي وقد رأينا من انها تصور الشاعر
العادي وقوام شعره الرقي الفني ، ثم اتخذ هذا الشعر سبيلا الى
الثروة والجاه ، ثم هدفه الى التفوق .

ولكننا نلمس لونا جديدا لم نشاهده عند غيره من الشعراء ، وهذا
اللون ، هو لون الثورة ، لون العاصفة التي تعصف في قلبه ، الثورة
الدائمة فهو السخط والتحفز والاشمئزاز :

والأمت تحت السيوف مكرما تمت وتقاس الذل غير مكرم
فتب واثقا بالله وثبة ماجد

تري الموت في الهيم جاني النحل في الفم

قلت نمر بهذه الفترة من حياته مشيرين الى هذه الخصائص التي
تميزت به حياته وشعره ، ثم اتصاله ببدر بن عمار وهذا الرجل كان
عربيا خالص النسب فاذا بالمتنبي يجد من ينشد فيه احالة النسب
والشهامة والمرؤة ، فيقبل عليه راضيا عاشقا مادحا مخلصا :

واذا مدحت فلا لتكسب رفعة للشاكرين على الاله ثناء

واذا مطرت فلا لانك مجذب يسقى الحبيب وتمطر الدماء

ولك الزمان من الزمان وقاية ولك الحمام في الحمام فداء

لولم تكن من ذا الوري أذمنك هو عقت بولد نسلها حواء

اذا لا انكر ان المتنبي اسرف كل الاسراف في هذا المدح ، ولكن هذا يميز المتنبي باندفاعه الى غرضه اندفاعاً عنيفاً . . . وهذه بعض خصائص شعره فيما بعد .

ونحن هنا انزاء الحدث الخطير الذي هدد طموح الشاعر ووجه حياته نحو هذا الافق الجديد ، فهو الذي كان يعتقد انه سيصلح نظم الاجتماع وسيحرر هذه الامة من الدخلاء عليها وعلى حكمها ، والاستبداد بها ، فاذا به يغلب على امره ، واذا به امام الامر الواقع . وهو انه قد كتب عليه ان يكون شاعراً .

فبعد تلك المرحلة الخطرة من حياته هزمت في نفسه صورة المتنبي الطامح ، المستقل ، لتعطل محلها صورة المتنبي الطامع ، ولكن المقيد الى ظل رجل عظيم ، او امير خطير ، هذه المرحلة القاسية هي مرحلة الدعوة للنبوة . فالنبوة في حياته كانت من ابرز الحوادث واهمها واكثرها اهتماماً واعنفها حقبة في تاريخ تلك الحياة الحافلة .

وقد اختلف المؤرخون والرواة في امر هذه النبوة اختلافاً واضحاً وتباينت عندهم الآراء ، وتشعبت لديهم ، وقبل ان نستخلص الرأي الذي نعتقد صواباً سنشير الى بعض النواحي التي تسهل لنا امر فهم هذه التهمة الموجهة اليه ان كانت تهمة ام مجرد آراء حيكت حوله لليل منه ، ودسائس كثرت كي تصيب منه امراً .

لا يمكننا ان ننكر اول الامر تلك النزعة الى المجد ، وحسب العظمة ، وتأصل عشق التفوق في نفس المتنبي ، هذه العوامل والخصائص التي ساهم فيها واقع العصر الذي عاش فيه الشاعر . ثم اساليب

الثقافة القرمطية التي شب عليها الفتى ، وانصراف الناس الى تتبع الدعوات ، وإيمانهم بالحوارق ، والدليل على ذلك سهولة قياد الجماهير الجالحة في ثورة القرامطة ، ثم انتشار المعتقدات المختلفة ، فلذا وقد شاهد المتنبى وهو الطامع الطامع ، كل هذا فهل سولت له نفسه ، وهل ذهب به طموحه الى ان يدعي النبوة ؟ ويفوق اهل عصره والطامحين جميعاً من الذين يدعون الامامة ، وينشدون الخلافة وسنورد هنا هذه الرواية حول النبوة المزعومة .

حدث معاذ اللاذقي قال :

« قدم ابو الطيب اللاذقية في سنة نيف وعشرين وثلاثمائة وهو لا عذار له ، وله وفرة الى شحمتي اذنيه ، فأكرمته وعظمتها لما رأيت من فصاحتها وحسن سمته فلما تمكن الانس بيني وبينه وخلوت معه في المنزل اغتناماً لمشاهدته واقتباساً من ادبه قلت :

-- والله انك لشاب خطير ، تصلح لمنادمة ملك كبير .

فقال : ويحك ! اتدري ما تقول ؟ انا نبي مرسل .

فظننت انه يهزل ، ثم تذكرت اني لم اسمع منه كلمة هزل منذ عرفته فقلت له : ما تقول ؟ فقال : انا نبي مرسل ، فقلت الى من مرسل ؟ فقال : الى هذه الامة الضالة المضلة ، قلت : تفعل ماذا ؟ قال : املأ الدنيا عدلاً كما ملئت جوراً ، قلت : بماذا ؟ قال : بأدراك الارزاق والثواب العاجل لمن اطاع واتى ، وضرب الرقاب لمن عصى وأبى ، فقلت له : ان هذا امر عظيم اخاف عليك منه ، وعدلته على ذلك فقال بديهة :

أبا عبد الاله معاذ اني خفي عنك في الهيجامقامي

ذكرت جسمي مطلبي واني اخاطر فيه بالمهج الجسام

امثلي تأخذ النكبات منه ويجزع من ملاقات الحمام ؟
ولو برز الزمان الي شخصاً لخصب شهر مفرقه حسامي
وما بلغت مشيئتها الليالي ولا سادت وفي يدها زمامي
اذا امتلات عيون الحيل مني فويل في التيقظ والمنام
الخ من هذه الرواية من الاسئلة والاجوبة حول موضوع النبوة ،
وللمتنبى ايضاً في هذه المرحلة شعراً فيه كل الفخر بنفسه ، بل
كل التمجيد لشخصه :

اي محل ارتقي اي عظيم اتقي
وكل ما خلق الله وما لم يخلق
محتقر في هممتي كشعرة في مفرقي

ويرى بعضهم ومنهم الاستاذ محمود محمد شاكر ان اعداء المتنبى
هم الذين اتفقوا له هذه التهمة ، وهم الذين اظهروه بهذا المظهر فكيف
يقال « ان دعوة المتنبى عمت كل مدينة في الشام ، وبويع له فيها ،
كيف يكون هذا ؟ والشام اذ ذاك منزل من منازل ائمة الدين
والعلم ، وكان اكثر اهلها لا يتخلفون عن صلاة ولا يزال بين ظهرانيهم
عالم يقرأ في مجلسه ، او واعظ يعظ في حلقة ، او خطيب يخطب
من منبره ، ثم لا يؤمنون بدعوى لا تؤيدها معجزة بيانية ، ولا
خارقة كونية ، وان زعمنا ان اللاذقي قد آمن بالمتنبى لصدحة المطر ،
افتؤمن كل مدن الشام ، وتباعيه لهذه الضلالة او هذه الكذوبة التي
لا تعقل ، ولكن اللاذقي رجلاً لا عقل له ، افيكون اهل الشام
كلهم هذا الرجل ؟ .

ويستبعد الاستاذ شاكر ان يكون المتنبي قد ادعى النبوة ،
وانما الخصام الرجل يتهمونه بما هو منه براء .

اما قرآنه فهو ليس بقرآن ، وانما هو « خرب من الهذيان » ثم
يقول : والعجب ان يبايع له اللاذقي ولا يحفظ من قرآنه شيئاً .
ثم ينسب امر هذه النبوة الى نسبه وما رافقه من الغموض والشك ،
واخيراً يرى ان سجن المتنبي لم يكن من اجل النبوة المزعومة ،
بل انما كان من اجل تصريحه بنسبه ، هذا النسب الذي قد يرجع الى
العلويين ، وان هؤلاء قد حرضوا عليه النفوس ، واوغروا عليه
الصدور ، وجعلوا من مسألة النبوة غطاءً يسترون به حقيقة ما قام
من اجله ابو الطيب فقبض عليه ، وان الرجل قد ادعى العلوية ،
فأقحمت عليه مشكلة النبوة ليجعل دعواه في علويته كذباً وبهتاناً
اما الدكتور طه حسين فيقول في هذا الصدد :

« وانا لا اتردد في رفض ما يروى من انه ادعى النبوة ، وحدث
المعجزات او زعم احداثها ، وضال فريقاً من خاصة الناس وعامةهم ،
فبايعوه واتبعوه كما لا اتردد في رفض هذا السخف الذي ينبئنا بأن
المتنبي زعم ان قرآناً انزل عليه ، وبأن بعض الناس قد حفظ القرآن ،
فقد قيل مثل هذا عن ابي العلاء ايضاً وروى بعضهم قوائمه الموهوم ،
وما ينبغي ان نجعل ان الرأي العام في اوساط الشام وحمص خاصة
كان خصماً لأبي الطيب حين سجن ، وان أبا الطيب بعد خروجه
من السجن لا يكاد يستقر في مكان ، حتى يثير حول نفسه الحسد والبغض
والوان الخصومات ... فهو قد غاضب الناس جميعاً ، والب الدولة
الاسلامية كلها على نفسه ، فأى غرابة في ان يكبر من امره ما
صغر ويعظم من شأنه ما هان . »

اذن فالدكتور طه حسين يرفض الاعتراف فيما يتعلق بالنبوة .

كما ان المعري يشك شكاً ظاهراً في صحة هذه التهمة ، وان هذه الحالة التي رسمت حول نبوته لم تتكاثر الا من سخرت الاحاديث الشعبية التي اثيرت حول سجن ابي الطيب .

وسنثبت هنا ونحن في معرض الحديث عن نبوة المتنبى من ان الرجل كان لا يزال في مطلع شبابه قسوياً ، تضطرم في نفسه الآمال الكبار ، كثير الحصوصم الذين لا تمر به حادثة دونها يستغلونها للنيل منه ، وبما انه كان حاد المزاج ، في تصرفه ، فلذا كان لا بد له وقد تعدد اعدائه ، منهم الامير الخطير ، ومنهم الحاكم الظالم ، ومنهم الصعلوك المهمل الغافل الذكر ، كان لا بد له من ان تجيش نفسه شعراً ينفت به الهمم التي تغلي في صدره ، يلعن ويشتم ويفتخر ويشمخ ، واذا نحن اطلعنا على تلك الهمم في هذه المرحلة الدقيقة من حياته لتبين لنا انه حرص الناس عليه ثم البهم ضده :

كم قتيل كما قتلت شهيد بياض الطلى وورد الحدود
يترشفن من في رشقات هن فيه احلى من التوحيد

ارأيت هنا كيف يسخر من حلو التوحيد ؟
ثم يتابع قائلاً :

مامقامي بأرض نخلة إلا كمقام المسيح بين اليهود

ارأيت هذا التشبيه ، انه يشبه نفسه بالمسيح ثم يأتي بعدها ليشبه نفسه بصالح ، اما المسلمون فينعتهم بأشنع النعوت ، ويسخر منهم مدعياً انهم كاليهود ، ثم سنراه كيف يلين ويشتم ويعنف ويعلمن خروجه على القانون والعرف والنظام ، ويبعث تلك الهمم الفاظاً ملتبهة ثم يضرب عرض الحائط ببعض المعتقدات ساحماً لقرمطيته ان تسيطر

وتسرح وترح دونما رادع او وازع .

عش عزيزاً اومت وأنت كريم بين طمن القنا وخفق البنود
فرؤوس الرماح اذهب المغيظ واشفى لغل صدر الحقود
فلننظر الى نظراته الى الحياة ، وآماله البعيدة :

لا كما قد حييت غير حميد واذا مت مت غير فقيد
فاطلب العز في لظى وذر الذل ولو كان في جنان الخلود
يقتل العاجز الجبان وقد يوجز عن قطع بنحوق المولود
لا بقومي شرفت بل عرفت ابي وبنفسي فخرت لا بجودي
وبهم فخر كل من نطق الضاد وعوز الجاني وغوث الطريد
انا كون معجباً فمعجب عجيب لم يجد فوق نفسه من مزيد
افارب الندى ودب القوافي وسام العدى وغيظ الحسود
انا في امة تداركها الله غريب كصالح في ثمود

تأمل هذه الايات العنيفة ، وهذه الثورة الجاحدة وهذه النفس المحمومة ، ثم هذا الشموخ ، وتلك الكبرياء والتعالي ، اتعجب اذن اذا رايت الحاكم يسعى للقبض عليه ودفعه الى غياهب السجن بعد هذا الخروج على النظام وشتمه المساهين ، والادعاء والفخر والشموخ .

ليس من حاجة الى ان يدعي المتنبى النبوة كي يغضب عليه الناس ومنهم الحاكم ، كلا ، ان حممه تلك وثورته جعلت منه خارجاً على القانون متمرداً على النظم ، وقيل انه خرج الى بادية السماوة ، وهي

من الامكنة الآهنة باناس تشربت روح الاسماعيلية ، يتلو على الاعراب كلاماً منمقاً ادعى انه قرآن أنزل عليه ، فتبعه بعض القوم من بني كلب و كلاب وعبس ، وكاد يحدث احداثاً جساماً لولا ان خرج اليه لؤلؤ امير حمص من قبل الأخشيديين فقاتله وفرق اصحابه واتباعه واعتقله والقي به في غياهب السجن .

ونحن ايضاً لا نعتقد ولا نقر القول القائل بأن المتنبي كان قد ادعى النبوة ، ولا بد ايضاً من ان نشير الى ان الاستاذ فؤاد افرام البستاني يرى ان المتنبي قد ادعى النبوة .

اما نحن فنعتقد ان هذا النعت اطلق عليه لانه كان دائم الادعاء والوعد والوعيد كما كان الانبياء يكثر من الوعد والوعيد .

وهذا ايضاً ما يجعلنا نزيد من ان المتنبي لم يكن ابن ذلك السقاء وان كان ابن ذلك السقاء فلا بد ان يكون ذلك السقاء منتسباً الى العلويين ولكنه لوضاعة امره اهل شأنه واسقط من سجل العائلة . وعندما صرح المتنبي بهذه الحقيقة او استعمل هذا النسب من اجل مطامحه قامت قائمة العلويين ، واستعملوا جميع الوسائل للأيقاع به ، ومن هذه الوسائل امر النبوة .

ثم ما دمنا نعتقد ان المتنبي كان ذكياً فكيف سوات له نفسه ان يطلق عليه لقب النبوة وهو يعرف ان الاسلام لا يعترف ولا يقر بعد الرسول نبيا ، ومنهم الاعراب خاصة . اصف الى ذلك انني اعتقد ان خصوم المتنبي واعداؤه وما كان اكثرهم هم الذين اتهموه بهذا ، ثم شعره وطموحه واستهائته بالامور وتغديه على المعتقدات وسخريته منها ، ومن المصدقين بها كل هذه العرائل يضاف اليها امر نسبه واسماعيليته دفعت به الى السجن ، ذلك السجن الذي عرف

المتنبى ثلثاً جاحماً فاذا به يتناول الرجل الذي قيده واسلمه الى الجند بقوله :
زَعَمَ المقيمُ بكَوَتَكينُ بانه من آل هاشم بن عبد مناف
فاجبته مُذخِرت من ابنائهم صارت مُقيودهم من الصفصاف
أهون بطول الثواءِ والتلفِ والسجن والقيد يا ابا دُلُف
الا ان السجن وما صادف المتنبى فيه من المتاعب والمرارة، وشعوره
بكبت حريته ، ثم عدم الاطمئنان الى هذه الحالة التي وصل اليها ،
كل هذه العوامل يضاف اليها امر خوفه من المستقبل والاهمال ،
جعلت لهذا الطموح . وتلك النفس الثائرة الجشعة الى ارتقاء سلم المجد ، لجاماً
تكبح به جموحها واجبرته ان يبدأ ويستكين ثم يفكر ويتهيأ لاستقبال
امره بأناة وتمهل .

وتأتي تباشير الفرج بتولي اسحاق ابن كيلغ ولاية حمص ،
فيرسل اليه المتنبى مادحاً مستعطفاً طالباً العفو عنه :

بيدي ايها الاميرُ الاريبُ لا اشيٍ الا لاني غريبُ
ان اكن قبل ان رأيتك اخطأ ت فاني على يديك اتوبُ
عائب عابني لديك ومنه خلقت في ذوي العيوب العيوبُ

اترى هذا الاستعطاف ؟ وهذا الذل والخضوع ؟ فأين النبوة وعظمة
حاملها من النزول الى هذا الدرك من الاستهانة والاستعطاف ؟

وقيل ان الامير عنى عنه بعد ان ارسل اليه قصيدة اخرى يرجو
فيها عطفه وسماحه ، وسرى بعد هذا ان المتنبى عاش بقية عمره في
وحدة وغربة ، يتوسل ويستعطف ، وانا اعذر اذا قلت ان تلك القمة
الشاهقة في الشعر العربي من تحوير الرجولة وتمجيدها ، واطناب الشهامة

والمروءة ، والصدق والعظمة لم تكن تنطبق على حياة المتنبي ، ولم تكن لتمثل فيه ، بل سيبقى المتنبي بقية عمره ذلك التابع الطامع او يصح فيه وينطبق عليه هذا البيت في شعره ؟

اذ ما خلا الجبان بأرض طلب الطعن وحده وانزالا

اذن لقد عاد الشاعر الى الترحال بعد خروجه من السجن ، ورافق هذه الحقبة من حياته تحرقه الى الاستقرار بعدما نالت منه الايام والحياة ما نالت وشقي بأحلامه ما شقي .

واخذ المستقبل يتراعى له غامضاً باهتاً ، فكانت هذه الاحوال التي مرت بها حياته من الاحوال التي حقلت شعره ، وانضجت قوله وفكره ، ودفعت به خطوات واسعة نحو الكمال الفني ، وعلمته ايضاً تذوق الالم والصبر على الحرمان والمصائب ، وخلاصة القول ، لقد ساعدت في تهيئته الى احتلال مركزه في عالم الشعر والنبوغ .

قلت ان المتنبي خرج من سجنه ، وقد رافق هذا الخروج الحاجة المادية الى ابرسط مطالب الحياة ، والمتنبي كرجل خبر البعض من الوان الحياة . وعرف خيرها وشرها علمته التجربة كيف يكظم غيظه وكيف يعبر على مكروه الم به . وعلمه الحذر والاحتياط كيف لا يسرف في تصريف اموره كما احرف من قبل .

لقد كان اختباره للزمن والناس ذلك الزمن فيه الكثير من الفائدة له ، وفيه الكثير من الزبدة لنا اذ اتحفنا بتلك الثروة الشعرية التي يشكو فيها نوائب الزمن ، ومصائب الايام ، ومرارة الوحدة ، وسخط الناس ولؤمهم .

ويسير الشاعر في طريق الحياة مثقلاً بالهموم والاحزان فيلتقي بأسد في طريقه ، فاذا بالشاعر يشكوه همه ، ويبين له وحدته وخوفه

من الحياة .

أَجَارُكَ يَا أَسَدَ الْفَرَادِيسِ مُكْرَمُ

فَتَسْكُنُ نَفْسِي أَمْ مُهَانَ فُسْلُمُ

ورائي وقدامي مُعدة كثيرة

أَحَازِرُ مِنْ لَصٍ وَمِنْكَ وَمِنْهُمْ

ارأيت لقد اضحى المتنبي يخاف اللصوص ، لقد نزل من علياء
شموخه وكبريائه ، انه ليس بأكثر من شاعر وحيد يدخسر شعره
لعيشه وكسبه .

فهل لك في حلفي علي ما أريدُ

فاني بأسباب المعيشة اعلم

ماذا يريد المتنبي ، ترى ألا زالت تلك الافكار والاماني تأخذ
قسطاً من تفكيره وجهده ؟ من يدري ؟ ولكن لنرى ما يريد .

إِذْنِ لَا تَأْكُلِ الرِّزْقَ مِنْ كُلِّ وَجْهَةٍ

وَإِثْرَيْتِ مِمَّا تَفْتَنِينَ وَأَغْنَمِ

هذا الذي يريده الشاعر . الثراء والغنى والغنيمة ، سيحصل الشاعر
الى كل هذا ، فلنقطع منه بقية الطريق .

سار الى حلب ، ولم تطل به الاقامة هناك ، وحلب موضع نزاع
واضطراب ، ولقد كان المتنبي احوج الناس الى الراحة والسكينة بعدما

مر به ما مر .

واتجه بعدها الى انطاكية ، ويلتقي هناك بالمغيث بن علي العجلي فيقول
فيه قصيدة مطلعها :

دمع جرى فقضى في الربع ما وجبا

لا هله وشفى أنى ولا كربا

اترى ان المتنبي ، يتحدث عن الدمع والكرب ؟ ومع هذه
اللوعة والغيط والحقد الذي ظهر واضحاً في هذه القصيدة ، نلحس
من ناحية اخرى ان الشاعر كان يمدح ونفسه مشبعة بالملل والسأم .
الم نقل انه يريد ان يعيش !

وخاصة اخرى امتازت بها هذه القصائد ، فالشاعر كان يحتفظ
لنفسه بالنصف الاول من القصيدة ، يبث شجونيه ، ويشكو زمانه
ويحمل على الناس ، ثم يعود الى ممدوحه بعد ان يكون قد اشبع
نفسه من الشكاء والتوجع والفخر . واخيراً لقد بلغ الشاعر منزلة
شاعرية ممتازة فلقد استوثق من صناعته ، وذل الألفاظ لغاياته وتعرف
بالمعاني يرسلها حكماً ، وامثالاً ، يصور فيها الدهر ونوائبه .

ومن انطاكية يجتاز الرجل جبال لبنان في طريقه الى بدر بن
عمار في طبرية فيمدحه في عدة قصائد اولها القصيدة التي مطلعها :

أمن ازديادك في الدجى الرقباءُ

اذ حيث انت من الظلام ضياءُ

ولكن اقامته عند بدر لم تطل ، فلقد سعى به الساعون عند بدر
فلم يجد بداً من ان ينصرف ويرحل ، ويعود المتنبي من جديد الى
حياة التشرد ، انما هذه المرة كان قد عرف امره واشتهر شعره .

واضحى من فطاحل شعراء عصره ومن تقدمه .

وسنشير هنا الى فن من فنون الشعر لم يكن المتنبي من فطاحله
الا وهو التغني بالخمرة ، فالمتنبي لم يكن كالنواصي ندياً يحسن المداومة
فلقد كان يكره مجالس الشراب ، ويعتقد انه تذهب من مكانة الرجل ،
وكان دائم الهجاء للخمرة ماقتاً لها ، حاملاً عليها ، وان شربها ، شربها كارهاً
مجبوراً ، لذا لم يكن يصح فيه ان يكون ندياً مجالساً ، فلننظر
ماذا يرى في الخمرة :

وجدت المدامة غلابة تهيج للقلب اشواقه
تسى من المرء تأديبه وليكن تحسن اخلاقه
وانفس مأللفتى لبسه وذو اللب يكره إنفاقه
وقد مت امسى بهاموته ولا يشتهي الموت من ذاقه

لقد ترك المتنبي بديراً في طريقه الى المجبول ، وفكر بصديق له يعرف
بأبي الحسن بن علي بن احمد الخراساني حيث مدحه بقصيدته المشهورة :

لا افتخار إلا لمن يضام

مدرك او محارب لا ينام

ليس عزماً ما مرض المرء فيه

ليس همماً ما عاق عنه الظلام

واحتال الاذى ورؤية جاي

ه غداء تضى به الاجسام

ارأيت لقد نطق الرجل بالحكمة ، انها الحياة وتجاربها تنطقه
انها الاحداث التي مرت به تلي عليه :

ذل من يغبط الذليل بعيشٍ رُب عيش اخف منه الحما
كل حلم اتى بغير اقتدار حجة لاجيء ، اليها اللئام
من يهن يسهل الهون عليه ما لجرح يميت ايلام
انني اترك لك ان تتلمس ما في هذه الايات من العبر والجمال .
ويبقى المتنبي رفيق التشرد حتى سنة ثلاثية وثلاثين ، وعندئذ
تتغير الاحوال السياسية نوعاً ما في ديار الشام ، ويظهر الاخشيديين
لاسترجاع تلك الديار ، فيبرز المتنبي عندئذ متقرباً الى امرائهم ،
وتتميز اكثر قصائده بنغمة الحزن والتذمر من الزمن ومصائبه .
وفي تلك المرحلة حصلت معارك بسيطة بين الدولة الحمدانية الناشئة
وبين الاخشيديين ، وكأن في استقرار تلك الدولة في شمالي الشام ،
قد حث المتنبي على ان ينتهز الفرصة ، سيما وعظمة هذه الدولة الفتية
توافق هوى نفسه ومطلب رجولته ، فمضى المتنبي من حكم
الاخشيديين في طريقه الى الحمدانيين فيمر بطرابلس ثم يمضي الى
انطاكية حيث ابو العثائر ابن عم سيف الدولة امير حلب ، وقائد جيوشها .
خف المتنبي من دمشق الى انطاكية حيث مدح ابا العثائر بعد
انتصاره على احد اعدائه بهذه القصيدة التي مطلعها :

مبיתי من دمشق على فراشي حشاه لي بحر حشاي حاش
يقودهم الى الهيجا لجوج يُن قتاله والكر ناشي
الى ان يقول :

فسرت اليك في طلب المعالي وسار سواي في طلب المعاش

ما هي المعالي التي يريدها المتنبي ، انه ولا شك ينبغي الوصول الى سيف الدولة ، ولم يطل به الامر للوصول اليه بعد ان اشتهر امره ، وبعد ان اوضحت تلك القصائد التي ترنم بها ، والتي مدح بها صاحبه نسيب سيف الدولة سوى لتزيده شهرة وقوة ، وان تحقل شعره وقد وجد البيئة الادبية العربية التي تفهم شعره وتقدره وتعرف مكانته في عالم الشعر والادب

مدح المتنبي ابا العتاش بقصائد عديدة منها القصيدة التي مطلعها :

أثرها لكثرة العشاق تحسب الدمع خالقة في المآقي
ثم القصيدة التي مطلعها :

لا تحسبوا ربيعكم ولا طلاله اوكل حي فراقكم قتله
ثم :

مالي لا أمدح الحسين ولا ابذلُم الودُّ مثلَ ما بذله
أأخفت العين عنده أثراً ام بلسن الكيذبان ما أملاه

عند سيف الدولة

في سنة ٣٣٧ كان سيف الدولة الحمداني قد استولى على اكثر ديار الشام ، ووقف حصناً منيعاً ضد غارات الروم واطماعهم في بلاد كثرت فيها الدسائس ، وتفشت فيها الاطماع ، ولقد كان هذا الامير من اشد معاصريه مراساً ، واكثرهم قوة واندفاعاً ، واكثرهم دهاء ، واوسعهم حيلة ، واشدهم حباً للعرب ودينهم ، ثم كان الى جانب هذا الرجل العنيد الصبور ، العظيم الهمة . الساعي للمجد ، ثم حبه للادب ، يقوم على خدمته فكان ديوانه يجمع اهل الخرف والثقافة والشعر

والادب في عصره ، زد على ذلك انه هو نفسه كان شاعراً حلو
اللسان ، خفيف الروح .

كان سيف الدولة يبغى في ضم اطراف البلاد اليه والى حكمه ، ولكن
ذوي المطامع من جهة ، والروم من جهة اخرى قوضت هذه الفكرة
العظيمة ، ووضعوا في طريقه الكثير من المصاعب والعراقيل .
فليس من العجب ان ينشده المتنبي ، وهو الذي تجسست فيه
افكار شبابه ، واحلام فتوته ، وما دام هو لا يستطيع ان يكون
رجلاً عظيماً مستقلاً ، فلا بأس لو كان شاعراً عظيماً تحت جناح
رجل عظيم مستقل ، وليكرس عبقريته وفنه وشهرته لهذا المجد المشترك
ولتلك العبقرية الفذة ، والرجولة الشاحنة .

لقد كان المتنبي مدرساً لسياسة عصره ، عارفاً بخفاياها ، فلذا ادرك
ما يعترض طريق سيف الدولة من العقبات ، من اجل هذا نجح في
الامتحان ان صح القول عندما التقى به سيف الدولة في انطاكية
اثناء زيارته لأبن عمه ابا العشائر ، وكان هذا الاخير قد قدم المتنبي اليه ،
واثنى على منزلته في عالم الشعر والادب ، ويقال ان المتنبي اشترط
شروطاً عندما ينشد الشعر بين يدي سيف الدولة ، ولكنني لا اعتقد
ذلك ولا اقره ، فما كان سيف الدولة بحاجة الى ان ينشده المتنبي وقد
ركع الى الارض ، وما كان المتنبي يفكر بهذا وقد التقى بسيف
الدولة الامل الذي يراود نفسه منذ امد بعيد .

ونحن نعلم كما تقدم ان هذا اللقاء لم يكن اول لقاء بينهما ، فلقد
التقى المتنبي بسيف الدولة سنة ٢٢١ هـ ومدحه وقدر اعماله ورجولته .
اذن لقد قدم ابو العشائر المتنبي الى سيف الدولة ، ووصف له ما
وجد فيه من الشهامة والمروءة ، ومحبة للعرب وكرهه للأعاجم ،
وحلاوة شعره ، وطلاوة ادبه ، ولم يطل الامر فاذا بشعر المتنبي يثبت

هذا فلقد قال المتنبي آنذاك قصيدته الشهيرة :

سلكتُ صروف الدهر حتى لقيته

على ظهر عزم مؤيدات قوائمه

مهالك لم تصحب بها الذئب نفسه

ولا حملت فيها الغراب قوادمه

فأبصرت بدرأ لا يرى البدر مثله

وخاطبت مجراً لا يرى العبر عائمه

غضبت له لما رأيت صفاته

بلا واصف والشعر تهذي طماطمه

اذن والحالة هذه سيصبح المتنبي شاعر الامير الحمداني الخاص ، بعد ان 'فقد الشعراء الذين لم تتوفر لهم المقدرة على ادراك صفات الامير وتمجيد اعماله ، وتخليد هذه الصفات وتصوير بطولات جيشه العنيد الجبار الفاتح :

له عسكرياً خيل وطير اذا رمى

بها عسكرياً لم يبق إلا جماجمه

اجلتها - من كل طاعٍ - ثيابه

وموطئها - من كل باغٍ - ملائمته

سحاب من العقبان يزحف تحتها

سحاب - اذا استسقت سقطتها صوارمه

لقد نل سيف الدولة المجد معلماً

فلا المجد مخيفه ، ولا القرب ثالمة

وبقي سيف الدولة بأنطاكية مدة شهر من الزمن ، وبقي المتنبّي الى جواره ، يتحفه بشعره ، ويحدثه في امور الدولة ، وسياسة البلاد ، فقربه الامير منه بعد ان اعجب به وبسعة اطلاعه ، وعندما رحل سيف الدولة الى عاصمة ملكه كان قد اتفق مع الشاعر على ان يتبعه اليها . وهكذا لم تسجل ساعة الزمن الكثير من الوقت حتى كان المتنبّي قد اقبل على حلب . واعتذر الأمير عن عدم المسير في ركابه بهذه القصيدة التي مطلعها :

نحن من ضايق الزمان له فيك وخانته قربك الايام

المتنبّي في حلب - عاصمة ملك سيف الدولة ، والحركة الدائمة بين عواصم العالم الاسلامي في ذلك الوقت ، هذه النهاية التي طالما اراد الوصول اليها بعد ان وقفت الايام حائلاً دون ان يكون له هو عاصمة وبلاط ، وشعراء .

واجهت على ابي الطيب في اوائل حياته في حلب عوامل عديدة ساهمت في دفع شعره خطوات جريئة نحو الكمال الفني ، والغناء المجيد .

فالى جانب فرحه وسروره بتحقيق امله من لقاء هذا الامير الجليل المقدام الذي تتجاوب افكاره السياسية والقومية مع افكاره وسياسته ، كانت الايام تزيد خبره وتجربة ، وتمعن في آلامه واحزان قلبه ، فلقد فقد امرأته ، ثم ولده ، ووجدت له هذه الحوادث والهزات ما بقاءه من مصائب الزمن وآلامه فكان تنازع الفرح والحزن ، القلق

والاستقرار ، الخوف والاقدام ، في تلك النفس المرهفة الشاعرة
الحساسة ، كل هذه العوامل وما رافقها كونت الاسباب في استخراج
كوامن نفسه ، وخلاصة فنه ، روعة انتاجه .

وعبقرية المتنبي تبلورت وحصلت بما هاجت به نفسه من العواطف
وما ملك عقله من الافكار . ثم تأمل ما تجدد في قلبه من المعاني
التي بعثتها تلك الاتراح والافراح .

ثم عاد الى خميره والى خفايا نفسه يستوعب ما بها من الاحداث
القديمة التي تركت وشماً بارزاً فيها ، والى جانب كل هذا كان يعيش
امله بمستقبل فيه العزاء عما مضى ، المستقبل فيه القوة ، وفيه العنف
وفيه الجدد ، فيه الى جانب كل هذا الثراء والغنى والجاه والاستقرار .
وكأننا الايام التي ما امهلت في حياته قط ، لن تمليه الآن ابدأ ،
ولكنها اشغلته بنوع من العمل جديد على حياته ، واطالما كان
هو يتعشقه ويعمل من اجله ، وكأننا مجالس العلم والادب والشعر
المتجددة لدى سيف الدولة وبلاطه ، وذلك الرقيب الدائم على شعره
وانتاجه اهابت به الى ان يحسن القول ، ويجدد المعنى ، ويتكرر
ابتكاراً لم يعرفه لا قبل ، ولا بعد .

وأصل هنا الى حقيقة ثابتة لا بد منها وقد يعارضني فيها من
يعارض ، ولكنني اعتقد تمام الاعتقاد ان شاعرية المتنبي لم تبلغ هذا
التفوق الا عندما اتصل بصاحبه سيف الدولة ، وعندما عاش في هذه
البيئة السورية الدائمة الحركة ، العنيفة المسعى التي لا تبدأ ولا تستقر
الا لتفتش عن نوع آخر من الطموح والاندفاع حتى تستكمل نموها
وتحقق ما في جوهرها من التفوق .

وكان المتنبي والحالة هذه في اضرار بحكم منزلته كشاعر الامير ان
يدرك هذا الواقع وان ينظر الى الحياة نظرة المتدبر ، ويقلب الرأي ،

ويعبر الفكرة ، ويقيس الاشياء ، ثم يردّها الى اصولها ، ثم ينتزع جوهر المعاني انتزاعاً حتى يكون جديراً بهذه البيئة الكريمة العنيفة الثائرة التي لا تهدأ ابداً .

ومقابلة بين شعر المتنبي في ديار الشام - سورية - وفي مصر فيما بعد ، نجد الفرق الشاسع ، فبينما هو في الاولى يمثل العنف والشموخ والجودة ، والدموية ان صح هذا التعبير ، والابداع ايضاً ، نشاهده في الثانية ، يمثل الهدوء والنعومة والجفاف الذي يفقده في شعره السالف ، ولا اثر لتلك الثورات العنيفة الصارمة فيه .

والمتنبي في ذلك مصور ، بصور البيئة السورية تصويراً صادقاً ، تلك البيئة التي قدمنا البعض من اوصافها ، تلك البيئة التي لا تكل ولا تمل ، بل تعمل وتجاهد وتكافح ، وتثبت وجودها ، لتحقيق عظمة كيانها ، وتلعب دورها المجيد في التاريخ ، ذلك الدور الذي اقتضته وقائع ذلك العصر ان تكون سورية الحصن الوحيد امام هجمات الروم .

وبينما كانت بغداد والفسطاط وغيرها من المدن الاسلامية الدائرة في فلك العباسيين والفاطميين والعلويين ، منها من يلهو ، ومنها من يكيد ، ومنها من يتعامل مع الروم .

كانت ديار الشام صامدة دون غيرها لجحافل الروم وخيولهم ، تصدهم وهي ثابتة صامدة راسخة .

اما البيئة المصرية ، والبيئة البغدادية ، ثم الفارسية بعدها كانت هادئة مستقرة بحيث انه لم يكن فيها ما يلهي الشعر ولا ما يثير العاطفة ولا ما يستهوي القلوب ، ولذلك قل شعر المتنبي السياسي ، وتصويره للحياة والغزو والجيوش في هذه البيئة او البيئات الثلاث لأنه لم يكن فيها اندفاعاً ، ولم تكن فيها الجيوش التي تحارب وتقارع

بل كان في الاولى الاستقرار ، وكان في الثانية اللهو والعبث ، وكان في الثالثة المكر والدهاء والكيد ، وهذه الامور كان المتنبي يكرهها اشد الكره ولا يرى فيها ضرباً واحداً من ضروب الرجولة ، فلذا اقتصر مدحه على الاشخاص كما سنرى .

سوف لا نطيل الحديث عن حياة المتنبي عند سيف الدولة ، لأننا سندرج الكثير من شعره في المنتخبات التي سنتبعها هذه الدراسة ، ولكن لا بد لنا من ان نقول :

ان شعر المتنبي في حلب بلغ غاية الروعة ، وبلغ غاية العظمة ، وان تلك الحياة الحافلة قد استهوت به ، ثم سنروي احدى الروايات عن مجلس سيف الدولة في حلب والشعراء والادباء الذين كان يجتمعهم ذلك المجلس ، والذين كانوا يوغرون صدر الامير على شاعره دائماً بما ادى الى غضب الامير على الشاعر ، ثم رحيل الشاعر عن اميره وقائده هذا الى جانب الحوادث العديدة التي كانت له معهم ومعه ، والتي كانت تخرج كبريائه ، وتنقص عليه عيشه .

قيل ، قال ابو فراس الحمداني لسيف الدولة - وابو فراس كان شاعراً وكان قائداً ثم قريب سيف الدولة وسرى موقفه من المتنبي ، ثم سنرى كيف كان المتنبي مضطراً بحكم بيئته ان ينشد الكمال في شعره ، قال له : ان هذا المستدق « يعني المتنبي » كثير الأدلال عليك وانت تعطيه كل سنة ثلاثة آلاف دينار عن ثلاث قصائد ويمكن ان تفرق مثني دينار على عشرين شاعراً يأتون بما هو خير من شعره ، فتأثر سيف الدولة من هذا الكلام ، وكأنا اقتنع بما قدم ابو فراس وعمل بما اشار عليه ، وكان المتنبي غائباً فبلغته القصة ، ولما حضر ، دخل على سيف الدولة وانشده ابياتاً ، فأطرق سيف الدولة ولم ينظر اليه كعادته وحضر ابو فراس وجماعة من الشعراء فبالغوا في

الوقية وانقطع ابو الطيب بعد ذلك ونظم القصيدة التي اولها :

واحر قلباه ممن قلبه شبح ومن بحالي وجسمي عنده عدم
ثم جاء ديوان سيف الدولة وانشدها حتى اذ وصل الى :

مالي اكنم حباً قد برى جسدي وتدعى حب سيف الدولة الامم
تجاوز الى القول :

قد زرتة وسيوف الهند مغمدة وقد نظرت اليه والسيوف دم
عندئذ همت جماعة بقتله في حضرة الامير لشدة ادلاله واعراض
الامير عنه وعندما بلغ في انشاده قوله :

يا اعدل الناس الا في معاملتي

فيك الخصام وانت الخصم والحكم

قال له ابو فراس : « لقد مسخت قول دعبل »

ولست ارجو انتصافاً منك ما ذرفت

عيني دموعاً وانت الخصم والحكم

فتابع المتنبي :

اعيدها نظرات منك صادقة

ان تحب الشحم فيمن شحمه ورم

فأدرك ابو فراس انه يعنيه فقال : « من انت يا دعي كندة ،
حتى تأخذ اعراض الامير في مجلسه ، ولكن المتنبي استمر في انشاده
ولم يرد عليه الى ان قال :

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا بأنني خير ممن تسعى به قدم

انا الذي نظر الاعمى الى ادبي واستمعت كلماتي من به صمم
فزاد ذلك ابا فراس شيطاناً وقال محتداً : « قد سرقت هذا من
عمرو بن عروة ابن العبد حيث يقول :

اوضحت من طرق الاداب ما اشتكلت

دهراً واظهرت اغراباً وابداعاً

حتى فتحت باعجاز خست به

للعمى والصمم ابصاراً واسماعاً

ولما انتهى المتنبي الى قوله

الحيل والليل والبيداء تعرفني والسيف والرمح والقرطاس والقلم

فقال ابو فراس : « وماذا ابقيت للامير ، اذا وصفت نفسك بكل
هذا ؟ تمدح الامير بما سرقة من كلام غيرك ، وتأخذ جوائز الامير !
اما سرقت هذا من الهيثم بن الاسود النخعي الكوفي المعروف بابن
العريان العثماني :

انا ابن الفلا والطعن والضرب والسرى

وجرد المذاكي والثنا والقواضب

فقال المتنبي متابعاً .

وما انتفاع اخي الدنيا بناظره اذا استوت عنده الانوار والظلم

فقال ابو فراس « وهذا سرقة من قول معقل البجلي »

اذا لم امز بين نور وظلمة بعيني فالعينات زور وباطل

ومثله قول محمد بن أحمد مرة المكي :

إذا المرء لم يدرك بعينه ما يرى فما الفرق بين العمي والبصراء

وضجر سيف الدولة من كثرة المناقشة في هذه القصيدة ، وكثرة دعاويه فيها ، فضربه بالدواة التي بين يديه فقال المتنبي على الفور :

ان كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح ، اذا ارضاكم ، الم
فقال ابو فراس : « وهذا اخذته من قول بشار .

اذا رضيتم بأن منجني وسركم قول الوشاة فلا شكوى ولا ضجر
ومثله قول ابن الرومي :

اذا ما الفجائع اكسبتني رضاك فما الدهر بالفاجع
فلم يلتفت سيف الدولة الى ما قاله ابو فراس ، واعجبه بيت المتنبي ورضي عنه في الحال وادناه اليه ، وقبل رأسه ، واجازه بألف دينار ثم اردفها بألف أخرى .

ان هذه المناقشة الطريفة الجريئة تبين لنا اعتداد المتنبي ، وفخره من جهة ، ثم ثقافة البيئة التي كان المتنبي يعيش فيها ، وحسد الشعراء ورجال الادب منه من جهة أخرى .

وقبل ان ننقل الى كيفية خروج المتنبي من عاصمة سيف الدولة في طريقه الى عاصمة كافور ، واغلب الظن ان هذا كان بناء على اتفاق سابق مع رسل كافور لأن المتنبي بعد هذه الحوادث التي تكاثرت عليه ، والتي نالت من كبريائه فكير بالرحيل ولذا رحب برسل كافور اليه ولم يكن خروجه عبثاً .

قلت : قبل ان ابين كيفية خروج المتنبي من لدى سيف الدولة سألمح الى ناحية هامة ، تفرعت بسببها الآراء ، وتشعبت فيها الظنون

وهي ، هل احب المتنبي شقيقة سيف الدولة ؟
 انني اخالف الكثيرين من الذين يقولون بأن المتنبي لم يحب شقيقة
 سيف الدولة ، وارد على هذا السؤال : بنعم .

فنقمة ابو فراس عليه ليست من اجل منافسة شعرية فحسب ،
 ثم اوسال ابو العشائر غلامانه لأغتيال المتنبي ، ان لذلك اعتبارات خاصة
 فلا بد انها عرفا نوايا الشاعر نحو نسيبتها ، ثم عندما عرف المتنبي
 خبر الاغتيال ومن وراءه قال معاتباً صاحب الفكرة :

وممتسب عندي الى من أحبه^١ وللنبل حولي من يديه حفيف^٢
 الى ان يقول :

فان كان ينبغي قتلها يك^٣ قاتلاً^٤ بكفيه فالقتل الشريف شريف
 ماذا اذنب المتنبي بحق الصديق القديم ، حتى يستحق القتل الشريف ؟
 انا اعتقد ان تطاوله على حرم الامير هو الذنب العظيم ، بل تفكيره
 في ذلك من الذنوب التي لا تغتفر ، لذا ارادوا اغتياله .

ولنعد الى شعر المتنبي ، لنعد الى رثائه للأخت الصغرى اسيف
 الدولة ، ثم رثائه لفقد الأخت الكبرى التي كان المتنبي ولا شك يحبها
 ويحترمها ، فلنسمع قوله في صدد رثاء الصغرى وقد ماتت قبل
 الكبرى .

ولكن قبل ان نصل الى هذا سنشير الى انقطاع المتنبي عن سيف
 الدولة البعض من الوقت ثم عودته اليه وقوله :

ولكن حمى الشعر الا القليل^٥ ل^٦ هم^٧ حمى النوم إلا غرارا^٨
 وما انا اسقمت^٩ جسمي به^{١٠} ولا انا اضرمت في القلب ناراً

فلا تلزمني ذنوب الزمان الي اساء واياي ضارا
وهذا الهم الذي يلزم القلب ويعرض الجسم ، ولا يقدر الإنسان له
رداً ان هو إلا الحب .

ثم سنثبت هنا هذه المقطوعة الحلوة ، هذه الاغنية الجميلة :
لعينيك ما يلقي الفؤاد وما لقي وللحب ما لم يبق مني وما بقي
واحلى الهوى ما شك في الوصل ربه

وفي الهجر فهو الدهر يرجو ويتقى
سقى الله ايام الصبا ما يسرها

ويفعل فعل البابلي المعتقد
اذا ما لبست الدهر مستمعاً به تحرقت والملبوس لم يتخرق
لعيني من ما يلقي الفؤاد ؟ لعيني خولة ولا شك
ولنعد الى موضوع الرثاء .

يقول في رثاء الاخت الصغرى :
ماذا قست ما اخذن بما غا درن سرى عن الفؤاد وسلى .
اذن فخولة افضل من شقيقتها . لماذا ؟ لانه يحبها .

ثم رثائه لخولة نفسها حين وفاتها بعد خروجها من حلب .

يا اخت خير اخ يا بنت خير اب كناية بهما عن اشرف النسب
اجل قدرك ان تسمى مؤبنة ومن يصفك فقد سماك للعرب

الى ان يقول :

طوى الجزمة حتى جاءني خبرٌ فزعتُ به بآمالي الى الكذب

حتى ذا لم يدع لي صدقه املاً شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي

لماذا يبكي الشاعر ؟ انه الحب والجوى . وسأثبت البعض من هذه القصيدة ولك انت ان تفسر وان تستخلص منها ما تشاء ، اما انا فقد قر رأيي انه كان يجبهها ، فعاطفته الواضحة هي عاطفة محب ، ولوعته لوعة عاشق اضناه الهوى ، ونال منه الغرام وليست بحامئة فقط :

كان خولة لم تملأ مواكبها ديار بكر ولم تخلم ولم تهب

ولم ترد حياة بعد تولية ولم تفت داعياً بالويل والحرب

ارى العراق طويل الليل مذ نعيت

فكيف ليل فتى الفتيان في حلب

يظن أن فوادي غير ملتهب وان دمع جنوني غير منسكب

بلى وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد والقصاد والادب

ومن مضت غير موروثة خلائها

وان مضت يدها موروثة النشب

وهمها في العلى والمجد ناشئة وهم اترابها في اللهو واللعب

* * * * *

* * * * *

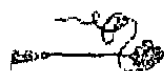
ولا رأيت عيون الانس تدر كها

فهل حسدت عليها أعين الشهب ؟

وترك المتنبي حلب بعد ان اشتال على اميرها من انه ذاهب الى
احدى ضيعه القريبة ، واكذبه لم يكذب بعد عن حلب حتى اوغل في
البعد في طريقه الى مصر ، ولخروجه من حلب قصة ايضاً

قيل انه جرت مناظرة لغوية بينه وبين ابن خالويه النحوي ، في
مجلس سيف الدولة فأدى بها الحديث والجدل الى النفور فالغضب ،
فلم يكن من ابن خالويه الا ان وثب على المتنبي وكان في يده
مفتاح ، فضرب به وجه المتنبي فشجه ، ولم يجد المتنبي من سيف الدولة
انتصاراً له ، ولا دفاعاً عن كرامته فغضب وقرر الرحيل عن حلب
واحتال بأمر الراحة والاستجمام ثم ارتحل بعيداً نحو دمشق ومنها
الى مصر حيث نزل على كافور حاكم مصر آنذاك ، ويفارق سيف
الدولة ولسانه يقول :

لا تطلبن كريماً بعد رؤيته ان الكرام بأسمخام يداً ختموا
ولا تبال بشعرٍ بعد شاعره قد أفسد القول حتى أحمد الصمم



في أرض النيل

وصل المتنبي مصر سنة ست وأربعين وثلاثمائة بعد ان فارق حلب بأشهر ، ولكن فراقه لحلب لم يذهب ذكرى أميرها ، بل سيرافقه هذا الأمير طوال عمره ، لانه لم يمر به مروراً عابراً ، بل لقي لديه ما لم يلقه عند غيره من الامراء فأنتعش مادياً ومعنوياً وأدبياً ، ولم يقدر ان ينسى ديار الشام ، تلك الديار التي دفعت بشعره مراحل نحو الكمال والخلود ، تلك الديار العنيدة الجبارة الصارمة ، التي بقيت لها الآثار الخالدة دائماً وأبداً في شعره وفي عاطفته .

واتى المتنبي مصر وتركها ، وكأنه لم يدخلها ابداً ، فلم يكن للبيئة المصرية في شعره سوى القدر اليسير ، انما كان شعره قد قسم بينه وبين ممدوحه فاذا القسم الاول للفخر والكبرياء ، والقسم الثاني للطموح والمدح والاستعطاف .

وكأنما اهداف المتنبي وامانيه التي اعتقد انه قد نجزها اثناء اقامته

في حلب في الوصول الى السلطة والحكم والاستقلال تعود اليه وكأنما ذلك الظل الواسع الذي كان المتنبي ينعم في افيائه في ديار الشام لم يجده على ضفاف النيل ولم يجد ايضاً ما يشغل نفسه عن الاحداث ، فاذا بفكرة الاستقلال تعاوده هذه المرة مليحة عنيفة وحياة المتنبي في مصر ، وشعره في حاكمها ، كل هذا يهدف فيه الى الامر الذي طالما حلم به الشاعر ، وطالما عاش من اجله ، انه يريد الاستقلال ، ويرغب في السلطة ، وسيستخر من جديد لسانه وقلبه وعاطفته اذا احوج الامر ، والكبرياء التي حرص عليها ، سيستخر كل شعبي في

سميل السلطة

قلت ان المتنبى ترك ديار الشام ، وانتقل الى بلاد النيل ، ولكن عاطفته وقلبه لا زال الحنين والشوق يتغلب عليهما الى تلك الديار ، التي اشبعت نهم ذلك القلب الى حياة كلها الحركة ، وكلها التطاحن وكلها الحياة والقوة والعزم ، واقتحام المعارك بين خفقي البنود ، ورنين السيوف ، فلذا بقيت عاطفته نحو الشام ظاهرة في شعره ، وسنتبين بعد مرحلة قصيرة من وجوده في مصر عاطفة اخرى وخاصة هامة سبغت شعره ، تلك التي لم تكن سوى الظل الواضح من الحزن والحسرة والفجيعة ، ثم هذا النوع من الغناء الحزين ، ثم التهمك من حكام مصر ومهاجمة اهلها وخضوعهم وخنوعهم .

هل كان في جملة الشروط كي يشخص المتنبى الى كافور ، ان يمنحه هذا الاخير ولاية يتصرف بها كيف شاء . انا اعتقد هذا ، ورب قائل ما هي فائدة شخوص المتنبى الى كافور . وماذا يجني كافور من شخوص المتنبى اليه حتى يعده بولاية ؟ على هذا نجيب ، من ان الشاعر في ذلك الوقت كان يقوم مقام وسائل الدعاية اليوم من صحافة واذاعة وكتابة وخطابة ، فلذا كان لا بد لكافور ان يستغل هذه الصحيفة التي انتشر صيتها ، وذاعت بلاغتها في اكثر الاقطار بل في الاقطار الاسلامية بأسرها ، ونحن نرى اليوم كيف ان الجريدة المنتشرة القوية يتهافت عليه المعلنون والسياسيون ، انها المصالح والمنافع المتبادلة والمشاركة .

ولنعد الى اوائل ايامه في مصر ، ولنرى كيف يمدح الحاكم الذي اتى يطلب في ظلاله السلطان والمجد ، والذي ترك من اجل هذا السلطان عشيره وصديقه واتجه اليه ، وسوف لا نطيل الحديث عن شعره في معرض هذه الدراسة لاننا سنفرد لها مكاناً في منتخباته .

قال يمدح كافوراً بهذه القصيدة التي مطلعها :

كفى بك داءً أن ترى الموت شافياً وحسب المنايا أن يكن أمانياً
تمنيتهما لما تمنيت أن ترى صديقاً فأعيا ، أو عدواً مداحياً
ولاحظ معي هذا التطلع الى سيف الدولة وذكره .

فراق ومن فارت غير مذم وأم ومن يمت خير ميمم
اذن فهو لا يذم سيف الدولة ، ولكنه يعجب من هذا الفراق
الذي كتب عليه ، وكأنما المتنبي قد أدرك أنه لن يبلغ لدى
حاكم مصر ما يريد :

اغالب فيك الشوق والشوق اغلب

واعجب من ذا الهجر والوصل اعجب

ولكنه مع كل هذا يريد أن يتملق كافوراً حتى يصل الى
هدفه .

قواصد كفورٍ توارك غيره ومن قصد البحر استقل السواقيا
انه لا يريد أن يتملق كافوراً فحسب بل يريد ايضاً أن يداعب
ويغيط سيف الدولة ، ويعود المتنبي الى حاجته .

فقد تهب الجيش الذي جاء غازياً لسائلك الفرد الذي جاء عافياً
وكانما كفور قد اطلال عليه وعوده فلم يجد المتنبي مفراً من التصريح
وفي النفس حاجات وفيك فطانة سكوتي بيان عندها وخطاب
وما انا بالباغي عن الحب رشوةً ضعيف هوى يبغي عليه ثواب

وما شئت الا ان ادل عواذلي علي ان رأيي في هوالك صواب
الى ان يقول :

اذا نلت منك الود فالمال هين وكل الذي فوق التراب تراب
وما كنت لولا انت إلا مهاجراً له كل يوم بلدة وعجاب
ولكن الأسود يماطله ولا يستجيب له .
ابالمسك هل في الكأس فضل اناله

فاني اغني منذ حين وتشرب
ويعرض بحاجته الى ان يقول :

وكل امري يولي الجميل محب وكل مكان ينبت العز طيب
وفي هذا البيت ، نلمس المتنبي بشخصيته التي تتعشق ذاتها ،
فهي المسرورة حيث تجد الجميل ، وراضية حيث تجد العز والمجد .
وفي هذه الاثناء يتعرف المتنبي بأحد الامراء الشجعان ، والقواد
المغاوير ألا وهو فاتك الاسدي ، فيمدحه بعد ان يكون قد نفذ يده
من كافور ، وانما تعتمد ذلك كي يشير غيظ كافور .
ومدح المتنبي فاتكاً بعدة قصائد قال في مطلع احداها :

فلا ينجل في المجد ما اك كاه فينجل مجد كان بالمال عقده
ثم قصيدته الثانية :

لا خيل عندك تديها ولا مال فليسعد النطق ان لم يسعد الحال
ولا بد ايضاً من ان نشير الى ان استقبال كافور لمتنبي كان حافلاً ،
ولم يبخل عليه بشيء مما يحتاج من وسائل الرفاهية والنعيم ... الا ان المتنبي

لم يكن يريد هذا فحسب .
وفي مصر برزت حكمة الشاعر وفلسفته فهو الى كثره يصور الله ،
ونخوفه واغترابه ، ثم هذا اليأس الذي اطبق على نفسه ، اذا به
يصدق في رياض الحكمة والنبوغ والمعرفة ، والتفلسف على هذه
الحياة ومن فيها التي لم يحدد منها سوى الفشل واليأس ، وفلسفة المتنبئ
في هذه المرحلة متشائمة ، قلت فلسفة ان صحيح ان نقول عن حكمه
وتجاربه وآرائه وفلسفته ، ان فلسفته حياتية خاصة .

صحب الناس قبلنا ذا الزمانا وعناهم من شأنه ما عانا
وتولوا بغصة كلهم منه ه وان سر بعضهم احيانا
ربما تحسن الصنيع لبياليه ولكن تكدر الاحسانا
وكانا لم يرض فينا بريب الدهر حتى اعانه من اعانا
كلما انبت الزمان قناة ركب المرء في القناة سنانا
ومراد النفوس اصغر من ان تتعادي فيه وان تتفاني

اذن ما دام الدهر لم ينصفه في مصر ، وما دام اضحى في شبه
سجن ، وما دام صاحبه كافور قد اخل بالشروط التي تعهد بها فليرحل
عنها ، ورحل عنها حقاً الا انه تراك لهذا الرحيل ضجة ما بعدها ضجة -
سند ذكر قصيدته في المنتخبات - .

ولكن الى ابن سيرحل ، بل الى ابن سيهر ب من هذه الاسوار التي
احاط بها كافور هل سيعود الى سوريا ، وهل الذي تركها على ما تركها ،
وفي الشكل الذي لم يكن سيف الدولة راضياً عنه ، واستطاع المتنبئ ان
يفلت من اسوار كافور الى الصحراء الواسعة ولم تفلح البعثات التي

ارسلها كافور للقبض عليه ، لانه أوغل في الصحراء في طريقه الى العراق .

ودخل بغداد بعد الكوفة ، فأقام فيها سبعة اشهر او ثمانية الا انه لم يقل في هذه المرحلة شعراً ، وهو الذي لم ينجو من لسانه سلطان بغداد وامرائها عندما كان في حلب ، او في مصر ، فكيف يمدحهم الآن ؟ هل يمدح من شتمهم البارحة ؟ كلا . لن يفعل . بل فضل الصمت والسكون .

وقد يكون المتنبي قد فكر بالعودة الى حلب الا انه فكر بالعودة الى مسقط رأسه الى الكوفة ، يستقبل فيها امره بالتفكير والروية ، وعاد الى الكوفة حقاً ، وفي هذه الاثناء وردته هدية سيف الدولة فشكره باللامية المشهورة ، ثم نعت اليه اخت سيف الدولة ، فرثاها بتلك القصيدة التي اتينا على ذكرها فيما سلف ، وفي هذه الاثناء يغير القرامطة على الكوفة فيقاتلهم المتنبي ، ويتناولهم بأقذع الالفاظ ، فيهجو داعياً بدوياً من دعائهم ضبة بن يزيد الكلبي :

ما انصف القوم ضبة وأمه الطرطبة

وهي اقذع ما قال المتنبي في الهجاء .
اذن لقد تنكر لمذهبه القرمطي ، ولقد تنكر لأشياء وعقائد ، كانت لها مكانة وشأناً في حياته ذات يوم .
وفي هذه الاثناء يصله كتابان في وقت واحد ، احدهما من سيف الدولة يطلب منه الحضور اليه ، والثاني من ابن العميد يستزيره في ارجان ، فأرسل الى سيف الدولة يقول :

فهمت الكتاب ابر الكتب فسمعا لامر امير العرب

اما جوابه ابن العميد فكان رجليه اليه .

ويصل المتنبي ارجان في شهر صفر سنة اربع وخمسين وثلاثمائة
وهناك يلقاه ابن العميد احسن لقاءً ، وينحده الهدايا والقبسات ، ثم ظفر
من هناك بالاتصال بعضد الدولة بعد ان مدح ابن العميد بعدة قصائد
قال في مطلع اولها :

بادِ هوالك صبرتْ او لم تصبرا

وبكاك ان لم يجر دُمُعتْ او جرى

وعند ارتحاله الى ديار عضد الدولة في شيراز ودع ابن العميد
بهذه القصيدة :

نسيت وما انسى عتاباً على الصد ولا خفر زادت به حمرة الحد

وفي شيراز رحب عضد الدولة بالمتنبي خير ترحيب وابقاه عنده
اشهر ثلاث مدحه فيها المتنبي فأكثر المدح واجاد ، مدحه بست
قصائد وارجوزة ومقطوعة ، يقول في احدى القصائد :

أوه بديل من قوائى واه كمن نأت والبديل ذكرها

ثم في مطلع غيرها ، وهي قصيدة مشهورة لما فيها من الصور
الحية ، والحنان الى بلاده .

مغاني الشعب طيباً في المغاني بمنزلة الربيع من الزمان

ثم في اللامية :

أثلث فائاً ايها الطلل نبكي وترزُم تحتنا الابل

اما مطلع المقطوعة :

قد صدق الورد في الذي زعما انك حيرت نثره ديماً

ثم الارجوزة :

ما اجد رَ الايام والليالي بان تقول ما له وما لي

وترك المتنبي عضد الدولة ، مثقلاً بالهدايا والعطايا ، وانتهى الى واسط في شهر رمضان من سنة اربع وخمسين . وثلاثائة ، ونزل على صديق له يدعى ابن نصر محمد الجبلي ثم تركه بعد ان نصحه هذا الاخير بأن يسير معه حراساً في خدمته ، الا ان المتنبي رفض وعندما وصل في طريقه الى بغداد ، وبالقرب من دير العاقول ، تلقاه فاتك بن ابي جهل الاسدي واصحابه من الاعراب ، فكان بينه وبينهم اشد القتال ثم تكاثر فاتك برجاله فقتلوه وقتلوا صحبه ، واخذوا ما كان معه من المال والمتاع .

وتروى حول هذه المعركة قصة ، من ان المتنبي حاول الهرب الا ان غلامه قال له : « لا يتحدث الناس عنك بالفرار وانت القاتل الخيل ، والليل ، والبيداء تعرفني والسيف والرمح ، والقرطاس والقلم فقال المتنبي : « قتلتنى ، قتلك الله ! » وحمل على الاعداء فقتل ، وقتل ابنه محمد وغلامه مفلح .

ومن المؤكد ان فاتك قد انتقم لابن اخته ، ثم انتقم لعقيدته اذ من المرجح انه كان من القرامطة المتعصبين .

لقد عاش المتنبي حياة حافلة ، ومات ميتة حافلة ايضا ولكن شعره احدث دويلاً عظيماً في عصره ، وما اعقبه من عصور .

والمتنبي شاعر جريء في فرض شعره ، شامخ في روعته ذلك الشعر الحياتي وقد يكون قد جرى الاقدمين في بعض الفنون الشعرية ، انما قد يفني مع الزمن بعض آثار اولئك الاقدمين . ولكن شعر المتنبي سيبقى خالداً لانه يلائم كل مكان ، وكل زمان وقد يفنى ايضا ما ضعف من شعره وهو اليسير الا ان قصائده وامثاله وحكمه ستبقى انشودة الرجال في العصور المقبلة .

مختارات من شعره

المدح

مدح سيف الدولة وتمنيته بعيد الاضحى

قال يمدح سيف الدولة وتمنيته بعيد الاضحى سنة ٢٤٢ هـ .
(١٧ نيسان ٩٥٤) وانشده اياها في ميدانه بجلب ، وهما على
فرسيهما :

لكل امريء ، من دهره ، ما تعودا !
وعادت سيف الدولة الطعن في العدى ،
وان يكذب الارجاف عنه بضده !
ويممي ، بما تنوي اعاديه ، اسعدا . (١)
وربَّ مُرِيدٍ ضره ، ضر نفسه ،
وهاد اليه الجيش اهدى ، وما هدى .
ومستكبر لم يعرف الله ساعة ،
رأى سيفه في كفه ، فتشهدا . (٢)

(١) الارجاف : الاكثار من الاخبار الكاذبة .

(٢) تشهد : نطق الشهادة

هو البحر ! غص فيه ، اذا كان ساكناً ،
على الدر ، واحذره ، اذا كان مزبداً ،
فاني رأيت البحر يعثر بالفتى ،
وهذا الذي يأتي الفتى ، متعمداً .
تظل ملوك الأرض خاشعة له :
تفارقه هلكى ، وتلقاه سُجّداً
ومتحي له المال الصوارم والقنا ،
ويقتل ما تحي التيسم والجداء (١)
ذكي ، تظنّيه طليعة عينه : يرى قلبه ، في يومه ، ما ترى ، غداً
وصولاً الى المستصعبات بخيله ، فلو كان قرن الشمس ماء لا ورداً
لذلك سمى ابن الدُمستق يومه مماتاً ، وسماه الدُمستق مولداً (٢)
سريت الى جيحان ، من ارض آمد
ثلاثاً ، لقد ادناك ركض وابعدا . (٣)
فولى ، واعطاك ابنه وجيوشه جميعاً . ولم يعط الجميع ليحمداً
عرضت له دون الحياة وطرفه ، وابصر سيف الله ، منك ، مجرداً

(١) الجداء : المنح

(٢) الدُمستق لقب قائد جيش الروم

(٣) جيحان : نهر بأسية الصغرى . آمد

وما طلبت رزقُ الاسنة غيره ولكن قسطنطين كان له الفدى ،

فاصبح يجتاب المذوح مخافة ،

وقد كان يجتاب الدِلاصَ المسردا (١)

ويمشي به العُكَّازُ ، في الدير ، تأبغا وما كان يرضى مشي أشقر أجردا

وما تاب حتى غادر الكبرُ وجهه جريجا ، وخلي جفنه النقع ارمدا

فلو كان ينجي من علي ترهب

ترهبت الاملاك مثنى وموحدا (٢)

وكل امرئ في الشرق والغرب ، بعده

يُعد له ثوبا من الشعر اسودا !

هنيئا لك العيدُ الذي انت عيدُه وعيدُ لمن سمى ، وضحتي وعيدا !

ولا زالت الاعياد لبسك ، بعده تسلم مخروقا ، وتعطي مجددا !

فذا اليوم ، في الايام ، مملك ، في الوري

كما كنت فيهم اوحدا ، كان اوحدا !

هو الجد ! حتى تفضل العين اختها

وحتى يكون اليوم ، لليوم ، سيدا (٣)

(١) فاصبح الضمير للدستق

(٢) الاملاك : الملوكة . علي اسم سيف الدولة

(٣) الجد : الحظ

فيا عجباً من دائلٍ انت سيفه ! اما يتوقى شفرتي ما تقلدا؟ (١)
ومن يجعل الضرغام، للصيده، بازه تصيده الضرغام فيما تصيده!
رأيتك محض الحلم في محض قدرة

ولو شئت ، كان الحلم منك المهنددا (٢)

وما قتل الاحرار كالغفو عنهم ، ومن لك بالحر الذي يحفظ اليدا !
اذا انت اكرمت الكريم ، ملكته وان انت اكرمت اللئيم ، قمرّدا!
ووضع الندى في موضع السيف ، بالعلی

مضر ، كوضع السيف في موضع الندى (٣)

ولكن تفوق الناس رأياً وحكمة ،

كما فقتهم ، حالاً ونفساً ومحتدا .

يدقّ علی الافكار ما انت فاعل ،

فيترك ما يحقى ، ويؤخذ ما بدا .

أزل حسداً الحساد عني ، بكبتهم ،

فانت الذي صيرتهم لي حسداً ، (٤)

(١) الدائل : ذو الدولة والمقصود به الخليفة

(٢) المحض : الخالص .

(٣) الندى : الجود .

(٤) كبته : اذله .

إذا شدَّ زندي حن رأيك فيهم

ضربتُ بسيفٍ يقطعُ الحمامَ مغمداً . (١)

وما أنا إلا سَمَّـري ، حماته فوزَّين معروضاً ، وراع مسدداً !

وما الدهرُ إلا من رواة قصائدي

إذا قلت شعراً ، أصبح الدهرُ متشداً :

فسار به مَنْ لا يسير ، مشمراً ، وغنى به مَنْ لا يغني ، مغرداً !

اجزني ، إذا انشدت شعراً ، فانما بشعري اتاك المادحون ، مردداً

ودع كلَّ صوت غير صوتي ، فاني

أنا الطائرُ المحكيُّ والآخِرُ الصدى !

تركْتُ السرى ، خلفي ، لمن قلَّ ماله

وانملت افراسي ، بنعماك ، عسجداً (٢)

وقيدت نفسي ، في ذراك ، محبَّةً

ومن وجد الاحسانَ قيداً ، تقييداً . (٣)

إذا سأل الانسانُ أيا مَه الغنى

وكنت علي بعدٍ ، جملتك موعداً

(١) الحمام : ح . الهامة : الرأس .

(٢) السرى : مشي الليل . العسجد . الذهب

(٣) الذرى . الكنف

قال المتنبي يمدحه ويذكر القلعة الحدث وانشده اياها بعد
انتصاره على الدمستق ، في الحدث :

على قدرِ اهل العزم ، تأتي العزائم
وتأتي ، على قدر الكرام ، المكارم ،

وتعظم ، في عينِ الصغير ، صغارها
وتصغر ، في عينِ العظيمِ العظامُ ،

يكلّف سيف الدولة الجيشَ همّه
وقد عجزت عنه الجيوش الحضارمُ ، (١)

ويطلب عند الناس ما عند نفسه وذلك ما لا تدّعيه الضراغم

يفدّي اثم الطير عمرًا سلاحه ، نسور الفلا: احداثها والقشاعم (٢)

وما ضرّها خلقٌ بغيرِ مخالبٍ ، وقد خلقت اسيافه والقوائم (٣)

هل الحدثُ الحمراء تعرف لونها وتعلم اي الساقيين الغنائم ؟ (٤)

سقتها الغمامُ الغرُّ فقل نزوله فلما دنا منها ، سقتها الجماجم (٥)

(١) الحضارم . ج . الحُزرم . الكثير من كل شيء . اي . يكلّف الجيش ان يقوم
بما تقتضي به همته من الحروب والغزوات ، وهو امر تعجز عنه الجيوش الكبيرة ، ولكن
جيش سيف الدولة لا يعجز

(٢) القشاعم . المسنة من النسور

(٣) القوائم . ج . قائم السيف ، وهو مقبضه

(٤) الحمراء . لتأطخها بدماء الروم

(٥) نزوله . الضمير لسيف الدولة

بناها فاعلى والقنا يقرع القنا وموج المنيا حولها متلاطم،
 وكان بها مثل الجنون، فاصعبت ومن جث القتلى عليها قائم (١)
 طريدة دهر ساقها فرددتها على الدين، بالخطي، والدهر راغم
 تفيت الليالي كل شيء أخذته وعن لا يأخذن منك، غوارم.
 اذا كان ما تنويه فعلاً مضارعا مضى، قبل ان تلقى عاينه الجوازم
 وكيف ترجي الروم والروس هدمها

وذا الطعن أساس لها ودعائم (٢)
 وقد حاكموها، والمنيا حواكم فامات مظلوم ولا عاش ظالم
 اتوك يحرون الحديد، كأنما سرّوا بجياد ما لمن قوائم.
 اذا برقوا، لم تعرف البيض منهم ثيابهم من مثلها والعمائم (٣)
 خميس بشرق الارض والغرب زحفه

وفي اذن الجوزاء، منه، زمازم (٤)
 تجتمع فيه كل لسن وأمة فانيهم الحداث الا التراجم

(١) التائم . ج . قيمة . تعريضة

(٢) الروس . فئة من المرتزقة في الجيش البيزنطي، اصحابهم من مناطق روسية وسكاندنيافية

[٣] البيض . السيوف . الثياب والعمائم . استعارة للدروع والخوذ

[٤] الخميس . الجيش المؤلف من خمس فرق . الزمازم . ج . زمزمة . صوت الرعد

فَلَا تَهْ وقتٌ ذَوَّبَ الغشَّ نَارُهُ فلم يبقَ الا صارمٌ او ضبارم !
تَقَطَّعَ ما لا يَقْطَعُ الدرعَ والقنا وفرَّ من الفرسان من لا يصادم (١)
وقفت ، وما في الموت شكٌ لو اقف كأنك في جفن الردى ، وهو نائم
تمرُّ بك الابطال ، كلُّى ، هزيمةٌ ووجهك وضاحٌ وتغرُّك باسم (٢)
تجاوزت مقدار الشجاعة ، والنسهى

الى قول قوم : انت بالغيب عالم (٣)
ضمت جناحيهم على القلب ضمة تموت الحوافي ، تحتها ، والقوادم
بضربٍ اتى الهامات ، والنصر غائب
وصار الى اللبسات ، والنصر قادم (٤)

حقرت الردينيات حتى طرحتهما
وحتى كأنَّ السيف للرمح شاتم ! (٥)
ومن طلب الفتحَ الجليل ، فانما مفاتيحه البيض الخفاف الصوارم
نثرتهم فوق الاحيدب كله

كما نُثرت ، فوق العروس ، الدراهم (٦)

[١] تقطع ... اي تكسر من السيوف ما لم يكن قاطعاً .

[٢] كللى . ج . كليم . جويج

[٣] النسهى . العقر

[٤] الهامات . الرؤوس . الباب ، اعالي الصدور

[٥] الردينيات : الرماح .

[٦] الاحيدب : جبل الحدث

تدوس بك الخيل* الوكور على الذرى

وقد كثرت ، حول الوكور المطاعم

تظن فراخ الفُشخ انك زرتها بأماتها ، وهي العتاق الصلادم .

إذا زلقت مشيتها ببطونها كما تتمشى ، في الصعيد ، الراقم

أفي كل يوم ذا الدمستق مُقدم ؟ ققاء ، على الاقدام ، للوجه ، لاثم .

أينكر ريح الليث ، حتى يذوقه ؟ وقد عرفت ريح الليوث البهائم

وقد فجعته بابه ، وابن صهره وبالصهر ، حملات الامير الغواشم

مضى ، يشكر الاءحاب ، في فوته الظلي

لما شغلها هائمهم والمعاصم ، (١)

ويفهم صوت المشرفية ، فيهم على ان اصوات السيوف اعاجم

يدربا اعطاك ، لا عن جهالة ولكن مغنوما نجا منك غانم

ولست مليكاً هازماً لنظيره

ولكنك التوحيد للشرك هازم (٢)

تشرف عدنان به ، لا ربيعة وتفتخر الدنيا به ، لا العواصم

لك الحمد ، في الدر الذي لي لفظه فانك معطيه ، واني ناظم .

[١] الظلي ، حدود السيوف ، المعاصم ، اطراف السواعد

[٢] الشرك ، القول بان لله شركاء في الوهبة

واني كَتَعْدُو بِي عَطَايَاكَ، فِي الْوَعَى فَلَا أَنَا مَذْمُومٌ ، وَلَا أَنْتَ نَادِمٌ
عَلَى كُلِّ طَيَّارٍ إِلَيْهَا بِرَجْلِهِ إِذَا وَقَعَتْ فِي مَسْمَعِيهِ، الْغَمَاغِمُ (١)
إِلَّا أَيُّهَا السَّيْفُ - الَّذِي لَيْسَ مُغْمَدًا

وَلَا فِيهِ مَرْتَابٌ ، وَلَا مِنْهُ عَاصِمٌ -

هَنِيئًا لَضَرْبِ الْهَامِ ، وَالْمَجْدِ ، وَالْعَلَى

وَرَا حِيَاكَ ، وَالْإِسْلَامَ ، أَنْتَ سَالِمٌ !

وَلَمْ لَا يَقْبَلِ الرَّحْمَنُ حَدِيثَكَ ، مَا وَقَى

وَتَقْلِيْقَهُ هَامَ الْعَدَى ، بِكَ ، دَائِمٌ ؟

مدح كافور

كافور هو عبد خصي ، كان غلامان الأمير ابن طنج أمير مصر يصفعونّه
في الأسواق كما رأوه ، فيضحك . فقالوا : إن هذا الأسود خفيف
الروح . وكلم أبو بكر محمد بن طنج صاحبه في بيعه ، فوهبه له ،
فأقامه على وظيفة الخدمة . حتى توفي سيده أبو بكر ، عن
ولد صغير ، فأخذت البيعة له . فتفرد كافور بخدمته ، وخدمة أمه ،
فقرب من شاء وأبعد من شاء . ثم ملك الأمر على ابن سيده ،
وامر أن لا يكلمه أحد من ممالك أبيه ، ومن كلمه أوقع به .
فلما كبر ابن سيده ، وتبين ما هو فيه ، جعل يبوح بما في نفسه ،
بعض الأوقات على الشراب . ففزع الأسود منه وسقاه سمًا فمات ،
وخلت مصر له . وهو الذي ذهب المتنبّي إليه في مصر كما تقدم .

[٣] الغماغم : الأصوات المختلطة ، أي جلبة الحرب ،

ومن مدائح المتنبي له هذه القصيدة ، وانشده اياها في جمادي الآخرة
٣٤٦ هـ (ايلول ٩٥٧)

كفى بك داءً أن ترى الموت شافيا !
وحسب المنايا أن يكن أمانيا !

تمنيتهما ، لما تميت ان ترى
صديقاً ، فأعيا ، او عدواً مداجياً ! (١)
اذا كنت ترضى ان تعيش بذلة فلا تستعدن الحسام اليمانيا
ولا تستطيلن الرماح لغارة ولا تستجيدن العتاق المذاكيا
فما ينفع الاسد الحياء من الطوى ولا تستقي حتى تكون ضواريا .
حببتك ، قلبي ، قبل حبك من نأى

وقد كان غداراً ، فكن أنت وافيا . (٢)
واعلم أن البين يشكيك ، بعده

فلاست فؤادي ، إن رأيتك شاكيا (٣)
فان دموع العين مغدر برها إذا كن ، إثر الغادرين ، جواريا !

[١] مداجياً ، اي مدارياً

[٢] الطوى ، الجوع

[٣] البين ، البعد

إذا الجود لم يُرزق خلاصاً من الأذى

فلا الحمد مكسوباً ، ولا المال باقياً

وللنفس أخلاقٌ تدلّ على الفتى أكان سخاءً ما أتى ، أم تساخياً .

أقلّ اشتياًفاً ، أيها القلب ، ربّما رأيتك تصفي الودّ من ليس صافياً
خلقتُ الوفاً ، لو رجعت إلى الصبي

لفارقت شبي ، مومع القلب باكياً !

ولكنّ بالفسطاط بجرّاً أزرتَه حياتي ونُصحي والهوى والقوافيا

وجرداً مددنا بين آذانها القنا فبتن خفافاً يتبعن العواليا (١)

تماشى بأيدي ، كلما وافت الصفا نقشن به صدر البزاة ، حوافيا

وتنظر من سودٍ صواقٍ ، في الدجى

يرين بعيداتِ الشخوص ، كما هيما

وتنصب ، للجرس الخفيّ ، سوامعاً

يُنلن مناجاةً الضمير تناديا (٢)

تجاذب فرسان الصباح أعنةً كأن على الأعناق ، منها ، أفاعيا

بغرم يسير الجسم في السرج راكباً به ، ويسير القلب في الجسم ماشياً

[١] جرداً ، قصار الشعر ، يريد بها الخيل

[٢] الجرس ، الصوت

قواصد كافور ، توارك غيره

ومن قصد البحر استقل السواقيا (١)

فجاءت بنا انسان عين زمانه وخسئت بياضا ، خلفها ، وماقيا

نحوز عليها المحسنين الى الذي نرى عندهم إحسانه والاياديا (٢)

فتى ما سرينا في ظهور جدودنا

الى عصره ، الا نرجي التلاقيا (٣)

ترفع عن عون المكارم قدره فمايفعل الفملات إلا عذاريا (٤)

يسبب عداوات البسغة بلطفه فان لم تبد منهم ، أباد الاعاديا .

ابا المسك ، ذا الوجه الذي كنت تأثقا

اليه ، وذا اليوم الذي كنت راجيا ! (٥)

لقيت الكرورى والسناخيب ، دونه

وجبت هجيرا يترك الماء صاديا .

ابا كل طيب ، لا ابا المسك وحده وكل سحاب ، لا اخص الغواديا

يدل بمعنى واحد كل فاخر وقد جمع الرحمن ، فيك ، المعانيا .

[١] قواصد ، حال من الجرد اي الخيل ، والمراد ارباب الخيل

«٢» نحوز ، نتخطى ، عاينها ، الضمير للخيل - فيه تعريض بسبب الدولة

«٣» الجدود ، الخطوظ

«٤» عون ، ج ، عوان : المرأة المتزوجة

«٥» ابو المسك ، كنية كافور لسواده ، وهي على سبيل التضاد

إذا كسب الناس الممالي ، بالندى فانك تعطي ، في نذاك ، المماليما
وغير كثير أن يزورك راجل فيرجع مملكا للعراقين ، واليا
فقد تهب الجيش الذي جاء غازيا لسائلك الفرد الذي جاء عافيا (١)
وتحتقر الدنيا احتقار مجرب يرى كل ما فيها ، وحاشاك ، فانيا!

مدح ابي العشائر

هو الحسن بن حمدان احد اقرباء سيف الدولة وعن يده اتصل
المتنبي بسيف الدولة كما تقدم .

أتراها ، لكثرة العشاق تحسب الدمع خلقة في المآقي ؟
كيف تترى التي ترى كل جفن راءها - غير جفنها - غير راق

* * *

ليس ، الا ابا العشائر ، خلق ساد هذا الانام باستحقاق !
طامن الطعنة التي تطعن النهي لمق ، بالذعر ، والدم المهرق
ذات فرغ ، كأنها في حشا الخ بر عنها ، من شدة الاطراق (٢)
ضارب الهام ، في الغبار ، وما يرهب أن يشرب الذي هو ساق .

* * *

ثاقب الرأي ، ثابت الحلم ، لا يقدّر امره له على إقلاق .

(١) العافي ، القاصد المعروف

(٢) الفرغ : مخرج الماء من الدلو

يا بني الحُرث بن لقمان ، لا تَهْ

لَمَّكُمْ ، في الوغى ، متون العتاق (١)

بغشوا الرعب ، في قلوب الاعادي

فكان القتال ، قبل التلاقي

وتكاد الظبي ، لما عودوها تنتضي نفسها الى الاعناق .

واذا اشفق الفوارس من وقع القنا ، اشفقوا من الاشفاق (٢)

كلُّ ذمير يزداد ، في الموت ، حسناً كبدور تمامها في المحاق (٣)

جاء على درعه منيته ، إن لم يكن ، دونها من العار ، وراق .

كرمٌ خشنٌ الجوانب منهم فهو كالماء في الشيفار الرقاق (٤)

ومعال ، اذا ادعاهما سواهم لزمته جنابة السراق .

يا ابن من كلما بدوت ، بدا لي غائب الشخص ، حاضر الاخلاق

لو تنكسرت ، في المكر ، لقوم حلفوا ، أنك ابنه ، بالطلاق (٥)

كيف يقوى ، بكفك ، الزند ، والآفاق فيها كالكف في الآفاق !

قل نفع الحديد فيك ، فما يلا قماك ، الا من سيفه من نفاق .

(١) بنو الحُرث بن لقمان : اهل الممدوح

(٢) الاشفاق ، الخوف

(٣) المحاق ، آخر ابالي القمر

(٤) الشفار : ج ، شفرة ، حد السيف

(٥) المكر ، مكان المكر في الحرب

إلف هذا الهواءِ أوقعَ في الأَفسَسِ أن الحمامِ مرُّ المذاقِ
والأَسَى ، قبل فرقة الروح عجزُ والاسى لا يكون ، بعد الفراق !
كم ثراءٍ فرجتَ بالرُّمَحِ عنه كان ، من يُنخلُ أهله ، في وثاق !
والغنى في يدِ اللئيمِ قبيح قدرَ قبحِ الكريمِ في الاملاق .
ليس قولي في شمسِ فعلك كالشمسِ ، ولكن كالشمس في الاشراق
شاعرُ المجدِ خدُّهُ شاعرُ اللغظِ ، كلانا ربُّ المعاني الدِّفاق !
لم تزل تسمع المديح ، ولكنَّ صهيلَ الجياد غير السُّنْهاق .
ليت لي مثل جدِّ ذا الدهر ، في الأدُّهر ،
أو رزقه من الارزاق !
انت فيه ، وكان كلُّ زمانٍ يشتهي بعضَ ذا على الخلاق !

مدح بدر بن عمار

هو بدر بن عمار الاسدي ولقد لزمه المتنبي فترة من الزمن وفي
تلك الاثناء يلتقي بدر بأسد فيهرب الاسد منه ، وكان قد قتل اسداً
قبل ذلك فيمدحه المتنبي بهذه القصيدة :

أَمِيفَرَّ اللَّيْثُ الْهَيْزَبِ بِسُوطِهِ لَمَنِ ادْخَرْتَ الصَّارِمَ الْمَصْقُولَا ؟
وَقَعْتَ عَلَى الْأَرْدَنِ ، مِنْهُ ، بَلْسِيَّةٌ مُنْضِدَّتْ بِهَا هَامُ الرِّفَاقِ تَلُولَا
وَرَدٌ ، إِذَا وَرَدَ الْبَحِيرَةُ ، شَارِبًا وَرَدَ الْفِرَاتِ زَيْبُهُ وَالنِّيْلَا .
مَتَخَضَّبٌ بِدَمِ الْفَوَارِسِ ، لَا بَسَ فِي غِيْلِهِ ، مِنْ لِبْدَتِيهِ ، غِيْلَا

ما قوبلت عيناه الا ظننتما تحت الدجى ، نارا الفريق حلولا
في وحدة الرهبان ، الا انه لا يعرف التحريم والتحليلا
يطأ الثرى مترققاً ، من تيهه فكأنه آس يحس عليلا
ويرد عُفْرته الى يافوخه حتى تصير ، لرأسه ، إكليلا . (١)
وتظنه ، ممّا يُزجر ، نفسه عنها ، لشدة غيظه ، مشغولا
قصرت مخافته الخطي ، فكأنما ركب الكمي جواده مشكولا .
لقى فريسته ، وبرّ برّ دونها وقربت قرباً خاله تطفيلاً .
فتشابه الخلّقان في اقدمه وتخالفا في بذاك المأكولا
أسد يرى عضويه فيك ، كليهما : متناً ازل ، وساعداً مفتولا .

* * *

ما زال يجمع نفسه في زوره

حتى حسبت العرض منه الطولا (٢)

ويدق ، بالصدر ، الحجار كأنه يبني الى ما في الحضيض سبيلا .
وكأنه غرّته عينه ، فادّنى لا يبصر الخطب الجميل جليلا .
أنف الكريم من الدنيئة تارك في عينه ، العدد الكثير قليلا (٣)

(١) العفرة : شعر القفا

(٢) الزور : وسط الصدر

(٣) الاتف ، والاتفه . الاستنكاف .

والعار مضاض^١ ، وليس بخائف من حثفه ، من خاف ممّا قيل (١)
 سبق التقاء كه بوثة هاجم لو لم تصادمه ، لجازك ميلا .
 خذلته قوته ، وقد كافجته فاستنصر التسليم والتجديلا
 قبضت منيته يديه وعنقه فكأنما صادفته ، مغلولا .
 سمع ابن عمته به ، وبجاله فنجأ يهرول ، أمس ، منك ، مهولا
 وامر^٢ ممّا فر منه فراره ! وكفته ان لا يموت قتيلا !
 تاف الذي اتخذ الجراءة مخاة وعظ الذي اتخذ الفرار خليلا !
 لو كان علمك بالاله مقسما في الناس ، ما بعث الاله رسولا
 لو كان لفظك فيهم ، ما انزل ال فرقان ، والتوراة ، والانجيلا .
 لو كان ما تعطيهم ، من قبل ان تعطيهم ، لم يعرفوا التأميلا .
 فلقد عرفت ، وما عرفت حقيقة ولقد جهت ، وما جهت خولا
 نطقت بسوء ذلك الحمام ، تغنيا وبما تجشمها ، الجياد ، صهيلا .
 ما كل من طلب المعالي نافذا فيها ، ولا كل الرجال فحولاً .

الرجاء

هجاء كافور

أودع المتنبي الزمن هذه القصيدة الصارخة بعدان ماطله كافور طويلا ،
ولم يسلمه الولاية التي كان قد وعده بها ، ثم مضى عنه بل عن محرابها ،
عيد بأية حالٍ عُدت ، يا عيد ؟ بما مضى ! أم لا مَر فيك تجديد ؟
أما الأُحبة فالبيداء دونهم فليت دونك بيذاً دونها بيداً !
لولا العلى ، تجب بي ما أجوب بها

وجناء حُرْف ، ولا جرداء قيدود (١)

* * *

يا ساقِي ، أخطر في كؤوسكما ؟ أم في كؤوسكما هم وتسهيّد ؟
أصخرة أنا ؟ مالي لا تحركني هذي المدام ، ولا هذي الاغاريد
إذا اردت كبيت اللون ، صافية وجدتها ، وحبيب النفس مفقودا !
ما لقيت من الدنيا ؟ واعجبه أني ، بما انا شاكٍ منه ، محسود
أمنيت أرواح مُمثر ، خازناً ويدا أنا الغني واموالي المواعيد
إني نزلت بكذابين ، ضيفهم

عن القرى ، وعن الترحال محدود (٢)

(١) الجرداء . القصيدة الشعر . القيدود . الطويلة المنق

(٢) القرى . الطعام

جود الرجال من الايدي ، وجودهم
 من اللسان . فلا كانوا ! ولا الجود !
 ما يقبض الموت نفساً من نفوسهم
 الا ، وفي يده ، من ننتنها ، عود .
 اكلمنا اغتال عبد سوء سيده او خازنه ، فله ، في مصر ، قهيد ؟
 صار الحصي إمام الآبقين ، بها فالحر مستعبد والعبد معبود (١)
 نامت نواطير مصر عن ثعالبها فقد بشمن وما تقنى العناقيد (٢)
 العبد ليس لحر صالح بأخ لو أنه ، في ثياب الحر ، مولود .
 لا تشتري العبد الا والعصا معه ان العبيد لانجاس مناكيد !
 ما كنت احسبني احيا الى زمن نيسي بي فيه عبد ، وهو محمود
 ولا توهمت أن الناس قد فقدوا
 وأن مثل ابي البيضاء موجود (٣)
 وأن ذا الاسود المثقوب مشفرو
 تطيعه ذي المضاريط الرعايد (٤)

(١) الآبقين . نج ، الآبق ، الهارب من سيده

(٢) «بشم» اصابته تخمة من كثرة الاكل ، نواطير ، مصر ، ساداتها ثعالبها ، العبيد امثال كافور ، العناقيد ، الامراء

(٣) «ابو البيضاء» كنى بذلك كافوراً من باب السخرية والهزوء

(٤) «المشفرو» شفة البعير ، استعارها لكافور تحقيراً ، المضاريط ، ج ، المضروط ، الذي يتقدم بطعامه ، الرعايد ، الجبان

جوعان ، يأكل من زادي ، ويمسكني

حتى يقال : « عظيمُ القدر مقصود »

ويلمّمها خطّةً ! ويلمّم قابليها ! لملئها خُلق المهرية القود !

وعندها لذّ طعم الموت شاربه ان المنية ، عند الذل ، فنديد! (١)

من علّم الأسود المخصي مكرمةً ؟

أقومه البيض ، ام آباؤه الصيد ! (٢)

ام أذنه ، في يد النخاس ، دامية ؟

ام قدره ، وهو بالفلسين مردود (٣)

ولى اللّثام كويفير^١ بمعدرة

في كل لؤمٍ وبعض العذر تفنيد (٤)

وذاك أن الفحولَ البيض عاجزة

عن الجميل ، فكيف الخصية السود !

(١) « الفنديد عصير قصب السكر

(٢) « الصيد ، ج ، اصيد ، السيد العظيم

(٣) « النخاس ، بائع العبيد

(٤) « كويفير ، تصغير كافور ، الاحتقار

هجاء بن كيلغ

من هجائه لابن كيلغ بعد ان امتنع عن مدحه :

لهوى النفوس سريرة لا تعلم ! عرساً نظرت ، وختل أني اسلم

يا أخت ممتنق الفؤادس في الوغى

لا أخوك ثم ارق منك وارحم !

راعتك رائعة البياض بفرقي ولو أنها الاولى ، لراع الأسحم

لو كان يمكننى سفرت ، عن الصبى

فالشيب ، من قبل الأوان ، تلثم .

ولقد رأيت الحادثات فلا ارى يقفأيميت ، ولا سواداً يعصم . (١)

والهم يخترم الجسيم نخافة ويشيب ناصية الصبي ، ويهرم (٢)

ذو العقل يشقى ، في النعيم ، بعقله

واخو الجهالة ، في الشقاوة ، ينعم ! (٣)

والناس قد نبذوا الحفاظ ، فمطلق

ينسى الذي يولى ، وعافٍ يندم .

(١) اليق : الابيض ، الشيب

(٢) يخترم : يهاك

(٣) ينعم لقلة فكره

لا يَجِدُ عَنْكَ ، من عَدُوٍّ ، دَمْعُهُ

وَارْحَمِ شَبَابَكَ ، من عَدُوٍّ ، تَرْحِمُ .

لا يَسْلَمُ الشَّرَفُ الرَّفِيعُ مِنَ الْأَذَى حَتَّى يَرِاقَ ، عَلَى جَوَانِبِهِ ، الدَّمُ !

يُوْذِي الْقَلِيلُ ، مِنَ اللَّثَامِ ، بِطَبْعِهِ مِنْ لَا يَقِلُّ ، كَمَا يَقِلُّ وَيَاوُمُّ

وَالظُّلْمُ مِنْ شَيْمِ النُّفُوسِ ، فَإِنْ تَجَدَّذَا عَفْوَ ، فَلَعَلَّةَ لَا يَظْلِمُ !

وَمِنَ الْبَلِيَّةِ عَذْلٌ مِنْ لَا يَرْعَوِي عَنْ غِيِّهِ ، وَخُطَابٌ مِنْ لَا يَفْهَمُ

* * *

الرثاء

رثاء جدته

رثى المتنبى جدته بهذه القصيدة ، وكانت لهذه الجدة منزلة رفيعة في نفسه ويقال انها ماتت من الفرح بعد ان وصلتها رسالة منه وكانت قد يئست من عودته :

ألا ! لا أري الأحداث مدحاً ولا ذمّاً ؟

فما بطشها جهلاً ، ولا كفها حياءً . (١)

الى مثل ما كانت الفتى مرجع الفتى

يعود كما أبدي ، ويكرى كما أرمى .

ألك الله ؟ من منجوعة بجيبيها قتيلة شوقٍ غير ملحقها وصما ؟
أحن الى الكأس التي نربت بها

وأهوى ، لمثواها ، التراب وما ضما (٢)

بكيت عليها ، خيفةً في حياتها

وذاق كلانا ثكل صاحبه ، قدماً (٣)

* * *

(١) الأحداث : نوب الدهر

(٢) الكأس : المراد بها كأس الموت . المثوى : المقام ، اراء به القبر .

(٣) الثكل : الفقد

عرفتُ الليالي ، قبلَ ما صُغتُ بنا

فلما دَهنتني ، لم تردني بها علما ؟

* * *

أثاها كَنابِي ، بعد يَأْسٍ وَتَرْحَةٍ

فمات سرور أبي ، فثُ بها غمًّا . (١)

حرامٌ على قلبي السرور ؟ فاني

اعدُّ الذي ماتت به ، بعدها ، 'سما (٢)

تعجبُ من لفظي وخطي ، كأنما

ترى بحروف السطور أغربةً عُصما

وتلثمه ، حتى أصار مداده

محاجرَ عينيها وانياها سُحماً . «٣»

رقا دمعها الجاري ، وجفَّت جفونها

وفارق حي قلبها ، بعد ما ادمى «٤»

(١) الترحة : الحزن

(٢) به : الضمير للسرور . - إشارة الى انها ماتت سرورا .

(٣) السحيم . ج . الاسحيم . الاسود .

(٤) رقا الدمع . انقطع - المعنى

ولم يُسلِّها الا المنايا ، وانما
اشدُّ من السقم الذي اذهب السُّقما
طلبت لها حظاً ، قفّات ، وفاتني
وقد رضيت بي ، لو رضيت بها قسماً .
فاصبحت استسقي الغمام لقبرها
وقد كنت استسقي الوغى والقنال الصماء .
و كنت ، قُبيل الموت ، استعظم النوى
فقد صارت الصغرى التي كانت العظمى
هَبيني اخذت الثارَ فيك من العدى ؟
فكيف باخذ الثارَ فيك من الحمى ؟
وما انسدت الدنيا عليّ لضيقها ولكنَّ طرفاً لا أراك به أعمى
فوا أسفاً ألا أكبَّ مقبلاً
لرأسك والصدر الذي ملأ حزنماً ؟
والألاّ أُلَاقِي روحك الطيب الذي
كأن ذكيّ لمسك كان له جسماً ؟
ولو لم تكوني بنت اكرم والدٍ
لكان اباك الضخم كونيّ لي أمّاً

لئن لَدَّ يومَ الشامتين بيومها لقد ولدت مني لانتهم رَغماً ؟
تَقَرَّبَ لَا مُسْتَعْظَمًا غَيْرَ نَفْسِهِ وَلَا قَابِلًا ، إِلَّا خَالِقَهُ ، حُكْمًا
وَلَا سَالِكًا إِلَّا فُؤَادَ عِجَاجَةٍ وَلَا وَاجِدًا ، إِلَّا لِمُكْرَمَةٍ ، طَعْمًا
يَقُولُونَ لِي : « مَا أَنْتَ ؟ » فِي كُلِّ بَلَدَةٍ

« وَمَا تَبْتَغِي ؟ » مَا ابْتَغِي جَلَّ أَنْ يُسَمَّى
كَأَنْ بَيْنَهُمْ عَالَمُونَ بَأْتِي جُلُوبٌ إِلَيْهِمْ ، مِنْ مَعَادِنِهِ الَّتِي
وَمَا الْجَمْعُ بَيْنَ الْمَاءِ وَالنَّارِ ، فِي يَدَيَّ
بَأْصَعْبٍ مِنْ أَنْ أَجْمَعَ الْجَدَّ وَالْفَهْمَا « (١) »
وَلَسَكُنِّي مُسْتَنْصِرٌ بِذُبَابِهِ
وَمَرْتَكِبٌ فِي كُلِّ حَالٍ بِهِ الْغَشَا « (٢) »
وَجَاعَلُهُ ، يَوْمَ الْإِقَاءِ تَحِيَّتِي
وَالْإِلَّا فَلَسْتُ السَّيِّدَ الْبَطْلَ الْقَرَّمَا « (٣) »
إِذَا قُلَّ عَزْمِي ، عَنْ مَدَى ، خَوْفٍ بَعْدَهُ

فَابْعَدْ شَيْءٍ مُمَكَّنٌ لَمْ يَجِدْ عَزْمًا

« (١) » الْجَدُّ . الْخُطْبُ

« (٢) » الذُّبَابُ . الْحَدُّ . الْغَشْمُ

« (٣) » الْقَرَمُ ، مُتَقَدِّمُ الْقَوْمِ

وإني لمن قومٍ كأن نفوسهم
بها أنفٌ أن تسكن اللحم والعظم «١»
كذا أنا ، يا دنيا اذا شئتِ فاذهبي
ويا نفس ، زيدي في كرائها قدما ؟
فلا عبرتٌ بي ساعةٌ لا تعزني ؟
ولا صحبتني مهجة تقبل الظلما
رثاء ام سيف الدولة

ماتت ام سيف الدولة سنة ٣٣٧ هـ (٩٤٨ م) فقال يرثيها
ويعزي الامير ومن هذه قصيدة :
نعد الكشرفية والموالي وتقتلنا المنون بلا قتال
ورتبط السوابق مقربات وما يُنجين من خبب الليالي «٢»
ومن لم يعشق الدنيا قديماً ولكن لا سبيل الى الوصال
تصيبك في حياتك ، من حبيب نصيبك ، في منامك ، من خيال
رمانى الدهر بالارزاء ، حتى فؤادي في غشاء من نبال «٣»
فصرت ، اذا اصابني سهمٌ تكسرت النصال على النصال
وهان ، فما أبالي بالرزايا لاني ما انتفعت بان أبالي .

«١» الانف ، الاستمكاف

«٢» السوابق ، صفة للخيل ، مقراب اي قريبة من البيت ، الحبيب ، نوع من الرقص
يكرن بالمراوحة بين البدين والرجلين «٣» الارزاء المنصائب

وهذا أول الناعين طرّاً لأول مِيْتَةٍ في ذا الجلال
 كأنّ الموت لم يفجعْ بنفسٍ ولم يخطرْ لمخلوقٍ نبال !
 صلاة الله خالقنا حنوطاً على الوجه المكفّن بالجمال (١)
 على المدفون ، قبل التراب ، صوناً وقبل اللحد ، في كرم الحلال !
 فإنّ له ، بطن الارض ، شخصاً جديداً ذكرناه ، وهو بالي .
 أطاب النفس أنك متّ موتاً تمنّته البواقي والحوالي .
 وزلت ، ولم تزيّ يوماً كريهاً تُسرّ النفس فيه بالزوال . (٢)
 رواق العزّ فوقك مُسطرّ ومملك عليّ ابنك في كمال (٣)
 سقى مشواك غادٍ ، في الغواصي نظير نوال كفافك ، في النوال ! (٤)
 وليست كالاناث ، ولا اللواتي مُتعدّ لها القبور من الحجال (٥)
 ولا من في جنازتها تجار يكون وداعها نفصّ النعال
 مشى الامراء ، حوكيها ، حفاةً كأن المروّ من زِفِ الرّئال (٦)

(١) الصلاة : هنا يقصد بها الرحمة والمغفرة . الحنوط : طيب تعالج به جثة الميت
 فتخفظ من الفساد . الوجه المكفّن بالجمال : اشارة الى ان الموت لم يغير محاسنها .

(٢) زلت : انقضيت

(٣) مسطرّ : ممتد

(٤) المثوى : المقام

(٥) الحجلة : الستر

(٦) الرّئال : ولد النعام .

وأبرزت الحدودُ غيبات

يضمن النقصُ أمكنةً الفؤالي (١)

أتتهنَّ المصيبةُ ، غافلاتٍ فدمع الحزن في دمع الدلال .
ولو كان النساءُ كنَّ فقدنا لفضلت النساءُ على الرجال !
وما التأنيثُ لاسم الشمس عيبٌ ولا التذكيرُ فخرٌ للهلال !
وأفجعُ مَنْ فقدنا مَنْ وجدنا مُقبيلُ الفقد ، مفقودُ المثال !
يُدَفَّنُ بعضنا بعضاً ، وتشي أواخرنا على هامِ الأوالي .
ولم عسینِ مقبلةُ النواحي كحيلُ بالجنادل والرمال
ومُنْفَضٍ ، كان لا يُغْضِي لخطبٍ وبالٍ ، كان يفكرُ في الهزال
أسيفُ الدولة ، استنجدُ بصبرٍ وكيف بثل صبرك للجبال
وانت تعلم الناسَ التعمزي

وخوض الموت في الحرب السجال (٢)

وحالاتُ الزمان ، عليك ، شتَّى وحالك واحد في كل حال (٣)

رأيتك ، الذين ارى ملوكاً كاناك مستقيمٌ في محال (٤)

(١) النقص : الخبر

(٢) السجال التوازن بين فريقين

(٣) شتَّى : متفرقة .

(٤) المحال : المعوج .

فان تُنقِ الاثام وانت منهم فان المسك بعض دم الغزال

رثاء اخت سيف الدولة

كان ابو الطيب في الكوفة سنة ٩٦٣ ، فورده نعي اخت سيف الدولة وكانت قد توفيت في ميا فارقين . فكتب الى اخيها في حلب يرثيها ويعزيه ومن الأرجح ان المتني كان يحمل لهذه السيدة الحب الصادق والعاطفة المخلصة كما تقدم مما جعله يسلك بشعره هذا المسك الزاخر بالاحاسيس والمشاعر التي سنتبينها في هذه القصيدة الرائعة :

يا أختَ خيرِ أخٍ ، يا بنتَ خيرِ أبٍ

كنايةً بهما عن أشرف النسبِ

أجلَ قدرِكَ أن تُسمِّي مؤبنةً ومن يَصِفُكَ فقد سَمَّاكَ للعرب
لا يملك الطربُ المحزونُ منطقَه

ودمعه ، وهما في قبضة الطرب .

غدرت ، يا موت ! كم أفنيت من عدد

بمن أصبت او كم اسكت من لجب (١)

وكم صحبت أخاها في منازلة !

وكم سألت ! فلم يبخل ، ولم تحب !

طوى الجزيرة ، حتى جاءني ، خبر

فزعت فيه بآمالي الى الكذب

حتى اذا لم يدع لي صدقه أملاً
شرقت بالدمع حتى كاد يشرق بي (١)
تعثرت به ، في الافواه السنن
والبرد في الطرق ، والاقلام في الكتب .
ارى العراق طويل الليل ، منذ نعت

فكيف ليل فتى الفتيان ، في حاب ؟
يظن أن فؤادي غير ملتهب وأن دمع جفوني غير منسكب ؟
بلى ! وحرمة من كانت مراعية لحرمة المجد ، والقصاص والادب
ومن مضت غير موروثة خلائقها

وان مضت يدها موروثة النشب (٢)
وهمها في العلى والمجد ، ناشئة وهم أترابها في اللهو واللعب

* * *

يا احسن الصبر ، زراً أولى القلوب بها
وقل لصاحبه : « يا انفع السحب
واكرم الناس ، لا مستثنياً احداً
من الكرام ، سوى آبائك النجب

(١) شرق : غس

(٢) الخلائق : ج . الخائفة . الصفة المحممة . النشب : المال

قد كان قاسمك الشخصين دهر^١هما وعاش در^٢هما المفدي بالذهب
وعاد ، في طلب المتروك تارك^٣ه انا لنفعل ، والايام في الطالب ؟
ما كان اقصر وقتاً كان بينهما !

كأنه الوقت بين الورد^٤ والقرب (١)

جزاك ربك ، بالاحزان ، مغفرة !
فحزن كل^٥ اخي حزن أخو الغضب .

وانتم نفر^٦ ، تسخو نفوسكم

بما يهين ، ولا يسخون بالسلب (٢)

حلتم^٧ من ملوك الارض كلهم

محل^٨ سمر القنا ، من مائر القصب (٣)

فلا تنل^٩ك الليالي ! إن ايديها

إذا ضربن ، كسرن^{١٠} النبع بالغرب (٤)

ولا يعين^{١١} عدو^{١٢}اً انت قاهره !

فانهم^{١٣} يصيدن^{١٤} الصقر بالحرب .

(١) الورد : اتيان الماء للشرب . القرب : السير في الليل الى الماء

(٢) نفر : الجماعة . يسخون : الضمير لنفوسكم

(٣) القنا : الرماح

(٤) النبع : شجر صاب العود تؤخذ منه القسي ، ومن اغصانه السهام . الغرب : شجو

لين الاغصان ضعيف

وان سررنَ بمحبوبٍ ، فجمعن به

وقد أنينك ، في الحالين ، بالعجب .

وربما احتسب الانسانُ غايتها وفاجأته بأمرٍ غير مُحْتَسَب (١)

وما قضى احدٌ ، منها ، كلبانته

ولا انتهى أربٌ إلا الى أرب . (٢)

تخالف الناس ، حتى لا اتفاق لهم

إلا على شجبٍ والحلف في الشجب (٣)

فقليل : تخلص نفسُ المرءِ سالمةً

وقليل : تشاركُ جسمُ المرءِ في العطب

ومن تفكرَ في الدنيا ، ومُهجته

أقامه العكرُ بين العجزِ والتعب ! (٤)

(١) غابة الشيء : نهايته

(٢) اللبانة والأرب : الحاجة في النفس

(٣) الشجب : الهلاك . الحلف : الخلاف .

(٤) المهجة : الروح

رثاء عمة عضد الدولة

توفيت عمة عضد الدولة في بغداد ، وكان أبو الطيب عند هذا
الملك ، في شيراز ، سنة ٩٦٥ هـ ، فقال يرثيها ويعزيه :
آخِرُ مَا الْمَلِكُ مَعَزَّى بِهِ هَذَا الَّذِي أَثَّرَ فِي قَلْبِهِ !

* * *

لو درت الدنيا بما عنده لاستجيت الايام من عتبه !

* * *

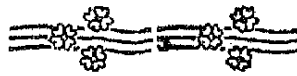
لا بدَّ للأناس من ضجعة لا تقلب المضجع عن جنبه (١)
ينسى بها ما كان من 'عجبه وما اذاق الموت من 'كربه
نحن بنو الموتى ، فما بالناس نعاق ما لا بدَّ من شربه !
تبخل ايدينا بارواحنا على زمان ، هنَّ من كسبه !
فهذه الأرواح من جوّه وهذه الاجساد من 'تربه !
لو فكّر العاشق في منتهى حسن الذي يسببه ، لم يسببه !

* * *

يموت راعي الضأن ، في جهله ميتة جالبئوس ، في طبه
وربما زاد على عمره وزاد في الاثم على سربه .

(١) الضجعة : اسم مرة من ضجع بمعنى اضطجع ، المراد به الموت

وغيابة المفراط في سلمه كغاية المفراط في حربه
فلا قضى حاجته طالب فؤاده يحقق من رعبه !
أستغفر الله لشخص مضي كان نداء منتهى ذنبه
وكان من عدد إحسانه كأنما افراط في سببه
يزيد ، من حب الملى عيشه ولا يريد العيش من حبه
يحسبه دافنه وحده ومجده في القبر من صحبه



الفخر

كنا قد ذكرنا في معرض دراستنا الشيء الوافر من فخره ،
ونثبت هنا امثلة من ذلك الفخر ، في هذه القصيدة التي يمدح بها سيف
الدولة يقترون المدح بالفخر كما نرى .

واحر قلباه

(١) واحرَّ قلباه مِمَّنْ قلبه شبيم

ومن ، بجسمي وحالي ، عنده ، سَقَم

ما لي أكتُمُ حبًّا قد برى جسدي ،

وتدعي حب سيف الدولة الأُمم ؟

ان كان يجمعنا حبُّ لغرَّتِه ،

فليت أنَّا ، بقدر الحبِّ ، نقسم !

قد زرتَه ، وسيوف الهند مغمدة ،

وقد نظرت اليه والسيوف دم ،

فكان أحسنَ خلق الله كلِّهم ،

وكان أحسنَ ما في الأحسنِ الشيم .

فوت العدو ، الذي يمتُّه ، ظفره ،

في طينه أسف ، في طينه نِعَم .

قد ناب عنك شديدُ الخوف ، واضطنعت
لك المهابةُ ما لا تصنع البهائمُ ،
ألزمتَ نفسك شيئاً ليس يلزمها
أن لا يواريهن أرضٌ ولا علم
اكلها رمت جيشاً فانشى هرباً
تصرفت بك في آثاره ، الهمم
عليك هزمهم في كل معتركٍ
وما عليك بهم عارٌ ، اذا انهزموا
اما ترى ظفراً حلواً سوى ظفر
تصافحت فيه بيض الهند والليم
يا أعدل الناس ، إلا في معاملتي
فيك الخصام ، وانت الخصم والحكم
أعيدها نظراتٍ منك صادقةً
ان تحسب الشحم فيمن شحمه ورم
وما انتفاع اخي الدنيا بنظره
اذا استوت ، عنده ، الانوار والظلم

سيعلم الجمع ممن ضم مجلسنا
بانني خير من تسعى به قدم!
انا الذي نظر الاعمى الى ادبي
واسمعت كلماتي من به صمم!
انام ، ملء جفوني ، عن شواردها
ويسهر الخلق جراحاها ، ويختصم
وجاهل مدّه في جهل ضحكى
حتي اتته يد قرّاسة وفم
اذا رأيت نيوب الليث بارزة
فلا تظنن ان الليث يبتسم!
ومهجة مهجتي من هم صاحبها ادركتها بجواد ظهره حرم
رجلاه في الركض ، رجل ، واليدان يد
وفعله ما تريد الكف والقدم
مرهف سرت ، بين الجحفلين ، به
حتي ضربت ، وموج الموت يلتطم!

الخيل والليل والبيداء تعرفني

والسيف والرمح والقرطاس والقلم

صحبت ، في الفلوات ، الوحش منفرداً

حتى تعجب مني القُور والآنكم

يا من يمزُّ علينا ان تفارقهم

وجداننا كل شيء ، بعدكم ، عدم

ما كان أخلقنا منكم بتكرمة لو ان امركم من أمرنا أمم

إن كان سركم ما قال حاسدنا فما لجرح ، اذا ارضاكم ، ألم

وبيننا ، لو رعيتهم ذاك معرفة ان المعارف ، في اهل النهى ذمم

كم تطلبون لنا عيباً ، فيمجزكم ويكره الله ما تأتون ، والكرم

ما ابعد العيب والنقصان ، عن شرفي

انا الثريا ، وذان الشيب والهـرم

ليت الغمام ، الذي عندي صواعقه

يزيلهن الى من عنده الديم

ادى النوى يقتضيني كل مرحلة

لا تستقل بها الوخادة الرُسم

اِنَّ تَرْكَنَ ضَمِيرًا عَنْ مِيَامِنَا لِيَحْدُثَنَّ ، لِمَنْ وَدَعْتَهُمْ ، نَدَمُ !
اِذَا تَرَحَّلْتَ عَنْ قَوْمٍ ، وَقَدْ قَدَّرُوا اَنْ لَا تَفَارِقَهُمْ ، فَالْراِحِلُونَ هُمْ
شَرُّ الْبِلَادِ مَكَانٌ لَا سَدِيقَ بِهِ

وَشَرُّ مَا يَكْسِبُ الْاِنْسَانُ مَا يَصِمُ
وَشَرُّ مَا قَنَصْتَهُ رَاحَتِي قَنَصٌ شَهَبُ الْبَزَاةِ سِوَاءَ فِيهِ وَالرَّخْمُ
بِأَيِّ لَفْظٍ تَقُولُ الشَّعْرَ زَعْنِفَةً

تَجُوزُ عِنْدَكَ ، لَا تُعْرِبُ وَلَا عَجْمُ
هَذَا عِتَابُكَ ! الْاَنَّهُ مُقَّةٌ قَدْ ضَمِنَ الدَّرَّ ، الْاَنَّهُ كَلَمُ
الْمَجْدِ وَالْمَالِ

من قصيدة مدح بها كافوراً :

اود من الايام ما لا توده واشكو اليها بيننا ، وهي جنده (١)
واتعب خلق الله من زاد هممه

وقصر ، عما تشتهي النفس وجدّه (٢)
فلا ينجل ، في المجد ، ما لك كاله

فينحل مجدّ كان بالمال عقده (٣)

(١) بيننا : فراقنا . جنده : الضمير للبين اي هي التي تقوم بالنفريق

(٢) الهم : بمعنى الهمّة . الوجد : الغنى ، فاعل قصر . - المعنى : اتعب الناس من

زادت هممه ، وقصرت طاقته عن قضاء مراده

(٣) فلا ينجل ... : اي لا تنفق كل مالك في سبيل المجد ، فيضيع ذلك المجد الذي

انما يكون بالمال

وَدَبْرُهُ تَدِيرُ الَّذِي الْمَجْدُ كَفَهُ

اذا حارب الاعداء ، والمال زنده (١)

فلا مجد ، في الدنيا لمن قلَّ ماله

ولا مال ، في الدنيا ، لمن قلَّ مجده

وفي الناس من يرضى بميسور عيشه

ومر كوبه رجلاه ، والثوب جلده (٢)

ولكن قلباً ، بين جنبي ، ماله

مدى ينتهي بي في مرادٍ أحدُهُ (٣)

يرى جسمه 'يكسى شفوفاً ترُّبه

فيختار ان يكسى دروعاً تهده (٤)

هؤلاء البشر

أفاضل الناس اغراضٌ لدى الزمن

يَنَلُّوْا من الهمم اخلاهم من اللفظن

١ [دبره : انضمير للسان .

٢ [والثوب جلده : أي عارياً .

٣ [المدى : الغاية . المراد : المطلوب . احده : اجعل له حداً .

٤ [يرى : انضمير للقاب . الشفوف : ج . الشف : الثوب الرقيق . ترُّبه : تنعيمه

وانما نحن في جيلٍ مَوَاسِيَةٍ
شَرٌّ عَلَى الْخُرِّ مِنْ سُقْمٍ عَلَى بَدَنِ
حَوْلِي ، بِكُلِّ مَكَانٍ ، مِنْهُمْ خَلِيقٌ
مُتَخَطِي ، إِذَا جِئْتُ ، فِي اسْتَفْهَامِهَا ، بَيْنَ
لَا اقْتَرِي بِلَدًّا إِلَّا عَلَى غَرَرٍ وَلَا أَمْرٌ بِخَلْقٍ غَيْرِ مُضْطَافِينَ (١)

ارانب

فَوَادٌ مَا تَسْلِيهِ الْمَدَامُ! وَعَمْرٌ مِثْلُ مَا تَهْبِ اللُّثَامُ!
وَدَهْرٌ نَاسَهُ نَاسٌ صَفَارٌ وَلَوْ كَانَتْ لَهُمْ جِثٌّ ضَخَامُ
وَمَا أَنَا مِنْهُمْ ، بِالْعِيشِ فِيهِمْ وَلَكِنْ مَعْدِنُ الذَّهَبِ الرَّغَامُ
ارانبُ! غَيْرِ أَنَّهُمْ مَلُوكٌ مُفْتَحَةٌ عِيُونُهُمْ ، نِيَامُ
بِأَجْسَامٍ يَجْرُ الْقَتْلُ فِيهَا وَمَا أَقْرَانُهَا إِلَّا الطَّعَامُ

طريق المجد

أَطَاعَنَ خِيَلًا مِنْ فَوَارِسِهَا الدَّهْرُ
وَحِيداً وَمَا قَوْلِي كَذَا ، وَمَعِيَ الصَّبْرُ؟

واشجع مني ، كلَّ يومٍ ، سلامتي ! وما ثبتت إلا وفي نفسها أمرًا
تمرَّست بالآفات حتى تركتها

تقول : «أَمَاتَ الموتُ ؟ أم دُعِرَ الذعرُ»

واقدمت إقدامَ الآتي ، كأنَّ لي

سوى مهجتي ، أو كان لي عندها وترُّ

ذَرِ النفسَ تأخذُ وسُعها ، قبلَ بينها

فمُتَرِّقٌ جارَانِ دارهما العمرُ

ولا تحسبنَّ المجدَ زَقًا وقِينَةً

فما المجدُ إلا السيفُ ، والفتكةُ البكرُ

وتضريبُ أعناقِ الملوكِ ، وأن تُرى

لكِ الهبواتُ السودُ والعسكرُ المجرُّ

وتركك ، في الدنيا ، دويًّا كأنمًا تدَاوَلَ سَمْعُ المرءِ انملةُ العشرُ

إذا الفضلُ لم يرفعك عن شكرِ ناقص

على هبةٍ ، فالفضلُ فيمن له الشكرُ

ومن يُنْفِقُ الساعاتِ ، في جمعِ ماله

مخافةً فقرٍ ، فالذي فعلَ الفقرُ

نضال

أقل فعالي - بله أكثره ! - مجد !

وذا الجد فيه ، نلت أم لم أنل ، جد^١ (١)

سأطلب حقي بالقنا ، ومشايخ

كلهم ، من طول ما التمشوا ، مرد

ثقال اذا لاقوا ، خفاف اذا دعوا

كثير اذا اشتدوا ، قليل اذا عدوا

وطعن ، كأن الظعن لا طعن عنده

وضرب كأن النار ، من حره ، برد

اذا شئت حفت بي ، على كل سابح

رجال كأن الموت فيهم شهد (٢)

أذم ، إلى هذا الزمان ، أهيله فاعلمهم قدم ، واحزمهم وغد (٣)

وأكرمهم كلب ، وابصرهم عم واسهدهم فهد واشجعهم قردا

ومن نكد الدنيا على الحر ان يرى

عدوا له ، ما صداقته بد^٤ (٤)

[١] الفعال : مصدر . بله : اسم فعل بمعنى : دغ . الجد : الاختباء - الجد : الخط
المعنى : ان أقل فعالي مجد ، فلا تقل عن أكثره . وان اجتهدني في طلبه حفظني على كل حال

[٢] السابح : الفرس السريع

[٣] أهيل : تصغير أهل للاحتقار .

[٤] النكد : قلة الخير . الحر : الكريم

الحكم والأمثال

وكنا ايضا قد اتينا على شيء من الحكم في شعر المتنبي ونزيد هنا بعض الامثلة والتي اصبحت مضرب الأمثال . وكل ذلك وليد تجارب خاصة لمصارعته الدهر ومقارعته الايام .

عيش الذليل

لا افتخارٌ إلا لمن لا يضامُ : مدرك ، او محارب لا ينام
ليس عزمًا ما مرَّض المرء فيه ! ليس همًّا ما عاق عنه الظلام !
واحتالُ الاذى ، ورؤيةُ جانيهِ غداءٌ تضيء به الاجسام
ذلٌّ من يَغبط الذليلَ بعيشٍ ! ربَّ عيش اخف منه الحمام !
كلُّ حلمٍ اتي بغير اقتدارٍ حُجَّه لاجيء اليها اللئامُ
من يهن يسهل الهوانُ عليه ما لجرح بميتٍ ايلام !

تقديره للرأي

الرأي قبل شجاعة الشجعان ! هو اولٌ وهي الحلُّ الثاني !
فاذا هما اجتمعا لنفسٍ حُرَّةٍ بلغت ، من العلياء ، كلَّ مكان !
ولربما طعن الفتى اقرانه بالرأي ، قبل تطاحن الاقران !
لولا العقول لكان ادنى ضيغم ادنى الى شرفٍ من الانسان !

حكم متفرقة

اذا غامرت ، في شرفٍ مرومٍ فلا تقنع بما دون النجوم

فطعم الموت في امر حقيرٍ كطعم الموت في امر عظيم

*

كريشةٍ ، في مهب الريح ، ساقطةٌ لا تستقرُّ على حالٍ من القلق

*

وقد يتزيا بالهوى غير اهله

ويستصحب الانسان من لا يلائمه!

*

واذا كانت النفوس كباراً تعبت ، في مرادها ، الاجسام!

*

ان السلاحَ جميعُ الناسِ تحمُّلهُ وليس كل ذوات الخلبِ السبعُ!

*

ومن سر اهل الارض ، ثم بكى أسي

بكى بعيون سرها ، وقلوبِ

*

ومن صعب الدنيا طويلاً ، تقلبت

على عينه ، حتى يرى صدقها كذباً

*

إذا ساء فعل المرء ساءت ظنونُه

وصدق ما يعتاده من توهم!

فاحسن وجهه ، في الوري ، وجه محسن

وايمن كف ، فيهم ، كف منعم!

*

تريدين إدراك المعالي رخيصةً

ولا بد ، دون الشهد من إبر النحل!

*

إذا اشتبهت دموع في خدودٍ تبين من بكى ممن تباكى!

*

وإذا اتتك مذمتي ، من ناقصٍ فهي الشهادة لي باني كامل!

*

وإذا ما خلا الجبان بأرضٍ طلب الطعن ، وخذده ، والنزلا!

*

وما الحسن في وجه الفتى شرفاً له إذا لم يكن في فعله والخلائق!



هذا جناه ابي علي وما جنيت على أحد

obeikandi.com

المعري ، المفكر الذي يمثل الذهن الانساني ، في اوسع حقوله
المعري ، ذلك الفنان الذي رسم لنفسه ولمجتمعه صورة حية مثلت في
الوقت نفسه خصائص فنه وادبه وعبقريته .
اذن لنلتصم هذه الصورة فيما انشد المعري من شعر ، وفيما اطلق من
اراء .

سأبدأ دراستي لهذا الفنان ... وانا اعتبر المعري فنانا، سأبدأ دراستي من
حيث انتهى هو ، او من حيث اعتبرنا نحن انه انتهى .
هذا جناه اي علي وما جنيت علي احد .
هذا ما اوصى ان يكتب على قبره .

ولكن ما هي الجناية التي ساقها عبد الله بن سليمان بن محمد
بن داود علي ولده ، حتى يتوجب هذه التهمة يلصقها به ولده
وفلذة كبده .

لي هنا بعض الرأي يخالف الكثير من الاراء وهو :
اجل ، لقد جنى عبدالله علي ولده . لقد جنى المعرفة ، اوليست
المعرفة جناية لمثل المعري ، اوليست المعرفة كسجن رهيب لنفس
حساسة ، ولقلب كبير ، وعقل لا يهدأ ولا يستقر إلا وقد
بلغ مرحلة لا تستوي عندها كل العقول ؟
المعرفة جناية لأنها تشقي صاحبها . اليس هذا حق ؟

ولد ابو العلاء بن عبد الله ... نهار الجمعة ٢٧ ربيع الاول
٣٦٣ هجرية الموافق ٢٦ كانون الاول ٩٧٣ ميلادية ، من اسرة
قديمة عريقة ينتهي نسبها الى قبيلة قضاة ثم الى قحطان ، التي هاجرت
الى سوريا فيمن هاجر من القبائل العربية حيث استوطنت المعرفة ،
او معرة النعمان ، وهي مدينة من المدن السورية واعمال حلب تقع على
٨٤ كلم من الجنوب الغربي لها ، وعلى نحو من ٦٠ كلم من

شمال مدينة حماه .

وللمعرة تاريخ حافل قاست خلاله هذه المدينة الكثير من المصاعب والحوادث ، من الحروب والكوارث التي طمست أكثر معالمها ومحت أكثر آثارها .

ولسنا هنا في معرض الحديث عن تاريخ هذه المدينة ، ولكن هذه المدينة قد اخذت تحتل مكانها في عالم الشهرة من حين ظهور المعري فاصبحت محجة للمعرفة وكعبة لأهل الأدب والفلسفة ، حتى بعد وفاة المعري برقت طويل عملت الحكومة ورجال الادب واهل الفكر على تقديس ذكرى وفاته فاقامت الاحتفالات التذكارية العديدة ، واخرجت الصحف والمجلات الاعداد الخاصة الحافلة عن حياته وفنه وادبه وفلسفته .

واذا كان قد وقف على قبر المعري حين وفاته الموافق نهار الجمعة في ٢٠ ايار سنة ١٠٥٧ م بعد مرض لم يمهله أكثر من ثلاثة ايام ، اذا كان قد وقف على قبره نحو من اربعين شاعراً يرثون فيه العبقرية والنبوغ والمعرفة والجرأة ، فلقد كرس الكثير من الجرائد والكتب والابحاث من عربية وغيرها لدراسة ثمار تلك العبقرية الفذة ، وتلك الذاكرة العجيبة ، والذكاء الحاد والشخصية الفريدة الجريئة في عالمها .

ان هذا يدل على ان موت الرجل لم يمهله امره ، بل سيستمر هذا الامر مع الزمن ما دام هنالك تطلع نحو جلاء الاسرار التي اكتنفت الكثير من المسائل التي تتناول حياتنا وتترك علامات استفهام ضخمة عند التساؤل عن اسرار وجودنا .

ولكن ما علاقة المعري بالوجود والحياة وما وراء الطبيعة ، حتى يقترن اسمه دائماً عند البحث بمثل هذه المسائل ؟

وكيف اضحى ذلك الاسم يذكر ويردد ويستشهد به عند البحث في مشاكل الدهر وحوادث الايام ، ما ظهر منها وما خفي .
واذا كان الامر كذلك فما هي خصائص تلك الشخصية ، وما هي العوامل التي تكاثفت على توجيهها هذه الوجهة التي انتهت اليها .
الواقع ان للعوامل التي تتكاثف لتكوين شخصية كشخصية المعري اثر لا بد ان يبرز وان يقوي ويقرر فيما يتعلق بنظرة صاحبه الى الناس ، ثم في توجيه افكاره ، واطلاق معتقداته والعامل الشخصي هنا واضح بارز ، في افكار الرجل فليس كالمعري الا ما ندر اتفقت افكارهم مع واقع حياتهم ، وليس كالمعري اتصلت حياته بأفكاره وشخصه اتصالاً وثيقاً ، كما سنتبين ذلك .
كما انه للعامل الخارجي خطوط بارزة في حياة الرجل وفنه وفلسفته ، اذن لم يعد لنا وعلينا إلا ان نعرف ما هي العوامل التي عملت على تكوين هذه الشخصية الفريدة ؟

العمى

اني احمد الله على العمى ، كما يحمده غيري على البصر

هل صحيح ان المعري كان سعيداً في عماءه ؟

اجيب : بلا . اليس هو القائل :

وكم اشتكت اشفار عين مسهدّها

وشفاؤها مما المّ اشفار

واطالما صارت ليلاً عاتماً فتى يكون الصبح والاسفار

وفي مكان آخر :

عمى العين يتلوه عمي الدين والهوى فليتي القصوى ثلاث ليالي

ثم يقول ايضا :

وما بسي طرف للمسير ولا السرى

لا في ضرير لا تضيء لي الطُرق

هل تلمس هذا التحرق ؟

هل يكون صاحب هذه الحشرات قد قنع بما قسم له
من ان يكون فاقد البصر ابد الدهر دونما حيرة ولا عبثة ؟ انا
لا اعتقد هذا .

ولكن تظاهره بالرضى والقناعة في سياق شعره في بعض
الاحيان لم يكن سوى مظهراً من مظاهر التجلد والتعزي .
ومهما يمكن من امر فان عمى المعري من الاسباب الرئيسية التي
وجهت حياته ، ثم نظرته الى الحياة والناس ، هذه النظرة التي
تقوم على دعائم الشك والتشاؤم والحيرة .

فاذا قلنا ان الصبي دهمه العمى وهو في الرابعة من عمره
ولم يعرف من الالوان الا الاحمر لانه البس ثوباً معصفاً اثناء
مرضه بالجدري ، لتبين لنا هذا النقص الفاضح في تلمس الجمال والتمتع
بما في الحياة من روائع الحسن .

ثم ، فان مرضه لم يتركه رفيق العصا فحسب ، ولكنه
ارفق الظلام بتشويها فظيماً بغيضاً الى نفس صاحبه وكريها في نظر
من شاهده .

ولكن هل العمى وحده وجه المعري الى هذه الطريق الفريدة
نوعاً ما بالنسبة لغيره من الذين كتب عليهم الحرمان من نعمة البصر ؟
الجواب على هذا . لا .

اذ اننا في كثير من الاحيان ما نرى العميان قد اندمجوا في

الحياة فنالوا منها ما نال غيرهم وقاسوا منها ما قاس غيرهم ، ولم يقذف بهم عماهم الى احضان الوحدة الموحجة . . . او المقنعة ، لست ادري .

اذاً لقد كان العمى بالنسبة للمعري نقطة انطلاق صادفت نفساً دقيقة الحس ، وقلباً مرهف الشعور ، وعقلاً دائم التأمل ، فاذا بهؤلاء جميعاً ، النفس ، والقلب ، والعقل ، بل وجميع المشاعر والجوارح لدى المعري تتأرجح طويلاً ، وهي تفتش عن السر في هذه المصيبة القاسية التي بلت بها دون غيرها . ثم عن العبرة من كل هذا ؟

واذا كان الصبي قد رافق الحيرة في هذا الامر في مستهل شبابه فلقد حاول اهله ان يغرسوا في نفسه العمل في الانتصار على هذه الكارثة التي ابتلي بها ، فشمله والده بعطفه واعدقت عليه امه من حنانها ما جعل الصبي يأنس الى الحياة محاولاً الاندماج فيها ، وتقضية وقته كواحد من هؤلاء الذين تضيق بهم الحياة نفسها .

وكأنما الحياة قد ضاقت ذرعاً بهذا الدخيل عليها ، وهي التي ارادت له حياة تختلف عن حياة الآخرين . وكأنما عز عليها ان يتحدى ارادتها فاذا بها تقذفه بسهم آخر من سهامها السامة عندما افقدته المنهل العذب الذي كان يستمد منه المعونة والعطف والمساعدة .

لقد حرمته الحياة اذن المعين المادي والروحي والعقلي ، والده وحنانه ايضاً ، والمدافع عن ضعفه . وكان الفتى لم يبلغ الرابعة عشر من عمره بعد ، فعززت هذه الكارثة الجديدة فكرة انعزاله عن الحياة اذ تركت وفاة والده فراغاً مريراً في حياته وراح يشكو ألمه ويرثي والده

بهذه القصيدة التي مطلعها :

نقمتُ الرضا حتى على ضاحكِ المزنِ فلا جاذني إلا عبوس على الدجن
والتي يقول فيها أيضاً

ونادبة في مسمعي كل قينة تغرد باللحن البري ، من اللحن

وهذه القصيدة تظهر لنا ميزة في شعر المعري أو فيما قال من الشعر في سقط الزند ، وهو أن الفتى يحاول أن يحاكي الشعراء الفحول ، ويعمل على اظهار قدرته على النظم حتى اتت مرثيته هذه خالية نوعاً ما من التأثير والتفجع الذي يجب ان يكون عادة في شعر الراثي لوالده :

ونلاحظ هنا ايضاً خاصية اخرى ظهرت فيما بعد ظهوراً واضحاً في شعره ، هذه الظاهرة هي شكه في مصير الناس بعد الموت :

طلبت يقيماً من جهينة عنهم ولم تخبريني يا جهين سوي الظن

اذن فالحياة لم تنه عن الفتى حتى الآن ، بل انها تمنع في الاساءة اليه فلقد فقد الفتى كما ذكرت بفقده والده منهلاً روحياً وثقافياً ، كما فقد ايضاً العائن المادي على مطالب الحياة . ولم يكن موت والده ، إلا ايزيد من مشكلة شكه في العدل الآلهي ، ثم تضخمت تلك العلامات من الاستفهام في خياله وفكره عن الحياة والوجود ودور الانسان ، بل كل ما يتعلق بهذا الخلق المستضعف الضعيف . لماذا خلق الانسان ؟ الى اين مصيره ؟ ما العبرة من وجوده ؟

اسئلة عديدة ومختلطة حاول المعري ان يوضح ما غمض منها ، وسنرى مقدار توفيقه في هذه المحاولة .

فاذا كان الرجل قد خلف بعده ابناً عاجزاً ، ضريباً ، وحيداً

لكنه ترك معه ايضا الاطلاع الواسع على ثقافة عصره والعصور السابقة ، لقد غرس حب المعرفة في نفسه ... فدفعه هذا الحب الى ان يكون مستعداً ابداً لطلب العلم والسعي في طريق المعرفة . كل هذه العوامل رسمت لافتي طريقه فمن التراث العائلي ، الى الذائرة القوية ، والذكاء النادر الى هذه العاهة التي تركت نفسه تتمزق في كل لحظة باحثاً عن العبرة في كل ما هي عليه . هذه العوامل يضاف اليها عوامل اخرى رسمت للمعري المنهاج الذي سنتبينه في دراستنا الموجزة هذه .

اما ما هي العوامل الاخرى التي اتينا على ذكرها فلا بد لنا ايضا هنا من توضيح حالة عصر كما اتينا على ذلك عند دراستنا للمتنبي . لقد كانت حالة عصر المتنبي والمعري ايضا عاملا اساسيا في 'خلق المعري' ، ثم في حياته العملية والفكرية .

ولست ابغي هنا ان اضع ترجمة لعصر المعري وهذا يستلزم كتابا خاصا ولكن لا بد ان نلم الماما عاما بأهم خصائص ذلك العصر من نواحيه الاقتصادية ، والسياسية ، والاجتماعية ، والاخلاقية ، والادبية ، والعقلية ، والدينية ايضا ، وذلك عند محاسبة الرجل على ارائه وبنات افكاره نعذره اذا كان له من عذر ، وندينه عندما يفقد ذلك المسبب ، او العذر ...

فمن الوجهة السياسية ، لقد عاصر المعري ثلاثة من خلفاء بغداد ولكنه لم تكن للخلفاء سوى تلك الألفاظ الفارغة ، والالقاب الفضاضة ، كانوا يملكون ولكنهم لا يحكمون ، واذا جاز لنا ان نطلق اسم خليفة على من كان يتمتع بهذه المكانة لكان ملوك بني بويه احق بها من اولئك الضعفاء من بني العباس ، الذين يجلسون على عروش هي اشبه بالأعيب بين ايدي بني بويه وغيرهم من الجنود والامراء والخدم والجواري .

ولقد كان عهد البويهي من اسوأ العهود فيما يتعلق بالاضطراب السياسي والاداري في بلاد العراق وفارس .

وفي اقاصي الشرق كانت الدولة السامانية في تجاري تنشر الاسلام ، وفي الاندلس ابتدأت الفتن والمطامع تنذر بالويل والثبور بعد موت عبد الرحمن الناصر

وفي مصر كانت الدولة الفاطمية تأخذ طريقها نحو العظمة السياسية ، فلقد امتد حكم الفاطميين من مصر الى الحجاز ثم الى الشام هذا فيما يتعلق بالعالم الاسلامي عامة . اما فيما يختص ببلاد الشام - سوريا - فسأتناول هنا امرها بالتفصيل نوعاً ما من حيث انها تهنا في دراسة المعري ثم تلقي بعض الاضواء على وضعنا القومي الذي يتخبط بعض ادبائنا وكتابنا عن التحدث عنه دون ان يلموا به اماما كافياً وهذا بعض نقص في مناهجنا الثقافي القومي .

لا يمكننا القول ان التغلب الحربي والعسكري في سوريا قد جعل منها بلداً عربية خالصة .

لقد كانت ديار الشام - سورية - عند الفتح الاسلامي . آهلة بالسكان ، وهم اصحاب حضارة انحدرت اليهم من حوراي وغيره من مفكري الامة السورية ومن واقع حياتهم ومحيطهم كأمة اتصت بأكثر أهم الارض المعروفة في تلك العصور ، فلذلك لم يكن من الممكن ان تفنى خصائص تلك الامة العريقة في الحضارة في هذا الفتح الجديد ، ولكنه يمكننا الاعتبار وهذا هو الواقع ان اكثر خصائص الفاتحين قد فُتيت واُضمحلت عندما وجدت نفسها وجهاً لوجه امام خصائص سكان البلاد السورية ، فلذلك ايضا لا يمكننا ان نعتبر اهل سوريا عرباً خالصاً ، وان كانهم امة لها خصائصها ولها اطوارها ، ولها حضارتها . حتى كانت ازمة ما بعد الفتح ازمة الاستقرار

وهنا لا يمكننا في الوقت نفسه ان نهمل دور الفاتح في الاختلاط
بسكان البلاد الاصليين ونشوء جيل جديد خليط ، ولكن هذا الاختلاط
لم يقدر له ان يطغى على حياة سوريا الاجتماعية الخاصة ، كما لم يستطع
ان يقضي على خصائص غيرها من الامم التي خفقت فوقها راية الاسلام
كالفرس ، والهنود ، وغيرهم ، ولكن نسبة الاختلاط بين السوريين
والعرب كانت اقوى واقرب واكثر انسجاماً من غيرها من
الشعوب .

قلنا ان الاختلاط ، فالجوار ، ثم الاشتراك في الاصل اوجد جيلاً
جديداً . وحصل هذا كما بينا بطبيعة الفتح ، وحكم الجوار ، ثم
تبادل المنافع .

واذا قلنا ان خلفاء المسلمين وقواد جيوشهم في اوائل الفتح لم
يكونوا ليسمحوا للجنود بالنزول الى المدن ، لتبين لنا ان هؤلاء
القواد كانوا يدركون ان جيوشهم سوف تفتن بهذه الحياة الجديدة على
جنودهم وسوف يندمج الجند بها لانها رائعة ومحبة ومثيرة . ولكن
خلفاء بني امية ضربوا عرض الحائط بهذا التقليد وسمحوا بالاختلاط
بل شجعوا عليه .

اذن نحن ازاء الجيل الجديد الذي كان نتيجة هذا الاختلاط
ولكن هذا الجيل لم يتسم بخصائص الصحراء والجزيرة التي خرج
منها الفاتحون . ما عدا ما يتعلق بالدين فمن المعروف ان الدين هو
الدين الاسلامي الذي اصبح دين الاكثرية الساحقة في دار سوريا ما عدا
بعض العناصر التي شملها الاسلام برعايته وتسامحه فبقيت على دينها .
اما فيما يتعلق بخلاف هذا من نواحي الحياة فنقد تميز هذا
الجيل ومن اتى بعده بخصائص البيئة التي نشأ فيها ، وتامس الجمال
في طبيعتها والخير والبركة في اهلها وارضها .

من ذلك ، فالفلسفة التي نشأت في الهلال الخصيب - سورية - والادب الذي تورع في ربوع هذه الطبيعة المعطاءة الخيرة لا يمكننا ان نشبهه ابداً بما بين ايدينا من شعر البدواة ، ثم نظرتهم الى الحياة قبل فتح سورية .

اذن ، لقد كونت الحياة العقلية هذه الاجيال التي نشأت عن هذا الاختلاط .

ومن خضم هذه الحياة الدائبة الحركة اخذ المعري مادته . وفي اعتقادي ان المعري لو نشأ في الحجاز مثلاً بعيداً عن هذه الحياة العقلية والدينية والاجتماعية الحافلة ، لأختلفت نظره الى الحياة ، وإلى الأديان ، وإلى المعتقدات ، ثم الى الناس بأسرهم .

واذا كان عصر المعري قد شاهد انقسام الأمة الواحدة الى دويلات ، لكل منها مصالح خاصة تسيورها التأثيرات السياسية ، والتشكيلات الاقليمية ، والمصالح الشخصية التي لم ينظر فيها الى مصلحة البلاد العليا ، اذا كان كل هذا قد حصل فعلاً ، فكثيراً ما تفرق الأحداث السياسية الامم كما هو الحال في امتنا اليوم وكثيراً ما يتحكم بعض الاشخاص في مرافق الأمة الواحدة فيعملون على تفريقها ، إن بوحى من مصالحهم الخاصة ، او من وازع اجني تتضارب مصالحه واتفاق كلمة هذه الأمة ووحدتها .

ولكن هذا لا يدوم فأدراك ابناء الامم لواقع حياتهم ، وحقيقة امهم لا بد من ان يجمع الكلمة ولا بد من ان يسود الاجتماع بعد التفسخ ، وزوال العوارض السياسية الزمنية ثم التيارات الداخلية الخاصة .

ونعود الى شاعرنا او فيلسوفنا وناقدا المعري لنؤكد انه عاش في خضم هذه البيئة وفي هذا العصر الذي فسدت فيه الحياة السياسية

وانحطت فيه القيم الاخلاقية ثم تحطمت الموازين الاقتصادية امام جشع المسيطرين على مراقق البلاد .

في تلك الأثناء . وبينما كانت بلاد الشام تضرب يوماً بين ايدي الحمدانيين ، وآخر بين ايدي الفاطميين ، وثارة في متناول الروم ، ثم طوراً في ايدي بني مرداس ، وفي خضم هذه التيارات الداخلية والخارجية حيث كثرت المفاسد والشرور ، نشأ المعري وعاش واختبر مر الحياة وشرها . ولم تداعب شعره نسمة خير واحدة في سعي هذه الرياح المجنونة .

واذا كانت حالة العصر السياسية ، والاجتماعية ، والدينية سيئة جداً ، فان الحياة الادبية والعقلية كانت بالعكس راقية زاهية ، اتت ثمارها ناضجة طيبة . وما نقوله عن الحياة الادبية والعقلية نقوله بصفة خاصة عن الحياة الفلسفية .

فلقد كانت حضارات اليونان ، والفرس ، والهند تترجم الى العربية ثم نشط المسلمون في الرد على المسائل التي اعترضت عقيدتهم من جراء هذه المذاهب التي عرفت لغتهم ، فنشأ اخوان الصفاء وغيرهم من الجمعيات والمذاهب كالمعتزلة ، ثم برزت طبقة الفلاسفة الذين توسعوا في معالجة امور الناس وما خفي عن الابصار في عالم الغيب .

في ذلك العصر نشأ التفكير الحر فحكم على اكثر الفلاسفة بالألحاد لانهم جحدوا امورا كثيرة اقرها الدين ، وسنجد ان المعري كان احدى دعائم هذا التفكير .

اذن فالمعري معاصر للأفكار الحرة الطليقة ، ولما كان ذكياً ينشد المعرفة . ويطلب الحقيقة وهو طليق حر فلقد ارتسمت امامه تلك العلامات الكبرى من الاستفهام عن وجود الانسان ومصيره

وفسادة . وكان لا بد له من ان يلم المأماً كافياً بعلوم عصره ، ومعارف وقته ، وما سلفه من عصور ، فلذا هاجر طالباً للعلم وناشداً للمعرفة ،

بعد هذه المرحلة الحافلة بالمصائب والصعوبات .
هذا كما بينا فيما يتعلق بمرافق الحيامن الوجهة العامة ونزيد على ما ذكرنا من الوجهة الادبية ، اذ انه لا بد لنا من ملاحظة ظاهرة سيكون لنا معها شأن هاماً خلال هذه الدراسة .
اما هذه الظاهرة فهي انتشار الفلسفة انتشاراً واسعاً ومفصلاً فان انتشار العلوم الفلسفية ، ثم دراسة الشعراء لها واهتمامهم بها وادخالها في انتاجهم قد اثر تأثيراً كبيراً في الشعر بصورة عامة ، ثم في الفاظه ومعانيه بصورة خاصة اذ انه قد استحدثت الالفاظ الجديدة التي تتناسب مع ما جاء في تلك المذاهب المتباينة المتعددة وهذا التأثير ادى عند البعض الى الأبهام في بعض الاحيان ، ثم التعقيد ايضاً ، واصبح فهم الشعر صعب المنال لجميع الفئات ، بل اقتصر في بعض الاحيان على فئة خاصة .

ثم هذه الالغاز التي استعملت لاختفاء بعض الاغراض والمعاني والاهداف التي لم تكن مشروعة في ذلك الوقت . بل كانت تتجه اتجاهاً خاصاً يتنافى والعرف الديني والسياسي والاجتماعي المعروف والمعتمد .

إذاً نحن تجاه المذهب الشعري الحديث الذي لم يكن معروفاً المعرفة الكافية ، ألا وهو الشعر الفلسفي ،

نحن لا ننكر ان هذا الفن كان معروفاً لدى العرب الاقدمين امثال زهير وغيرهم ، ولكنه لم يبلغ ما بلغ ايام المعري من العناية والخصب . بل لم يبلغ الشيء اليسير الذي اضحى عليه على ايدي

المعري وغيره من الشعراء والفلاسفة
اذ ان المعري جسد كل عبقريته في سبيل هذا الفن ، يضاف الى
جانب ذلك اتفاقا من المعري وادباء عصره على استخلاص الطريف
من المعاني والصحيح منها ، ثم هذا الخيال الجامع زد على ذلك الانسجام
التام بين متطلبات العلم من جهة والشعر الحر الطليق من جهة اخرى .
هذه الظواهر كان المعري من انصارها بل واضع الحجر
الاساسي في بنائها .

كيف وصل المعري الى ان يكون ذلك الرجل ؟

لقد اختار المعري بنفسه طريقه ، او خطط له القدر هذا الطريق ،
فما عليه إلا اتقان الاندماج في الحياة العقلية ومعرفة اصولها والاطلاع
على آداب عصره ، والفلسفة المتداولة ، والنظريات الشائعة في ذلك العصر
ويقيني ان المعري بعد ان حذق اللغة على يد والده وغيره من اهل
المعرفة فـكر ان هذا المحيط الضيق الذي يعيش فيه لا يمكن ان
يشبع رغبته في الدرس والتحصيل اذا لم يعد عليه الا توسيع هذا الافق .
ورحل المعري في طريقه الى حلب يطلب المعرفة ، وينشد
الحقيقة في اكتمال الاطلاع واتساع نطاقه ، وقراً هناك النحو
والأدب ثم اليسير من الفلسفة .

ومن المعتقد ان المعري كان يقيم عند اخواله آل سبيكة ، وهي
اسرة عرفت بالادب والوجاهة في تلك المدينة ، ولكن اقامته في حلب
كانت قصيرة اذ سرعان ما رحل عنها في طريقه الى انطاكية ومن انطاكية
انتقل الى اللاذقية . ولقد اشبعت هذه الرحلة نهم المعري في الدراسة
والاطلاع ووضعت اكثر من حجر في بناء مذهبه الفلسفي اذ انه
قد لقي في هاتين المدينتين رهبان النصارى ، وبعض مفكرهم لأن
انطاكية واللاذقية كانتا وقتئذ من مراكز النصارى الدينية - قلت لقي في

هاتين المدينتين بعض مفكري النصارى ، وهذا اللقاء سمح له بالأطلاع على الديانة المسيحية وفلسفة اللاهوت .

اما احدى هذه الاحجار التي ساهمت رحلة انطاكية واللاذقية في ايجادها هي اللاادرية ، اذ ان اطلأه على ديانا غير الدين الاسلامي وفلسفات تناهض الدين في مسائل عديدة ، من العوامل التي زعزعت الايمان التقليدي في نفسه ، فلنتمعن بهذه الابيات ولنلاحظ مقدار هذه الحيرة ... واللاادرية .

في اللاذقية فتنة ما بين احمد والمسيح

هذا بناقوس يدق وذاك بمأذنة يصيح

كل يمجّد دينه ياليت شعري ما الصحيح

انا ارى ان المعري لم يكن حائراً او لاادرياً فحسب ، بل كان ساخراً وناقماً ، انه ينشد الحقيقة ، بين اقوام وعقائد متعددة كل منها يدعى الحقيقة لنفسه ، ولكن الحقيقة لم تنشر بينهم السلام والأمن بل ذرت بينهم الفساد والشقاق ، هذه حقيقتهم ، اذاً فليفتش هو بنفسه عن الحقيقة الصحيحة ، انه انسان مسالم ، انسان مترفع عن العواطف ليس له من امام سوى العقل .

وترك المعري اللاذقية بعد انطاكية في طريقه الى طرابلس ، وهناك عاش ردمحاً من الزمن في مكتبتها الكبرى يغترف من مختلف العلوم والفنون ، ما قدر له ذلك ثم عاد بعد هذه الرحلة الى المعرفة وكان كما ذكرنا قد فقد ركناً من اركان راحته واطمئنانه بفقده لوالده .

عاش المعري في بلدته بين سنة ٣٨٣ حتى ٣٩٨ ومن المرجح انه حاول ان يتغلب على مصائب الحياة وما تركت في نفسه من

الأسى والألم فجالس الظرفاء ، وتعرف الى فنون الهزل والجد ، ويقال انه كان من امهر من لعب الشطرنج ، ويقال ان طريقة معيشته ويوميياته في ذلك الحين كانت غامضة حتى انه كان يقول : « ان العمى عورة فيجب الا يظهر الناس عليه » ومن ذلك انه اضحى يحب الاستتار ، فلقد كان يأكل دون ان يسمح لخدمته ان يشاهده اثناء ذلك . وهذا عندنا دليل من الأدلة على الحذر والحيلة ، ثم الخوف من السنة الناس وملاحظاتهم الذين اخذت اسباب الحياة تبعد بينه وبينهم . ومن المؤكد ان المعري كان يقول الشعر في ذلك الوقت ، فتلك النفس لا بد من ان تجيش بشيء من العواطف والانطباعات فتنشدها شعراً خالصاً يعبر عن هذه العواطف . ويؤكد هذا انه عند رحيله الى بغداد فيما بعد لم يكن مجهولاً ولا مغموراً في اوساط الادب والشعر ، والملاحظ ان هذه الحياة الرتيبة التي كان يعيشها في المعرة لم ترق له ، فلذلك فضل ان يرحل الى ديار العلم ، ومنهل الادب والفلسفة وهل تكون صاحبة هذه المرتبة سوى بغداد . ويقال ان هناك الاسباب العديدة التي جعلته يترك المعرة الى بغداد ومنها انه ترك المعرة ليشكو صاحب حلب على سوء معاملته له بعد ان تعرض لما في يده من الوقف ، وفي رأي ان جميع هذه العوامل اجتمعت لتجعل المعري يشد الرحال في طريقه الى بغداد .

واذا لم تكن بغداد المرجع السياسي والعاصمة الزمنية بالمعنى الصحيح في تلك الحقبة من الزمن ، فقد كانت العاصمة الادبية دون منازع ، وكانت الهدف الذي لا يجاريه مسعاً آخر لمن ينشد المعرفة الشاملة ، والشهرة الواسعة .

واذا قلنا ان المعري لم يتنكر حتى الآن للحياة بل يسعى

ويحاول الانتصار على ما اعترض سبيله من عقبات لا يمكننا اذاً ان
نقول ان وراء رحلته الى بغداد طلب الشهرة والجاه والمال ايضاً .
اذاً لقد غادر المعري بلدته المتواضعة في اواخر ٣٩٨ في طريقه
الى عالم جديد لا عهد له به من قبل ، بعد ان ودع امه تلك الام
الحنون التي كانت له اليد الرقيقة الكريمة . والتي اعانتته على النضال
والتجاذ والتشجع . ثم هنالك كما اعتقد الهدف البعيد في اعماق نفس
المعري كما سنلاحظ ، هو رغبته باحتلال مكانته في عالم الادب ،
وتأكيد تفوقه وتميزه ، وانتصاره على كوارث الحياة ، كي يعوض
عما يشعر به من نقص في تكريمه . ولم يكن المعري في ذلك
الوقت كما سيكونه فيما بعد ذلك الزاهد الساخر ، بل كان حينئذ
رجلاً غير هذا تماماً ، ليس هو القائل :

وقد سار ذكرى في البلاد فمن لهم

باخفاء شمس ضوءها متكامل

واني وان كنت الاخير زمانه لآت بما لم تستطعه الاوائل
الى ان يقول .

وطال اعترافي بالزمان وصرفه فلست ابالي من تقول الفوائل

فلو بان عضدي وتأسف منكبي ولومات زندي ما بكته الانامل

اذاً لقد خرج المعري الى بغداد بروح وثابة فيها رغبة

التفوق ، وفيها الكبرياء وفيها الشجاعة ، ثم فيها التعزي والسوى

عن هذه الحياة الرتيبة التي يعيشها ، والى جانب هذا النضال عن

نفسه والدفاع عنها انه ينبغي مكاناً لائقاً تحت الشمس .

نعم لم تكن للوحدة من وجود في تفكيره ، ولم يكن للزهد

من مكان في نفسه ، ولو كان ذلك لما رحل الى بغداد .
ووصل المعري الى بغداد بعد رحلة شاقة قاسية ، ولكنه اوليست
حياته بأسرها رحلة طويلة شاقة ، ومع هذا وصل بغداد نجماً متألقاً في
عالم الادب ، واتصل بالناس واتصلوا به . وعرف الادباء وعرفوه
واحبه اهلها واحبهم ، وعاشر ادباءها وفلاسفتها وسمع منهم وسمعوا
منه ، ودق بيديه باب الشهرة ، وفي نظري انه تاه عظمة وكبرياء
وفي هذه القصة الطريفة نبين مدى اعتداد المعري آنذاك : قيل انه
دخل على مجلس الشريف الرضي ببغداد فعثر برجل فقال الرجل :
- من هذا الكلب ؟

فاجاب المعري :

الكلب من لا يعرف للكلاب سبعين اسماً

ان في هذه الرواية مقدار رغبة الرجل في النضال وتحدي الناس .
ثم هذه الرغبة الجارحة في المعاندة للدنيا والايام .
ولكن الايام عادت تسخر منه وتعانده ، انه لم يخلق لكي
يكون انساناً يئساً ، فهو يقول عن نفسه :

انساني الولادة وحشي الغريزة .

ويبدو ان المعري لم يصمت في بغداد بل جادل واقتحم المجمع
ثم قال الشعر ، واشعاره هذه موجودة في سقط الزند . ولننظر هذه
امثلة من شعره وهو في بغداد :

تمنيت ان الخمر حلت لنشوة تجهلني كيف اطمأنت بي الحال
فأذهل اني بالعراق علي شفاً رزي الاماني لا انيس ولا مال
إلى ان يقول :

سيطلبني رزقي الذي لو طلبته لما زاد والدنيا حظوظ وإقبال

انظر كيف كان يتوجع ويتألم من الناس ومن الاماني المحطمة .
ثم من الناس ايضا الذين يحسدونه على علمه ومكانته .
ولا بد لي هنا ، من ان اشير الى حادثة تناولها الكثير من
الذين كتبوا عن المعري اما هذه الحادثة التي قيل ان المعري ترك
بغداد بسببها او انها كانت من الاسباب التي جعلت المعري يستعجل
الرحيل عن بغداد فهي قصة طرده من مجلس الشريف الرضي اثر
تلك المناقشة التي دارت بين الرجلين حول المتنبي .

انني ارى ما رآه الاستاذ طه الراوي وما اثنى عليه الدكتور زكي مبارك
من ان هذه القصة غير صحيحة ، ومن ذلك ان المعري رثى والده
الشريف بهذه القصيدة التي مطلعها :

أودى فليت الحادثات كفاف مال المسيف وعنبر المستاف
وفي هذه القصيدة يثني المعري على كل من الشريف الرضي
وشقيقه المرتضي ايضاً .

ابقيت فينا كوكبين سناهما في الصبح والظلماء ليس بخاف
فلو اعتبرنا ان المعري رثى الموسوي ، اي والد الشريف - قبل
هذه الحادثة المزعومة لكان ادب الشريف وكرامة مجلسه ثم
مبادئ الوداد والاخلاص لرجل كنقيب للطالبين من جهة - جعله لا يتعرض
لرجل رثى والده ومدحه هو وشقيقه - ثم عليه احترام عاهته من جهة
اخرى . والافتراض الثاني ، لو كانت هذه الحادثة حصلت قبل موت
الموسوي لما اقدم المعري على رثائه ، ثم علي مدح الذي اهانه وطرده
من مجلسه فلذا تجدني لا اصدق هذه القصة . كما انني ادعوك انت ان لا
تصدقها .

لقد حاول المعري ان يطيل اقامته في بغداد اذ ان الحياة

العقلية والعملية في بغداد كانت تؤمن له غير قليل من المتعة ، وكانت حفاوة اهل بغداد به تحببهم اليه .

ولكن الدهر الذي كان قد امعن في ايذائه والاساءة اليه منذ الصغر لم يرغب ان تطول هذه الغفوة الهائلة ، فاذا بالاخبار تفد من المعرة ان امه مريضة ، اذا لم يكن من بد إلا ان يشد رحاله الى المعرة .

اثارني عنكم امران والده لم القها و ثراء غير مسفوتا
هذان سببان وجيهان الرحيل ، ولكن هنالك الأسباب العديدة التي جعلت المعري يعجل بالرحيل ، منها انه لم يقدر له ان يعوض عن النقص الذي كان يحس به ، فلقد كثر حساده وكثرت سخريتهم ، والمعري كما نرى قليل الجلد على مصارعة الناس ، ومقارعة الخطوب ، وفي اعتقادي انه لو ترك بغداد من اجل والدته او من اجل المال لعاد اليها لأن اكثر الشعراء كانوا يعيشون برخاء في بغداد .

اذا لقد كان رحيله عن بغداد قد قرر فأتى خبر مرض والدته ووفاتها يستعجل هذا الرحيل .

وعاد الرجل متعب الى بيته في المعرة ، ولكن ماذا وجد ؟ وجد الظلام ، وظل الموت يحثم على صدر هذا البيت ، ان كان للبيوت صدور ، لقد ماتت والدته قبل ان يصل الى المعرة .
تفجع ابو العلاء على امه ما شاء له التفجع :

رحمك الله من ساكنة رمس اصبحت حياتك كأمس

لقد تمت المأساة ، ولم تكن هذه المرحلة من الاعتقاد بمهادنة الدهر له ثم التغلب على الاحداث سوى غفوة استيقظ الرجل منها واعصابه مرهقة ، وعقله مجهد ، ونفسه قد عافت هذه المظاهر ، عندئذ

وضع منهاجاً للحد من هذا النضال مع حياة لا طائل في مناهضتها ،
وسيبقى ابد الدهر لا يقتصر حزنه على والدته فحسب بل سيبقى
هو نفسه رفيق هذا الحزن العميق على نفسه ايضاً :

فان ينقطع منك الرجاء فإنه سيبقى عليك الحزن ما بقي الدهر
واضحى وقد شملته هذه الوحدة يتحسر على ايام بغداد :

يا لطف نفسي على اني رجعت الى

هذي البلاد وقد فارقت بغداد

ومنذ ذلك الوقت ، بعد هذا الفشل الذريع مني به ، لزم المعري
سجنه بل سجونته :

اراني في الثلاثة من سجونني فلا تسأل عن النبأ النبيل

لفقدي ناظري ولزوم بيتي وكون النفس في الجسد الخبيث

ترى كيف كانت حياة المعري في هذه السجون ؟ ما هو دور هذه
السجون في فلسفة المعري وخاصة سجنه الاخيرة ؟ سنحاول ان
نتبين ذلك في هذه الصفحات القليلة .

لقد كتب المعري لنفسه ان تمرب من الناس وتتشد في وحدتها
ما لم تجده بينهم من الراحة ، والاستقرار والاطمئنان ، بعد ان
سئمت الحياة الزاخرة بالرياء والفساد ، ثم هؤلاء البشر الذين تتراكم في
صدورهم عوامل الغش والخداع .

انها الوحدة ، الوحدة وحدها تحل مشكلته :

في الوحدة الراحة العظمى فأخى بها

قلباً وفي الكون بين الناس اثقال

والصبي يكون الانسان معتصماً بالوحدة عليه ان يتخلى عن الكثير من مطالب الحياة التي تقرها الصلة الاجتماعية . عليه ان يقنع بما هو فيه ، فلذا قنع المعري بما يأتيه من وقف يدر عليه القليل من الدنانير في السنة ، ومقتسماً لهذا القليل ايضا مع خادمه . الحمد لله لقد اصبحت ذا دعة ارضى القليل ، ولا اهتم بالقوت ومشكاه الوحيد ايضا ، انه يكون قد فقد الوفاء ، والصدق ، والاخلاص حتى يبتعد عن الناس بعد ان يكون قد نفذ يده من وجود من يتسم فيهم الاخلاص الصحيح ، والصدقة الحقة ، انه القلب ، القلب الذي حرم من قطرات الحنان والحنو .

وما تحسن الايام ان ترزق الفتى وان كان ذا حظ صديقاً يوافقه يضاحك خل خله وضميره عبوس وضاع الود لولا مرافقه ارأيت اين يذهب المعري ، انه يتهم الضمائر بالرياء وعدم النقاء . ولكن هل بقي المعري في الحقيقة رفيق وحدته التي طالما ارادها لنفسه ، كلا . لم يستمر الرجل رهين هذه الوحدة وقتاً طويلاً ، بل ان الشعراء والادباء والطلاب تقاطرت على سجنه من اكثر الاقطار الاسلامية كلها اتت الى هذا المنهل تنهل منه العلم والعرفان ، وتدرس هذه الصوفية الهادئة ، الثائرة ، الهازئة ، الجادة .

الهادئة بهذه الحياة اللينة اللطيفة الساكنة ، والثائرة بهذه الافكار العنيفة التي تجلو وتكشف عن حقائق النفوس ، وخنايا الصدور . ثم تجمع كي تتناول الى معرفة مصدرها ... ومصيرها . لقد توفرت عوامل عديدة كي تدفع بالمعري الى ان يتفلسف

فهو الذي فطر على البحث والاستطلاع ، وهو الذي كره رياء هؤلاء الناس وتقليدهم ، ووجدانهم على ضلال من حيث لا يفقهون .
إذا لم يكن منه إلا أن خالفهم في حياتهم العملية والعقلية فهو الذي اعتزل الناس ومشاربهم وتقليدهم المقيت ... وتجرر من العادات والتقاليد التي تغل تطلع النفوس نحو التحرر والانعتاق ، ثم وضع هذه النفس بين يدي العامل الذي لا يقيم للتقليد اعتباراً ولا للعادة مقاماً ، بين يدي العقل .

ولقد خضع المعري الى سلطة العقل لاسباب قاهرة ، اجبرته على ذلك متكاتفة ، وجعلت منه انساناً مرهف الاحساس بعد ان ابتلته الحياة بالمصائب والآلام . ثم هذه الحياة الاجتماعية التي كانت سيئة الى ابعد حدود السوء ، وهذه الاحداث من سياسية الى اقتصادية الى دينية والتي قدمنا بايجاز وصفها وتعريفها في مستهل هذا البحث . وهذه الحياة المثيرة ، هذه الحياة القلقة ، ثم طبيعته وغريزته الوحشية كما عرفها هو جعلت منه قلقاً حذراً ثم تطور هذا الحذر وذاك القلق بعد ان رافقتها نفسية الباحث ، المحب لمعرفة الحقائق كي يمكن له تحليلها التعليل الصحيح ، كل هذه العوامل ساهمت في ان يكون باحثاً ومنقباً عن الاسباب والعوامل التي تدفع بالناس الى كل هذه الاعمال . التي تدفع بهم إلى سلوك طريق الاعوجاج .

وتطلع المعري ليجد الفساد يشمل اكثر مرافق الحياة ، ففي السياسة استغلال ، وانتقام ، وظلم من رجال فطروا على الجشع والانانية يتصون دماء الضعفاء والفقراء :

مُلِ المَقام فكم أعاشر أمة امرت بغير صلاحها أمراؤها
ظلموا الرعية واستجاروا كيدها فعمثوا مصالحها وهم أجراؤها

أما من اين تناول المعري هذه الصور ، وهذه المادة ؟ فانه تناولها من الحياة نفسها . لقد كان المعري منقياً ودارساً ، ومستقصياً ، اطلع على الفلسفات القديمة ، ثم درس الاديان كما تقدم عندما وصل الى انطاكية واللاذقية وبعداد وغيرهما كما اطلع على المذاهب السياسية في زمنه وفي الأزمنة السابقة .

ننتقل من هذه الزاوية من حياة المعري وارائه الى نقطة هامة في بناء فلسفته ، وذلك عندما نظرق القاعدة التي قامت عليها الفلسفة العلائية ، وعند معرفتنا لهذه الفلسفة يمكننا ان نتلمس معرفة فيما اذا كان المعري قد خالف شرائع الاسلام ام انه بقي محافظاً على ما اتت به الشريعة ، ومقرراً لها .

الواقع ان المعري اعتمد العقل طريقه الى المعرفة فأقر ما اقره العقل ، وكذب ما كذبه ، ولم يتأثر فيما لو انهم مخالفات المعتقدات الدينية التي قد تعترض سبيل العقل ، وبمعنى اوسع حيث يقدم الشرع على العقل .

فالمعري شديد الوثوق من قدرة العقل في الحكم على الحياة ومن انه المقياس الصحيح للمعرفة والعلم . وهذه لزومياته تنطق في اكثر من مناسبة واحدة بايمان الرجل بالعقل ايماناً مطلقاً لا جدل فيه .

سأتبع من يدعوا الى العقل جاهداً

وأرحل عنها ما امامي سوى عقلي

ثم انظر كيف يكذب كل عامل سوى العامل العقلي .

كذب الظن لا إمام سوى العقل مشيراً في صبحه والمساء

فاذا ما اطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء
لقد اطاع المعري عقله ، فالى اين قاداته هذه الطاعة وهل جلبت
له الرحمة التي يدعي والتي ينشد ؟

انا لا اعتقد ان عقل المعري جلب لنفسه الرحمة والطمأنينة
والراحة ، ولو آمن ايماناً مطلقاً بكل هذه المذاهب والاراء التي شك
بها لسكانت له الرحمة والراحة عندئذ ، اما عقله فلم يقده إلا الى
الشك والقلق والحيرة ، فأين راحة الايمان ورحمته من رجل يقول .

وانما نحن في ضلال وتعليل فان كنت ذا يقين فهاته
وهذه الحيرة الموجهة .

يخبرونك عن رب العلي كذباً وما درى بشؤون الله انسان
فكيف عرف اذن المعري ربه ؟

لقد عاش فترة طويلة رفيق الحيرة والشك . هل الله موجود
ام غير ذلك ؟

ولقد حاول ان يجد تعليلاً كي يعيش في نعيم الراحة ،
نعيم الايمان فوجد هذا :

فالهلال المنيف والبدر والفرقندوس والصبح والشرى والماء
والشرب والشمس والنار والنثرة والارض والضحى والسماء
هذه كلها لربك ما عابك في قول ذلك الحكماء

انا اعتقد ان المعري كان مؤمناً بقوة غير منظورة ، تحرك هذا
العالم ، وتسيره الى غرض ما ، هذه القوة هي الله .

ولكن المعري مع اعترافه بوجود الله يتجاهل البحث في

صفاته ، ولكنه لا يسعه إلا ان يقول بأن الله قدير ، ومثال ذلك ما تقدم في الايات التي ذكرناها عن بسط سلطته على الثريا والهلل والشمس والارض وغيرها من الكواكب ، والمعري ايضا موحد حين يقول :

بوحداية العلم دنا فذرنى اقطع الايام وحدي
وكأنما المعري لا يرغب ان يخوض في ماهية الله وحقيقته
فيقول في هذا .

الله اكبر لا يدنوه القياس ولا يجوز عليه كان او صار
ولكن هذه الراحة والايمان بوجود الله ثم اتصافه بالقدرة
والوحداية لا تبعث الطمأنينة في قلب المعري ، وهو يرى ما في
هذه الحياة من شرور منتشرة ، وآثام ترتكب كل صباح ومساء ،
ويرى الدنيا :

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها واجناسها
وشك المعري من هذه الناحية شأنه شأن اكثر المفكرين
والفلاسفة العالمين ، الذين وقفوا من هذا الامر موقف الحائر . ما
دامت الحكمة والعدل والقدرة من صفات الله فلماذا امر الشقاء
منتشر ، والمآسي مستفحلة ؟ ولماذا بواذر السعادة مفقودة ؟ ولماذا
عوامل الفساد والشر مهيمنة على الارض ومن فيها ؟

ولزوميات المعري زاخرة بمثل هذه الاسئلة الصريحة . التي تدل
دلالة واضحة ليس فيها مواربة على ان المعري كان مؤمناً
إيماناً مطلقاً بالله ، واذا كان قد انتابه فترات من القلق في بعض
الاحيان فهذا ليس بغريب على شخص ابتلته الحياة ، وسخرت
منه الايام ، وتحامل عليه القدر ، انما هذا لا يمنع ان يكون مؤمناً

واذا اردنا التوسع في هذه الناحية من نواحي فلسفة المعري
لثبت لنا ان المعري اسلامي العقيدة فيما يتعلق بصفات الله ووحدانيته ،
كما يتفق بذلك مع عامة الديانات ثم يجاري الفلاسفة ايضا .

انفرد الله بسلطانه

فما له في كل حال كفاء

وانظر كيف يقر بوحداية الله .

توحد فان الله ربك واحد ولا ترغبن في عشرة الرؤساء

وهذه احدى القضايا التي جعلت ايمان المعري في بعض الأحيان
قلقاً نوعاً ما ألا وهي مشكلة الصلاح على الارض ، فالمعري يؤمن
بالقدرة الشاملة ، والوحدة المطلقة لله تعالى . فكيف اذن فقد
الصلاح والخير على الارض ؟

واذا اعتبرنا ان قدرة الله انزلت الأديان على الارض بنية
الاصلاح والهدى .

واذا اعتبرنا — كما يرى المعري — ان هذه الاديان نفسها لم تحل المشكلة
بل زادت تعقيداً :

لقد حجب الدين والضياء وانما ديننا رياء

كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض انبياء

فانصرفوا ، والبلاء باق ولم يزل داؤك العياء

عندئذ يبرز امامنا هذا السؤال ، هل المعري على حق في هذه
النظرة الى الأديان والانبياء ؟

الحقيقة ان حالة العصر السيئة من اكثر الوجوه عامة ، والدينية منها
بصفة خاصة تترك النفس الحساسة رهينة الحيرة والشك ، فالفساد
المنتشر وإستغلال رجال الاديان للوضع الإجتماعي يترك الاديب

والمفكر في حالة لا تبشر بأيمانه بصلاح رجال الاديان ، ثم في الاديان نفسها .

واذا جاز لنا ان نتكلم في هذا الموضوع محاولين ايجاد عذر للرجل في هذا الصدر لقلنا :

ان جميع الاديان لم تقم على مبادئ التسامح والرحمة والمحبة كما يقال بل انها بأسرها عمدت عمداً او مجبرة على الحرب ، والنزاع ، والقتال في سبيل تدعيم شرائعها وتشبث كلماتها ورسالتها ، واذا كانت بعض الأديان قد لحق بمشيعيها العذاب والاضطهاد فما ذلك إلا لأن اهلها كانوا في ذلك الوقت مستضعفين ، ولم يكن ذلك تسامحاً ورحمة ، ودليل ذلك انه عندما قويت شوكة اهلها عمدت الى القوة في فرض وجودها .

ونقطة اخرى في هذا السبيل ، فاذا كانت هدف جميع الاديان موحدة هي سعادة الانسان وتهيئته الى بلوغ الحياة الاخرى طاهراً صادقاً ، والامتناع عن اتيان الأثم والمنكر ، فلماذا اذن تجد هذه الاديان نفسها واصحابها في تطاحن مستمر ، وفي تكالب على هذه الحياة الدنيا . اذا كان الامر كذلك فالمعري من هذه الناحية صاحب عذر وجيه ، ولا بد لي ان اذكر هنا ايضا ان المعري لم تكن له القدرة على التجلد حتى في مناقشته وآرائه لمثل هذه الامور ، ولو لم يكن له وضمه الاجتماعي الخاص ، ثم موضوع نظره ، ولو كان في عصر غير عصره لاختلقت حتماً نظراته الى الحياة . والى العدل والى كل شيء . ولكنني مع كل هذا ارى ان المعري لم يوجد لنفسه مخرجاً انما ورط نفسه بورطة اكثر تحاملاً ، واكثر شذوذاً عن المعنى المألوف ، وذلك عندما وضع الحق كل الحق فيما يتعلق بهذه الناحية على الاديان نفسها وعلى رجال الاديان ايضا .

كتاب محمد ، وكتاب موسى وانجيل ابن مريم ، والزبور
نهت امماً . فما قبلت وبارت نصيحتها ، فكل الناس بور
والمعري في هذه الناحية ايضا متشائماً محارباً ومقدعاً في هجائه .
مساجدكم ومواخيركم سواء فبعداً لكم من بشر
وما انتم بالنبات الحميد ولا بالنخيل ولا بالعُشْشُر
اريد من كل هذا ان اصل إلى هذه النتيجة التي اعتقد ان
المعري كان يعتقدها ويقرها . هذا الاعتقاد الذي شذ به عن المعتقد
الديني وهو ان جميع الشرائع من صنع البشر وليس لله فيها اي
رأي . وان الرسل ليسوا اهل الرحمة ، واصحاب الحق ، والدعوات
الصالحة ، وليس هم برسل خير كما يعتقد عامة الناس ، بل كانت
له بالانبياء نظرة تختلف عن هذا بكثير .

والواقع ان المعري كان يعلق الكثير من الآمال والاماني على
الانبياء في مستهل لزومياته فهو يعتقد ان عامل النبوة اجتماعي وجدت
لتهذيب النفس وصل الأئمة :

وموء الناس حتى ظن جاهلهم ان النبوة تقويه وتديس
قالت معانير « لم يبعث إلا هم » الى البرية غيساها ولا موسى
ولو قدرت لماقبت الذين طفوا حتى يموء حليف النبي مرموساً
الى هنا والمعري يدافع عن النبوة ويعتقد انها ضرورة لسعادة
البشر وخير الانسانية . ولكن هل بقي المعري متين الايمان
بصلاح النبوة وخيرها وضرورتها لسعادة البشر ؟ الجواب ، كلا ، لم يستمر
ذلك طويلاً فسرعان ما قذف المعري بهذا الرأي ضارباً عرض

الحائظ بكل رأي ، اليس هو من المفكرين الاحرار ؟ ألم ينتقد رجال الدين دونما خوف من غضبهم ، فهو والحالة هذه لا يقبل الاشياء على علاقتها بل يدرس ويحقق ، وحسبه من هذه الحياة اعتقاده بأنه لم يداري ، فلقد ضرب رجال الدين ضربته ، وقال فيهم رأيه الصريح الحر دونما خوف ودونما مداراة

رويدك قد غردت وانت حر بصاحب حيلة يعظ النساء يحرم فيكم الصبيان صباحاً ويشربها على عهد مساء ثم اليس قوله : في اللاذقية فتنة ... الخ ألا يدل كل هذا على ان الحقيقة لم يعرفها احد من هؤلاء جميعاً ، بل انها لا زالت بعيدة عنهم .

وهذا هو الآن يصل الى الانبياء ويقول فيهم رأيه صريحاً ، ويشك بكتبهم التي قالوا انها أنزلت عليهم من السماء :

ولا تحسب مقال الرسل حقاً ولكن قول زور سطره
وكان الناس في عيش رغيد فجاءوا بالبحال فكدره
ثم هذا التقاتل بين الشرائع والمذاهب :

اتى عيسى فبطل شرع موسى وجاء محمد بصلاة خمس وقالوا لابني بعد هذا وأودى الناس بين غد وامس هذه الشرائع التي تكذب بعضها بعضاً ما نصيبها من الصحة ؟ رأيت فالمعري يضع امر الفوضى والاختلاف ، وتكدر الحياة على الانبياء واصحاب الرسالات .
انا اعتقد ان المعري كان مؤمناً بالله ايماناً مطلقاً ، كما انه

لا يرى ثمة سبباً بين السماء والارض ، اذك فهذا الفساد المنتشر في الارض ليس للقدره الآلهية اي رأي فيه ولا دخل في انتشاره والاديان السماوية لم تقدر على نحوه بل زادته انتشاراً ، وليس لله اية علاقة في هذا كله .

إله قادر وعبيد سوء وجبر في المذاهب واعتزال وظواهر الحياة تدل ايضاً على وجود خالق عظيم ، رتب هذا الكون وأوجده :

عجبي للطبيب يلحد في الحلق بعد درسه التشريحي ولكن المعري مع ايمانه بالله ومع اعتقاده بفساد الاديان ، يعتقد ان اصلها هو الدين الاسلامي ، وانسب الانبياء هو النبي محمد ﷺ ، وانا ارى انه ليس للتقليد الموروث اي دخل في هذا الرأي ، فالمعري اخذ من الاديان ما اتفق مع تفكيره وصادف ان اتفق الدين الاسلامي اكثر من غيره مع نظيرته الى الحياة والى معاملات الناس والاصالح لهم ، فوجد ان الدين الاسلامي هو ذاك الدين الاصلح والأجدر للحياة ، لذا احترم النبي وقدره بل ومدحه :

دعاكم الى خير الامور محمد وليس العوالي في القنا كالسوافل
فصلي عليه الله ما ذر شارق وما فت مسكاً ذكره في المحافل
ونعود مذكرين اجمال رأيه في الأديان :

انما هذه المذاهب اسباب لجذب الدنيا الى الرؤساء ترى هل اراد المعري بالمذاهب هنا مذاهب المعتزلة ، واخوان الصفاء وغيرها من المذاهب في الاديان الاخرى . كلا . بل قصد

بجمل الأديان :

وخلاصة القول في هذا ، ان المعري يعتقد بوجود إله رغم ما انتابه من شك اول الامر في مثل هذا الاعتقاد ، ومع كل هذا ، فان هذا الاعتقاد اصبح حقيقة راهنة .

اما الاديان فانها لم تحقق الاغراض التي اتت من اجلها ، بل زادت في الخلاف ، وبذر الشقاق والنزاع بين الناس ، وان العدالة الاجتماعية لم توجد يوماً وسوف لا توجد لان طبيعة الانسان وخاصة المسيطر منه قائمة على الشر والفساد .

للمعري العذر في هذا . فان الحياة الاجتماعية في ذلك الوقت كانت معدومة تماماً ، لان الامراء والملوك كانوا يحكمون ، ويتصرفون بأمور الناس كما يطيب الاهواء والنزعات دونما رادع او وزاع ، ولم يكن لرجل العادي ، اي رأي ولا توجيه في اي امر من الامور . وسنعود الى نظرة المعري فيما يتعلق بأساليب الحكم في مكان آخر . ولقد اثبت نظريته في الاديان ، اختلاف اهل الدين الواحد وانقسامهم على انفسهم شيعاً ومذاهباً ، هذا الانقسام الذي زاد الشقاق ، وزاد البغضاء ايضاً فأندفع الناس السذج الى خضم من النزاع لانهاية له :

شيع اجلت يوم خم ما نشنت أخرى تعارضها بيوم الغار
والناس في ضد الهدى متشيع لزم العلو وناجى شاري
ثم سخريته من المتصوفين :

صوفية مارضوا للصوف نسبتهم حتى ادعوا انهم من طاعة صوفوا
تبارك الله ، دهر حشوه كذب فالرء فيه بغير الحق موصوف

الناس دائماً وابدأ اصل الشر والبلاء ، وطبيعتهم كما يعتقد دائماً منذ الفطرة رفيقة الشر والفساد كما تقدم .

وهكذا كان اهل الارض قد فطروا

فلا يظن جهول انهم فسدوا

ونعود مع المعري الى الارض ، فهو اذاً يعتقد بأن الفساد متمكن من النفوس منذ الازل ، انه ليس بدخيل على القلوب ، بل هو في صميم نشأتها ولقد زاد هذا الفساد في الانسانية تكالب الرؤساء على الانتفاع من مراكرهم .

مل المقام فكم أعاشر امة امرت بغير صلاحها امرأوها انني افهم هنا ان المعري لا يفضل الملكية وحكم الامراء ، فهو يعتقد ان الامراء يستغلون مكانة عائلاتهم ، ووضعهم الاجتماعي لأمر ليس في مصلحة الرعية في شيء . اذن فالمعري كان يكره جميع أساليب الحكم التي كانت معروفة في عصره ، كان يعتقد ان المراكز والنفوذ تساهم في تمكين الفساد ، وفي ابراز ما تحمل النفس الانسانية من شرور وآثام .

والمعري ديمقراطي النزعة ان جاز لنا ان نطلق عليه هذه الصفة ، فهو يكره الاختيار بالنسب .

لا يفخرون الهاشمي على امرئ من آل بوب

فالحق يحلف ما علي عنده إلا كقنبر

والمعري يرى ان اجتماع الناس يزيد من اضطراب الاهواء والتهالك على المفاسد والذائد . وهذا حق فان طبيعة الجبلي او

البدوي اكثر صفاء وعزة وطيبة من واقع المدني بصورة عامة .
اذا كثر الناس شاع الفسا د كما فسد القول لما كثر
ولو كان في المجتمع الخير ، وفي الاجتماع الصلاح لما عـزف
المعري عنها .

والمعري وهو الذي عرف شعور الضعيف والفقير ، وشعور
الغني والقوي ، وادرك تمنيات النفس الانسانية دافع عن الضعيف
وطالب الغني بمساعدة الفقير ومشاركته في امواله وانتاجه مشاركة
عادلة تضمن لكل منها حصته ، ولا يعني هذا انه شيوعي كما
تعني الشيوعية اليوم ، وهو الذي هاجم حكم الامراء لا
يجذب ايضاً كما ارى حـكم الطغاة والاستبداد من البشر الذي يرغبون
صهر القوى الانسانية في بوتقة تنتج الدمار والحرب وتبـطش بالناس
بطشاً جباراً لا رحمة فيه ، وكيف يتفق هذا مع الذي دعى الى
الرحمة بالحيوان مع المذاهب التي لا ترحم ولا تغفر ولا تقرر
برغبات الانسان ، ولا تحترم انسانيته ، معتبرة اياه آلة بيدها تستغل
امكانياته دونما السماح له بأن يكون حراً في تفكيره ، وفي عمله
وفي رغباته المشروعة .

ياقوت ما انت يا قوت ولا ذهب

فكيف تعجز اقواماً مساكيناً

واحسب الناس لو اعطوا زكاتهم

لما رأيت بني الاعداء شاكيناً

ليس هو بشيوعي ولكنه انسان ، اديب ، وشاعر ، وفيلسوف

يرغب في مشاركة الناس بعضهم لبعض في السعادة ما أمكن ذلك ،
وما أراد إلا الرفق بالناس من بني الناس حتى العبيد أراد الرفق
بهم والحيوان أيضاً .

إذا كسر العبد الأنا ، فقد هـ اذاة له ان الاء الى كسر
قلت ان المعري كان فيلسوفاً ، وكان شاعراً ، فلذا لا بد له
ان يقول في امور الحياة واهلها ما يجده على انسجام يتفق مع ميوله واراته
وهذا ما وعدنا به في تباين الخصائص التي قامت عليها الفلسفة
العلائية من آلهة واجتماعية ، وقلت ايضاً ان فلسفة المعري وجدت ان
طبيعة الانسان فاسدة ومن هذه الزاوية نظر المعري إلى الناس ، وازيد
هنا في توضيح هذه النقطة التي ارتكزت عليها اكثر فلسفة المعري
الحياتية ،

ان مازت الناس اخلاق يعاش بها فانهم عند سوء الطبع اسواء
جى الناس مجرى واحد في حياتهم

فلم يرزق التهذيب انشى ولا فحل
الم تر ان الخير يكسبه الفتى طريفاً وان الشر في الطبع متلد
هذه من اراء المعري ، او اقوله في طبيعة الانسان وهذه الاراء
قادته الى ان يكون جبرياً .

حوتنا شرور لا صلاح لمثلها فان شذ منا صالح فهو نادر
وما فسدت اخلاقنا بأختيارنا ولاكن بأمر سيميته بالمقادير
وفي الاصل غش ، والفروع توابع وكيف وفاء النجل والاب غادر

اذن ليس هنالك إلا ان نقبل ما يقع وما يصادفنا في حياتنا
بالرضى والاستسلام دونما اعتراض لانه ليس لنا اي رأي في ذلك
حتى وجودنا في هذه الحياة ليس لنا اي رأي فيه ايضاً ، ورحيلنا
عنها من الالغاز الغامضة .

خرجت الى ذي الدار كرهاً ورحاتي

إلى غيرها بالرغم والله شاهد

ولم تفلت الدنيا من سخطه وغضبه ، واذا قلنا انه اطلق عليها
اسم أم دقور ، تبين لنا انه كان ينكر عليها حسناتها ، واذا كان
في بعض الاحيان لا ينكر انها خيرة ولكن هذا الاقرار بصلاحها
لا يدوم طويلاً عندها يعود الى ذمها والجل عليها .
لذا كره المعري الدنيا ، وفضل العدم على هذه الحياة التي ليست
سوى مرتعاً للشرور .

ولم يقتصر امره على هذا فحسب ، بل وجد ان وجود الانسان
في هذه الحياة مجرد ذاته من ضروب العبت والخطأ الذي لا طائل
فيه ، فلذا فضل بل نادى بقطع النسل ، واعتبر ان النسل جنائية
على الابرياء الذين في الغيب لانهم ارساوا الى بيثة موبوءة كان
اصلاح لهم لو لم يصاوا اليها بل لو لم يخلقوا ابداً .

على الولد يحنى والدّه ولو انهم ولاية على امصارهم خطباء
ثم ليس اكثر من هذا الرأي يبين مدى كره المعري للنسل .
هذا جناه ابي علي وما جنيت على أحد

اذن فليس سوى الموت الخالص من هذا الواقع الاليم الذي
نعيش فيه ، وهنا برزت للمعري مشكلة كان لا بد له ان

يعطيني رأيه الصريح فيها ، وهي حين موت الانسان ، الى اين مصيره ؟
واذا كان المعري يعتقد كما يعتقد غيره من الفلاسفة بأن جسد
الانسان من تراب :

تراب جسومنا وهي التراب اذا ولي عن الآل اغتراب
فما هو يا توى رأي المعري بالروح ؟

ليس من شك في ان المعري عرف ماهية الجسم ، ولكن
هل عرف حقاً ماهية الروح ؟
يمكننا ان نقول بصراحة ، لا . لم يعرف ماهية الروح بل
كان مقلداً في هذا .

الروح طائر محبس في سجنه حتى يمن رده بالاطلاق
اما الى اين مصير هذا الطائر بعد خروجه من سجنه ؟ يجيب
المعري على ذلك بصراحة ايضاً ، بأنه لا يدري كشأن الفلاسفة فيما
يتعلق بما وراء الطبيعة .

دفنهم في الارض دفن تيقن ولا علم بالارواح غير ظنون
وتبرز لنا هنا قضية دينية ثانية ، ما رأي المعري في البعث اذن ؟
فالاسلام يقول بمخلود الارواح ، وانها تنقل بعد الموت الى الملائكة
الاعلى ، حتى الاجساد تبعث يوم القيامة فتشقى هنالك او تسعد
حسب اعمالها في الارض ، فهل كان المعري هنا مسلماً .

الواضح ان المعري هنا مضطرب العقيدة ايضاً ، وليس له في البعث
رأياً ثابتاً ، فتارة نراه يقول بالبعث ، وتارة ينكر ذلك .

قال المنجم والطبيب كلاهما لا تحشر الاجسام قلت اليكما

ان كان رأيكما فلست بخاسر او صح قولي فالحسار عليكم
هنا نجده يقول ببدا الرهان الذي قال به مونتسكيو فيما بعد ،
ولكن هذا الامر لا يطول لدى المعري اذ سرعان ما يعود
عن هذا قائلاً :

تخطئنا الأيام حتى كأننا زجاج لا يعاد له سبك
ولكن المعري مع شكه في البعث المزعوم نجده يؤمن بقدرة
الله عليه اذا اراد ذلك .

وقدرة الله حق ليس يعجزها حشر جسم ولا بعث لاموات
والمعري في هذا يوناني النزعة لا يلتقى بالنزعة الاسلامية إلا ما ندر
من الوقت ، ليعود ويفترق عنها طويلاً .
ونعود مع المعري الى فلسفته العملية او الحياتية لتبين بقية
رأيه في مشاكل الحياة وامور الناس .

اذا قلنا ان المعري يعتبر ان الولادة جنابة ، فكيف ترى
رأيه في الزواج والنساء وهما الوسيلة الصريحة والوحيدة للولادة ، لقد
قال في ذلك ناهياً ومحذراً من الزواج :

فان انت لم تملك وشيك فراقها فعف ولا تنكح عواناً ولا بكراً
ثم انظر كيف يفضل الرهينة على الزواج :

ويعجبني عيش الذين تهربوا

سوى اكلهم كد النفوس الشحائح

ورأي المعري صريح في هذا المعنى ، فهو يعتبر ان في الزواج كل الشر للرجل لأنه يكلفه مطالب عديدة بينما يرحب بزواج المرأة ويحث عليها على ذلك .

واطلب لبنتك زوجاً كي يراعيها

وخوف ابنك من نسل وتزويج

ومرد ذلك كما أرى الى سوء ظنه بالمرأة على الاطلاق ، واعتقاده ان العفيفة الطاهرة فيهن نادرة ، وللمعري في المرأة اراء غريبة . اراء قاسية تبلغ حد الظلم ، وملخص هذه الراء : من انه يرى ان المرأة لا تصلح لشيء لأن في نفسها كل الشر ، وكل الغواية حتى انه حرم عليها العلم اذا امكن . واذا كانت لا بد لها من العلم فلتتعلم النسيج والغزل :

علموهن النسيج والغزل والردن وخملوا كتابة وقراءة
ثم في موضع اخر :

ألا ان النساء حبال غمي بهن يضيع الشرف التليد
ورأي المعري بعد كل هذا في المرأة واضح كل الوضوح ومعروف كل المعرفة ، وأشعاره فيها كثيرة وكلها تدور على مهاجمتها . ولقد اعرض المعري عن النساء - او هن اعرض عنه - كما اعرض عن اللذائذ بوجه عام ، وكان يعتبر ان اللذة تورث الألم ، يضاف الى ذلك انه كان زاهداً قانعاً بما هو فيه من الفاقة .

ولم اعرض عن اللذات إلا لان خيارهن عني خنسنه
ولقد كان يرى ايضاً الاشتراكية في النساء .

وما دمنا قد تناولنا موضوع الاشتراكية ثانية ، فهل كانت

المعري اشتراكياً كما هي الاشتراكية في مفهومنا المعري ، منهم من يقول بذلك ويعتمد قوله :

لو كان لي أو لغيري قدر انملة من البسيطة خلت الامر مشتركاً الجواب على ذلك : هو ان المعري لم يكن اشتراكياً كما هو المفهوم الحالي للأشترائية ، ولكنه كان فيلسوفاً يطلب المساواة والراحة لبني البشر ، اما النظام الاشتراكي فلم يكن يفكر به مطلقاً ، بل كان يطلب العطف على الفقير ، ويتمنى ان يعيش الضعيف عيشة محترمة كأنسان له في الانسانية ما لغيره

كيف لا يشرك المضيقين في النعمة قوم عليهم النعماء والمعري كما ذكرنا سابقاً ينشد الرحمة والعطف ليس للأنسان فيحسب بل لكل ذي روح ، وقصة المعري مع الديك مشهورة وثبت هنا ذلك بقوله :

فلا تأكلن ما اخرج البحر ظالماً ولا تبغ قوتاً غريض الذبائح ولا تفجعن الطير وهو غوافل بما وضعت فالظلم شر القبائح ومذهب الامتناع عن أكل اللحوم منتشر في الهند ولدى الكثير من الفلاسفة ، ولكن لنا هذا السؤال البسيط هنا : ما هو موقف المعري ياترى لو ثبت ان للنبات روح ايضاً ؟ الواقع ، والحالة هذه لقد كان على الانسان ان يموت من الجوع .

لقد بينا في هذه الدراسة المقتضية الأسس التي قام عليها المذهب العلائي وعالجنا نواحي هذا المذهب ، وبقي علينا ان نبين خصائص فن المعري وشعره وأدبه .

كان المعري شاعراً لبقاً ، وفحلاً من فحول الشعر وهذه هي

ازومياته خير دليل على انه كان شاعراً مطلعاً وهو الذي اخذ نفسه في نظم ازومياته بازوم ما لا يلزم ، فجعل القافية في حرفين حيث يكفي الحرف الواحد ، وجعلها في ثلاثة حيث يكفي الحرفان .

واذا كان المعري قد ظهر في بعض من شعره غامضاً ، فهذا لا يشوه ولا يحط من مقدرته الفنية ، بل ان ذلك اقتضته الظروف الزمنية والدينية والاجتماعية ، ومع ايماني بعبقرية المعري لا بد لي من ان اقول هنا : ان المعري هدم اكثر مما اساد ، ومهما يكن من امر زمنه ومصابه فان تلك العبقرية كانت عليها ان تتحف الحياة بأراء فيها التشييد والبناء الذي يدفع بالعبقرية الانسانية مراحل بعيدة في طريق التقدم والمجد .

والمعري الى جانب كل هذا خصب الخيال ، وسنثبت في مختاراتنا المزيد من رسالة الغفران التي كتبها المعري سنة ٤٢٤ هـ في الرد على رسالة كان قد بعث اليه بها رجل من ادباء حلب اسمه علي بن منصور ، المعروف بابن القارح .

اما اسم هذه الرسالة فيعود الى ان الكاتب كثيراً ما استعمل لفظة « الغفران ... » ومشتقاتها « فهو اول ما يطرح على سكان الجنان من الاسئلة « بم يغفر لك » وعلى اهل النار ، « لم لم يغفر لك ؟ »

وهذه الرسالة في اعتقادي ثرة ناضجة من ثمار عبقرية المعري ، وهي تشبه الألعبوبة الآلهية لدانتي . وفيها طرافة وسخرية لاذعة وفيها غنى واطلاعاً واسعاً ، ثم هذا التهمك باقدس مقدسات الأنسان ، وذلك يجعله الله شرطياً عمه ارضاء شهوات المخلدين في تلك الجلسة التي لا تمت بصلة الى الجنة التي عرفت عنها الكتب المقدسة ، وفي هذه الرسالة يظهر فن المعري النثري ايضا .

وسوف لا اطيل الحديث عن « رسالة الغفران » فهي الرسالة بنفسها بين يديك . وسوف تتلمس بنفسك ما انطوت عليه عبقرية المعري من خيال خصب ، وما جمعت هذه العبقرية من قدرة واسعة في الأطلاع على آداب المتقدمين ، إلى هذه البراعة الراسخة في اللغة ، وإذا كانت بعض مفردات الرسالة صعبة غامضة ، فما ذلك إلا لان المعري اراد كما يظهر ان يثبت مقدرته اللغوية ، ثم توجيه النقد بهذا الاسلوب الذي يجمي في غموض اكثر الفاظه بعض مقاصد المعري وسخريته ،

واعيد هنا من اني سوف لا اطيل في الحديث عن رسالة الغفران فانا اعتقد ان التعريف بهذه الرسالة والحديث عنها والتفلسف حولها ، يشوه ما لهذه الرسالة من طرافة وجراءة قلما نجدها عند اي مفكر مسلم آخر ، وإذا سمحنا لأنفسنا ان نذكر رأيا عن هذه الرسالة فنقول : انها تنمى لاراء المعري وعقيدته ونظرته الى الكون والحياة والناس ايضا . اما لماذا اثبتناها هنا اي قبل المنتخبات الشعرية فما ذلك الا لأنها نثراً ، بل هي بنفسها اثراً طريفاً خالداً وبذلك نحرص على جمال الفن الطباعي ، فيأتي نثر المعري بعد دراستنا عنه ، ويتبع ذلك المنتخبات من شعره .

توطئة الرسالة

وصف رسالة ابن القارح

وصلت الرسالة التي بجرها بالحكم مسجور (١) ، ومن قرأها لا شك مأجور (٢) ، اذ كانت تأمر بتقيل الشرع (٣) ، وتعيب من ترك اصلا الى فرع . وغرقت في امواج بدعها الزاخرة ، وعجبت من اتساق عقودها الفاخرة . ومثلها شفع ونفع ، وقرب عند الله ورفع .

وفي قدرة ربنا جلّت عظمته ، ان يجعل كل حرف منها شبح نور ، لا يمتزج بمقال الزور «٤» ، يستغفر لمن انشأها الى يوم الدين ، ويذكره ذكر محب خدين . ولعله ، سبحانه ، قد نصب المنجية من اللهب ، معاريج من الفضة او الذهب ، تعرج بها الملائكة من الارض الراكدة الى السماء ، وتكشف سجون الظالماء ، بدليل الآية : « اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه » وهذه الكلمة الطيبة كأنها المعنية بقوله : « الم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة ، اصلها ثابت وفروعها في السماء تؤتي اكلها كل حين باذن ربها . » وفي تلك السطور . كلم كثير كله عند الباري ، تقديس ، اثر ! (٥)

(١) مسجور ، مملوء

(٢) مأجور ، مثواب

(٣) تقيل الشرع ، اي التمسك بالقوانين الدينية

(٤) الزور ، الكذب

(٥) اثر ، محبوب

رسالة الغفران

القسم الاول

— الجنة —

وصف الجنة

الاشجار والأنهار — وصف الحرة

و كأني وقد غرس لمولاي الشيخ الجليل ، إن شاء الله ، بذلك الثناء ،
شجراً في الجنة لذيذ اجتناء . كل شجرة منه تأخذ ما بين المشرق
والمغرب بظل غاط ، ليست في الاعين كذات انواع (١)
وتجري ، في اصول ذلك الشجر ، انهار تختلج من ماء الحيوان (٢)
والكوثر (٣) يمدها في كل أوان ، من شرب منها النعبة (٤) فلا
موت ، وقد أمن هنالك الفوت . وسعد (٥) من اللبن متخرقات
لا تغير بان تطول الأوقات . وجعافر (٦) من الرحيق المختوم ،
كما قال علقمة

تشفي الصداع ، ولا يؤذيه حالبها

ولا يُخالط ، منها ، الرأس تدويم (٧)

[١] ذات انواع : اسم شجرة ورد ذكرها في الحديث .

[٢] ماء الحيوان : اي ماء الحباء .

[٣] الكوثر : نهر في الجنة تنفجر منه جميع انهارها .

[٤] النعبة : الجرعة .

[٥] سعد : السواقي .

[٦] جعافر : جداول .

[٧] تدويم : الدوار الذي يحصل نتيجة السكر .

ويعمد اليها المغترف بكؤوس من المسجد ، وأباريق خلقت
من الزبرجد (١) ولو نظر اليها عدي بن زيد (٢) ، لشغل عن المدام
والصيد ، واعترف بأن أباريق مدامه أمر هين لا يعدل بنابت
من حميص (٣) ، او ما حقر من خربصيص (٤)
فاما الاقشير السعدي (٥) فإنه قال ، ولعله سيندم :

افنى تلادي ، وما جمعت من نشب

قرع القوازي افسواه الاباريق (٦)

ما هو وما شرابه ؟ تقضت في الخائنة (٧) آرابه ! لو عاين
تلك الاباريق لأيقن أنه فتن بالغرور ، وسر بغير موجب للسرور.
وكم على تلك الأنهار من آنية زبرجد وياقوت ! بين اصفر ، واحمر
وازرق ، يخال ان لمس أحرق ، كما قال الصنوبري (٨) :

تخيله صاطعاً وهجه فتأبى الدنو الى وهجه !
وفي تلك الانهار أوان على هيئة الطير السماجة ، والغانية عن
الماء السائجة ، فمنها ما هو على صور الكراكي (٩) وآخر تشاكل

[١] الزبرجد : حجر كريم

[٢] عدي بن زيد : شاعر عرف عنه وصفه للخمر ، وهو نصراني وجاهلي .

[٣] حميص : نبات حامض .

[٤] خربصيص : نبات له حب يتخذ منه طعام .

[٥] الاقشير السعدي : شاعر أموي ، كوفي اشتهر بوصف الخمر .

[٦] القوازي : اقداح الشراب .

[٧] الخائنة : أي الدنيا .

[٨] الصنوبري : شاعر حلي اشتهر بوصفه للجنان .

[٩] الكراكي : ج . الكركي : طائر كبير

المسكاكي (١) وعلى خلق طواويس وبط ، فبعض في الجارية (٢) وبعض في الشط . ينبع من افواها شراب ، كأنه ، من الرقة شراب ، لو جرّع منه جرعة الحكمي (٣) لحكم بانه الفوز . وشهد له كل وصاف للخمر ، من محدث وعتيق .

انهار العسل

ويعارض تلك المدامة انهار من عسل مصفى ما كسبته النحل الغادية الى الأنوار (٤) ولا هو في موم (٥) متوار ، ولكن قال له العزيز القادر :

« كن ! » فكان . واهماً لذلك عسلاً ! لو جعله الشارب المحرور غذاءه طول الأبد ، ما قدر له عارض موم (٦) ، ولا لبس ثوب المحموم . وذلك كله بدليل الآية :

مثل الجنة التي وعد المتقون ، فيها انهار من ماء غير آسن (٧) وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين وانهار من عسل مصفى ، ولهم فيها من كل الثموات .

فليت شعري عن النمر بن تولب العكلي (٨) ! هل يقدر له ان يذوق ذلك الأري (٩) ، فيعلم ان شهد الفانية ، اذا قيس اليه ، وجد يشاكه الشري (١٠) وهو لما وصف أم حصن (١١) ذكر حوارى (١٢) بسمن وعسل مصفى ، قال :

-
- (١) المسكاكى : ج المسك ، طائر من القنابر
 (٢) الجارية : يقصد بها المياه (٣) الحكمي : ابو نواس
 (٤) الاقوار : الزهور البيضاء (٥) الموم : الشمع
 (٦) الموم ، مرض يصيب الحجاب بين القلب والكبد
 (٧) آسن ، اسن الماء ، أثق (٨) العكلي ، شاعر ، مقل
 (٩) الأري . الشهد من العسل (١٠) الشري ، الخنظل
 (١١) أم حصن ، المرأة التي يشبهها الشاعر المذكور (١٢) الحوارى ، الخبز الابيض

الم بصحبتى ، وهم هجوع خيال طارق من ام حصن
لها ما تشتهي عسلا مصفى اذا شئت ، وحوارى بسمن
ولو خالط من (١) من عسل الجنان ما خلقه الله ، سبحانه ،
في هذه الدار الفانية الخادعة كالصاب والمقر (٢) ، لعدو من اللذائذ
المرتقيات .

الاسماك

واذا من الله ، تبارك اسمه ، برود تلك الأنهار ، صاد فيها
الوارد سمك حلاوة لم ير مثله ، او بصر به احمد بن الحسين (٣)
لأحقر الهدية التي أهديت اليه فقال فيها :
أقل ما في أقلها سمك^١ يسبح في بركة من العسل
فأما الأنهار الخمرية فتلعب فيها أسماك هي على صور السمك البحرية
والنهرية ، الا انه من الذهب والفضة وصنوف الجواهر ، المقابلة
بالنور الباهر . فاذا مد المؤمن يده الى واحدة من ذلك ، شرب
من فيها عذبا ، لو وقعت منه الجرعة في البحر الذي لا يستطيع
الشارب ، لحلت منه اسافل وغوارب (٤)

١ [المن : قدر صغير

٢ [المقر : المر ، الخامض

٣ [احمد بن الحسين : المتني

٤ [غوارب ، الموج المرتفع

ندامى الجنة

علماء اللغة والنحو

وكأنى به ، اذا استحق تلك الرتبة ، بيقين التوبة ، وقد
اصطفى له ندامى من ادباء الفردوس ، كأخي ثالة (١) وأخي
دوس (٢) ، ويونس بن حبيب الضبي (٣) وابن مسعدة المجاشعي (٤)
فهم ، كما جاء في الكتاب العزيز :

« وزعنا ما في صدورهم من غل اخواناً على سرر متقابلين
لا يسهرم فيها نصب وما هم منها بمخرجين . »

فصدر احمد بن يحيى (٥) ، هنالك ، قد غسل من الحقد على
محمد بن يزيد ، فصارا يتصافيان ويتوافيان . وأبو بشر
عمرو بن عثمان (٦) قد رخصت سويداء قلبه من الضغن على علي
بن حمزة الكسائي (٧) واصحابه ، لما فعلوا به في مجلس البرامكة
وأبو عبيدة (٨) صافي الطوية لعبد الملك بن قريب (٩) والملائكة

١ [اخو ثالة : (محمد بن يزيد) مؤلف كتاب « السكامل » في اللغة والادب وال نوادر

٢ (اخو دوس ، كنية ابن دريد من مشاهير اللغويين في العصر العباسي الثاني

٣ (يونس بن حبيب ، يونس النحوي ، لأنه اختصر في عالم النحو

٤ (ابن مسعدة المجاشعي ، من علماء العصر العباسي ايضا في اللغة والنحو

٥ (احمد بن يحيى ، هو المعروف بشعلب ، من اشهر النحاة في العصر العباسي الثاني

٦ (ابو بشر عمرو بن عثمان ، سيبويه

٧ (الكسائي ، امام مذهب الكوفيين

٨ (ابو عبيدة ، (معمر بن المثنى ، يهودي الاصل ، شعوي النزعة . من اشهر العلماء

بأخبار العرب

٩ (عبد الملك بن قريب ، الأصمعي ، من اشهر الادباء ولد ومات في البصرة (٧٣٩ -

يدخلون عليهم من كل باب « سلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عقبى الدار ! »
وابو عبيدة يذاكرهم بوقائع العرب ، ومقاتل الفرسان والأصمعي
ينشدهم ما احسن قائله ...

وتهش نفوسهم للعب ، فيقذفون تلك الآنية في انهار الرحيق ،
ويصفقها الماذي (١) اي تصفيق وتقترع تلك الآنية فيسمع لها اصوات
تبعث بمثلها الاموات . فيقول الشيخ : « آه لمصرع الاعشى ميمون !
وددت انه ما صدته قريش لما توجه الى النبي (ﷺ) . ولو انه
اسلم ، لجاز ان يكون بيننا في هذا المجلس ، فينشدنا غريب
الأوزان مما نظم في دار الاحزان ويحدثنا حديثه مع من مدحه
او هجاه ، وখানে في الزمن او رجاء ! ؟

النزهة في الجنة

ثم انه (٢) ادام الله تمكينه ، يخطر له حديث شيء كان يسمى
« النزهة » في الدار القانية ، فيركب نجيبا (٣) من نجب الجنة خلق
من ياقوت وذر ، في سجسج (٤) بعد عن الحر والقر ، فيسير في
الجنة على غير منهج ومعه اناء فيهج ، وشيء طعام الخلود . فاذا
رأي نجيبه يملع (٥) بين كئبان العنبر رفع صوته متمثلاً بقول
البكري (٦)

(١) الماذي ، الفصل الابيض

(٢) انه ، يعني ابن القارح

(٣) النجيب ، الجمل الفتي

(٤) سجسج ، الريح اللينة

(٥) يملع ، يسبر سريماً خفيفاً

(٦) البكري ، « الأعشى »

ليت شعري متى تحب بنا النا قة بين العذيب فالصبيون (١)
محبباً زُكرةً ، وخبز رقاقٍ وحباقاً ، وقطمة من نونٍ (٢)

أخبار السمرات

الاعشى

فيهتف هاتف : « اتشعر ايها العبد ، المغفور له لمن هذا الشعر ؟ » .

فيقول الشيخ : « نعم ! حدثنا اهل ثقتنا عن اهل ثقتهم ، ان هذا الشعر لميمون بن قيس بن جندل . » فيقول الهاتف : « انا ذلك الرجل من الله علي بعد ما صرت من جهنم على شفير ، ويئت من المغفرة » فيلتفت اليه الشيخ هامساً باشاً مرثعاً . فاذا هو بشاب غرائق (٣) وقد صار عشاء حورا ، وانحاء ظهره قواماً . فيقول : « سحبتني الزبانية الى سقر (٤) فرأيت رجالاً في عرصات (٥) القيامة ، يتلأأ ووجهه تلألؤ القمر ، والناس يهتفون به من كل أوب (٦) : « يا محمد يا محمد ! الشفاعة ؟ نمت بكذا ؟ ونمت بكذا » فصرخت في ايدي الزبانية : « يا محمد اغثنني ، فان لي بك حرمة ! » فقال : « يا

(٢) العذيب والصبيون ، موضعان

(٣) الزكرة ، زق صغير للخمر ، والنون ، السمك

(٤) غرائق ، حسن الوجه

(٥) سقر ، من اسماء جهنم

(٦) عرصات : الساحات

(٧) اوب ، جبة

علي ! بادره فانظر ما حرمته » . فجاءني علي بن ابي طالب ،
صلوات الله عليه ، وانا اعتل (١) كي ألقى في الدرك الاسفل
من النار . فزجرهم عني ، وقال : « ما حرمتك ؟ » فقلت انا :
القائل :

الا اي هذا السائي : اين يمت ؟ فان لها ، في اهل يثرب موعدا !
فآليت ، لا ارثي لها من كلاله

ولا من حفي حتى تلاقى محمدا (٢)

وقد كنت اؤمن بانه وبالحساب ، واصدق بالبعث ، وانا في
الجاهلية الجاهلاء . فذهب علي الى النبي ﷺ فقال : « يا رسول
الله ، هذا أعشى قيس قد روى مدحة فيك ، وشهد انك نبي
مرسل . » فقال : « هلا جاء في الدار السابقة ! » فقال علي ،
رضوان الله عليه : « قد جاء ، ولكن صدته قریش وحبه للخمر »
فشفع لي ، فادخلت الجنة على ان لا اشرب فيها خمرا فقرت عينا
بذلك . وان لي منادح (٣) في العسل وماء الحيوان . وكذلك
من لم يتب عن الخمر في الدار الساخرة ، لم يسقها في الاخرة .

زهير بن ابي سلمى

وينظر الشيخ في رياض الجنة ، فيرى قصرين منيفين . فيقول
في نفسه : « لأبلغن الى هذين القصرين فأنظر لمن هما . » فاذا

(١) اعتل ، اسحب

(٢) الكلاله ، التعب

(٣) منادح ، اغاني

قرب منها رأى على أحدهما مكتوباً : « هذا القصر لزهير بن
ابي سلمى المزني . » (١) وعلى الآخر : « هذا القصر لعبيد بن
الابرص الاسدي . » (٢) فيعجب من ذلك ويقول : « هذان
ماتا في الجاهلية ! ولكن رحمة ربنا وسعت كل شيء . وسوف
التمس لقاءهما فأسألهما بم غفر لهما . »

فيمتدئ بزهير فيجده شاباً كالزهرة الجنية ، قد وهب له قصر
من ونية (٣) ، كأنه ما لبس جلباب هـرم ، ولا تأفف من
البرم (٤) ، وكأنه لم يقل في الميمية :

سئمت تكاليف الحياة ، ومن يعيش

ثمانين حولاً ، لا أبا لك ، يسأم !

ولم يقل في الأخرى :

ألم ترني عمرت تسعين حجةً وعشرأ تباعاً عشتها ، وثمانيا !

فيقول : « جير جير ! » (٥) انت ابو كعب وبجير ! فيقول
نعم ! فيقول ، أدام الله عزه : « بم غفر لك ، وقد كنت
زمان الفترة والناس همل ، لا يحسن منهم العمل ؟ » فيقول :
« كانت نفسي من الباطل نفورا ، فصادفت ملكاً غفوراً . وكنت
مؤمناً بالله العظيم . ورأيت ، فيما يرى النائم ، حبلاً نزل من
السما ، فمن تعلق به من سكان الأرض نجا . فعلت انه من امور

(١) زهير ، من اشهر شعراء الجاهليين

(٢) عبید ، من شعراء الجاهليين

(٣) الونية ، الاوالة

(٤) البرم ، برم بالشيء ، ضجر منه

(٥) جير ، نعم

الله ، وارصيت بني وقلت لهم عند الموت : « ان قام قائم يدعوكم الى عبادة الله فأطيعوه . » ولو ادركت محمداً لكنت اول المؤمنين به . وقلت في الميمية ، والسفه ضارب بالجران . فلا تكتمن الله ما في نفوسكم ليخفى ، ومهما يكتم الله يعلم ! يؤخر ، فيوضع في كتاب ، فيدخر

ليوم حساب ، او يعجل فينتقم

فيقول : الست القائل :

وقد اغدو علي ثبة كرام نشاوي ، واجدين لما نشاء (١)
يجرون البرود ، وقد تمشت حمياً الكاس ، فيهم ، والغناء !
افأطلقت لك الحجر كغيرك من اصحاب الخلود ؟ ام حرمت عليك مثلاً حرمت على أعشى قيس ؟ فيقول زهير : « ان أخا قيس ادرك محمداً فوجبت عليه الحجة لانه بعث بتحريم الحجر ، وحظر ما قبح . وهلكك انا ، والحجر كغيرها من الاشياء ، يشربها اتباع الانبياء ، فلا حجة علي . »
فيدعوه الشيخ الى المنادمة فيجده من ظرفاء الندماء ، فيسأله عن اخبار القدماء .

عبيد بن الابرص

ثم ينصرف عنه الى عبيد . فاذا هو قد أعطي بقاء التأييد « ٢ »

(١) ثبة : جماعة

(٢) التأييد : ويقصد به الخلود

فيقول : « السلام عليك : يا اخا بني أسد ! » فيقول : « وعليك السلام !

- واهل الجنة اذكيا ، لا يخالطهم الاغبياء - لعلك تريد ان تسألني بم غفر لي ؟ » فيقول : « أجل ! وان في ذلك لعجباً ! فيقول عبید : « اني كنت أدخلت الهاوية ، وكنت قلت ايام الحياة :

من يسأل الناس يجرموه وسائل الله لا ينجب ! وسار هذا البيت في آفاق البلاد . فلم يزل يُنشد ، ويخفف عني العذاب ، حتى أطلقت من القيود والأصفاد . ثم لم يزل يكرر حتى شملتني الرحمة ببركة هذا البيت ، وان ربنا لغفور رحيم ! » فاذا سمع الشيخ ما قال ذلك الرجلان طمع في سلامة كثير من الشعراء .

عدي بن زيد

فيقول لعبيد : « ألك علم بعدي بن زيد العبادي ؟ » فيقول : « هذا منزله قريباً منك ! » فيقف عليه فيقول : « كيف كانت سلامتك على الصراط ؟ » فيقول : « اني كنت على دين المسيح ! ومن كان من اتباع الانبياء قبل ان يبعث محمد : فلا بأس عليه ، وانما التبعة على من سجد للأصنام ... » فيقول الشيخ : « لقد هممت ان أسألك عن بيتك الذي استشهد به سيبويه ، وهو قولك :

أرواح مودع ام بكور انت ، فانظر لاي حال تصير !

« فانه يزعم ان « أبت » يجوز ان ترفع بفعل مضمر يفسره قولك « فأنظر » ، وانا استبعد هذا المذهب ولا اظنك اردته ! فيقول عدي بن زيد : « دعني من هذه الابطال ... » ولكني كنت ، في الدار الفانية ، صاحب قنص ، فهل لك ان تركب فرسين من خيل الجنة ، فنبعثها على حيرانها (١) وخيطان (٢) نعامها ، وامراب ظبائها ، وعانات (٣) حمرها ، فان للقيص لذة ! » فيقول الشيخ : « انما انا صاحب قلم ، ولم اكن صاحب خيل ! ... وما يؤمني ، اذا ركبت طرفا (٤) - وانا كما قال القائل :

لم يركبوا الخيل الا بعد ما كبروا فهم ثقال ، على اكتافها عنف !
 ان يقذفني السابح على صخور زمرد ، فيكسر لي عضداً او ساقاً فأصير ضحكة في اهل الجنان » ! فيبتسم عدي ويقول : « ويحك اما علمت ان الجنة لا يهرب لديها السقم ، ولا تنزل بسكنها النقم ؟ » فيركبان ساجدين من خيل الجنة ، مركب كل واحد منهما لو عدل بمالك العاجلة من اولها الى آخرها ، لرجع بها وزاد في القيمة عليها . فاذا نظر الى عوار ترتع في رياض الفردوس ، صوب الشيخ الجليل المطرد (٥) الأخنس (٦) ذيال ، قد رتع هنالك طويل ايام وليال . فاذا لم يبق بين السنان وبينه الا قيد ظفر ، قال له :

(١) الصيران ، القطعان من بقر الوحش .

(٢) الخيطان ، النعام .

(٣) الامانات ، القطعان من حمر الوحش .

(٤) الطرف ، الجواد الصغير السن .

(٥) المطرد ، الرمح القصير

(٦) الاخنس ، الثور المتوحش

« أمسك يا عبد الله ! فاني است من وحش الجنة التي انشأها الله سبحانه ، ولم تكن في الدار الزائلة . ولكنني كنت في محلة الغرور اروح في بعض القفار . فمر بي ركب مؤمنون قد اكرى (١) زادهم فصرعوني ، واستعانوا بي على السفر . فعوضني الله بأن اسكنني في الخلود . » فيكف عنه الشيخ ويعمد لعلج (٢) وحشي ، ما التفت عنده بمحشي ، فاذا صار الحرص منه بقدر اذلة ، قال : « أمسك يا عبد الله ! فان الله انعم علي ورفع عني البؤس . وذلك صادني صائد بمخلب وكان اهابي (٣) له كالسلب ، فباعه في بعض الأمصار فاتخذ منه غرب (٤) شفي بمائه السكر ، وقطر بنزيعه (٥) الصالحون . فشملتني بركة من اولئك ، فدخلت الجنة ارزق فيها بغير حساب . »

ابو ذؤيب الهزلي

وينصرف مولاي الشيخ وصاحبه عدي . فاذا هما برجل محتلب ناقة في اثناء من ذهب فيقولان : « من الرجل ؟ » فيقول : « ابو ذؤيب الهزلي » (٦) فيقولان : « حيت وسعدت ! اتحتلب مع انهار من لبن ؟ » فيقول لا بأس ! انما خطر لي ذلك مثلاً خطر لكما القنص . فقيض الله بقدرته لي هذه الناقة مطلقاً . فقممت احتلب على العادة . واريد ان اشوب ذلك بضرب (٧) نحل . »

(١) اكرى ، نقص

(٢) العلج ، حمار الوحش

(٣) الالهاب ، الجلد

(٤) الغرب ، الدلو

(٥) النزيع ، الماء المأخوذ من البئر .

(٦) ابو ذؤيب الهزلي ، احد الشعراء المخضرمين

(٧) الضرب ، العسل

فاذا امتلأ إناءه من الرسل (١) ، كون الباري ، جلت عظمتة خلية من الجوهر ، رتع ثولها (٢) في الزهر فاجتني ذلك أبو ذؤيب ومزج حليب . فيقول : « الا تشربان ! » فيجرعان من ذلك الحليب جرعاً لو اُفرقت على اهل سقر لفازوا بالخلد .

النابعتان

ويمضي في نزهته تلك فيمر بشابين يتحادثان كل واحد منهما على باب قصر من در ، قد اعفي من البؤس والضر . فيسلم عليهما ويقول « من انما ؟ — رحمكما الله ! — وقد فعل ! » فيقولان : نحن النابعتان ، نابغة بني جعدة (٣) ونابغة بني ذبيان . (٤) فيتحدثن جميعاً . ثم يشتهون مرأى الاعشي ، « فلا تتم الكلمة الا وابو بصير قد خسمهم » فيتذاكرون في شعر النابغة الذبياني واختلاف الرواة فيه ، ويشتهون حضور الرواة فيأتيتهم حالاً المازني والشيباني ، وابو عبيدة ، والاصمعي ...

مجلس غناء

ويعرف من إوز الجنة . فلا يلبث ان ينزل على تلك الروضة ويقف وقوف منتظر لأمر . ومن شأن طير الجنة ان يتكلم . فيقول (الشيخ) . « ما شأنكن ؟ » فيقلن . « ألهما ان نسقط في هذه الروضة . فنغني لمن فيها » فيقول . « على بركة الله القدير ! » فينتفضن فيصرن جوارى كواعب يرفلن في وشي الجنة

(١) الرسل ، اللبث .

(٢) الثول ، النحل

(٣) النابغة الجعدي ، حسان بن قيس

(٤) النابغة الذبياني ، من اشهر شعراء الجاهلية — وهو الذي مدح بني غسان

وبأيديهن الزاهر (١) وأنواع ما يلتمس به الملهي . فيعجب ،
 وحق له العجب ، وليس ذلك بعجيب من قدرة الله ، جلت عظمته .
 فتغني أحدهن بصوت « لو نحت من حنم أحجار ثم سمع ذلك
 الصوت لرقص » . وبعد أن يمتحنها ويتيقن حذقها يقول .
 « ويحك ألم تكوفي الساعة إوزة طائفة ! فمن أين لك هذا
 العلم ؟ لو نشأت بين معبد وابن سريج (٢) ، لما هجت السامع بهذا
 الهيج ! فكيف نقضت عنك بله الأوز ؟ » فتقول : « وما الذي
 رأيت من قدرة بارتك ! أنك على سيف (٣) بحر لا يدرك له غير
 سيجان من يحيي العظام ، وهي رميم ! »

لبيد

فبينما هم كذلك إذ يمر شاب في يده محجن (٤) ياقوت ، فيسلم
 عليهم فيقولون : « من أنت ؟ » فيقول : « أنا لبيد (٥) بن ربيعة
 ابن مالك بن جعفر ابن كليب ... » فيقول : « أكرمت
 أكرمت ! لو قلت : لبيد ، وسكت ، لشهرت باسمك ! فما بالك
 في مغفرة ربك ؟ » فيقول : « أنا بحمد الله في عيش قصر أن
 يصفه الواصفون ، لا هرم ولا برم » . فيقول الشيخ : تبارك
 الملك القدوس ! كأنك لم تقل في الدار الفانية .

(١) المزاهر ، الات طرب تشبه العود - ومفردتها مزهر

(٢) معبد وابن سريج : مفيان مشهوران في العصر الأموي

(٣) سيف البحر ، شاطئه .

(٤) المحجن : المصا

(٥) لبيد : من مشاهير شعراء الجاهلية

ولقد سُئمت من الحياة وطولها

وسؤال هذا الناس : « كيف لبيد ؟ »

فأنشدنا ميميتك المعلقة فيقول : « هيهات ! اني تركت الشعر
في الدار الخادعة . ولن اعود اليه في الدار الآخرة ، وقد عوضت
ما هو خير وأبر ! .

العودة الى الغناء

ويخطر له غناء القيان في الفسطاط (١) ومدينة السلام (٢) ويذكر
ترجييعهن بميمية المخبل السعدي (٣) فتندفع تلك الجوارى التي نقلتهن
القدرة من خلق الطير الى خلق الحور ، ملحنة قول المخبل .
ذكر الرباب ، وذكرها سُقْمٌ وصبا ، ليس صبا عزمٌ !
فلا يمر حرف ولا حركة الا ويوقع في النفوس مسرة . لو
عدلت بمسرات اهل العاجلة ، منذ خلق الله آدم الى ان طوى
ذريته ، لكانت الزائدة على ذلك زيادة اللج المتموج على دمة
الطفل ، والهضب الشامخ على الهباءة (٤) .

مشاجرة النابغة الجعدي والاعشي

ويقول نابغة بني جعدة ، وهو جالس يستمع . يا ابا بصير
اهذه الرباب التي ذكرها السعدي هي ربابك التي ذكرتها في قولك :
فما نطق الديكُ حتى ملاء ت كوب الرباب له ، فاستدارا ؟

(١) الفسطاط : مدينة بصر

(٢) مدينة السلام : بغداد

(٣) المخبل السعدي ، شاعر جاهلي

(٤) الهباءة ، الغبار .

فيقول ابو بصير : « قد طال عمرك ، يا ابا ليلى ، واحسبك
اصابك الفند (١) فبقيت على فندك الى اليوم ... اما علمت ان
اللواتي يسمين بالرباب اكثر من ان يحصين ؟ افتظن ان الرباب هذه
هي التي ذكرها القائل :

ما بال قومك ، يا ربابُ خزرًا كأنهم غضاب (٢)
او التي ذكرها امرؤ القيس في قوله :

« وجارتها ام الرباب بأسل » ؟

فيقول نابغة بني جعدة : « اتكلمني بثل هذا الكلام ، يا خليع
بني ضبيعة ؟ وقد مت كافرًا واقدرت على نفسك بالفاحشة . وانا
لقيت النبي (ﷺ) فانشدته كلمتي ...

أغرّك ان عدك بعض الجاهل رابع الشعراء الاربعة ؟ واني
لأطول منك نسماً واكثر تصرفاً . ولقد بلغت بعدد البيوت ما لم
يبلغه احد من العرب قبلي ...

فيغضب ابو بصير ويقول : « اتقول هذا ، وان بيتاً مما بنيت
ليعدل بمائة من بنائك ! وان اسهبت في منطقتك ، فان المسهب
كحاطب الليل ... اتعيرني مدح الملوك ، يا جاهل ! ، ولو قدرت
على ذلك لهجرت اليه اهلك وولدك ! ولكنك خلقت جباناً ... »

فيقول الجعدي : « اسكت يا ضل بن ضل » (٣) . فاقسم
ان دخولك الجنة من المنكرات . ولكن الاقضية جرت كما شاء
الله . لحقك ان تكون في الدرك الاسفل من النار ، ولقد صلي بها من

(١) الفند ، الحرف

(٢) خزر ، ضيق العين

(٣) ضل بن ضل ، يراد به لا يعرف من اهل

هو خير منك ! ولو جاز الغلط على رب العزة لقلت انك غلط بك ... »
ويشب نابغة بني جعدة على ابي بصير فيضربه بكوز من ذهب ..
فيقول الشيخ ، اصلح الله به : « لا عزيمة في الجنان ! انما
يعرف ذلك في الدار الفانية ، بين السفلة والهجاج (١) ، وانك يا ابا
ليلي لمتترع (٢) ولولا ان في الكتاب الكريم : « لا يصدعون
عنها ولا ينزفون ! » لظنناك اصابك نزف في عقلك ! فاما ابو
بصير فما شرب الا اللبن والعسل ، وانه لوقور في المجلس .
ويريد ان يصلح بين الندماء فيقول : « يجب ان يحذر من ملك
يعبر ، فيرى هذا المجلس ، فيرفع حديثه إلى الجبار الاعظم فلا يجر ذلك
الا الى ما تكرهان ! » واستغني ربنا ان ترفع الاخبار اليه ؟ ولكن
جرى ذلك مجرى الحفظة في الدار العاجلة ...

ثم يصطلحان ويمر بالجالسين حسان بن ثابت فيتحدث معهم مدة .
ويفترق اهل ذاك المجلس وبعد ان اقاموا فيه كعمر الدنيا
اضعافاً كثيرة !

عوران قيس

فبينما هو يطوف في رياض الجنة يلقاه خمسة نفر على خمس اينسق
فيقول : « ما رأيت احسن من عيونكم في اهل الجنان ! فمن انتم
خلد الله عليكم النعيم ! » فيقولون : « نحن عوران قيس ... »
فيسأل احدهم ، الشاخ بن ضرار ، عن اشياء في شعره فيلقيه
تنسي كل شيء ، وكذلك تميم بن أبي ، فلا ينال منها جواباً شافياً
لان صعوبة يوم الموقف ، وفيه انتظار الحكم الآلهي ، تنسي
الانسان كل ما عمله في الدنيا .

ثم يستطرد ابن القارح الى ذكر قصته في « يوم الموقف » :

(١) الهجاج ، الحمقى (٢) متترع ، مسرع الى التهلكة

القسم الثاني

يوم الموقف

دينونة ابن القارح

فيقول : انا اقص عليك قصتي :
لما نهضت انتفض من الرِّيم (١) ، وحضرت عرصات القيامة ،
ذكرت الآية : « تعرج الملائكة والروح اليه في يوم كان مقداره
خمسین ألف سنة فاصبر صبراً جميلاً ! » فطال عليّ الامد ، واشتد
الظمأ والرمد ، وانا رجل مهيف (٢) . فافتكرت ، فرأيت
امراً لا قوام لمثلي به . ولقيني الملك الحفيظ بما كتبت لي من فعل
الخير ، فوجدت حسناتي قليلة كالرياض في العام الأرمِل (٣) . إلا
ان التوبة في آخرها كأنها مصباح أبيل (٤) ، رُفع لسالك سبيل .

حواره مع رضوان

فلما اقيمت في الموقف زهاء شهر او شهرين ، وخفت من الفرق
في العرق ، زينت لي النفس الكاذبة ان انظم ابياتاً في رضوان
خازن الجنان ، عملتها في وزن : « قفا نبك من ذكرى حبيب

(١) الرِّيم ، القبر

(٢) مهيف ، سريع العطش

(٣) الارمل ، السنة التي يقل بها المطر

(٤) ابيل ، راهب

وعرفان » ووسمتها برضوان . ثم ضانكت الناس ، حتى وقفت منه بحيث يسمع ويرى . فما حفل بي ، ولا اظنه أبه لما اقول .

فغبرت برهة نحو عشرة ايام من ايام الفانية . ثم عملت ابياتاً في وزن : « بان الحليط ولو طوعت ما بانا » (١) ووسمتها باسمه كذلك . ثم دنوت منه ففعلت كفعلني الاول ، فكنت كأنما احرك ثبيراً (٢) ، او التمس من العضم (٣) عبيراً . فلم ازل اتتبع الاوزان التي يمكن ان يومم بها « رضوان » حتى افنيته ، وانا لم اجد عنده مغوثة ، ولا اظنه فهم ما اقول ! فلما استقصيت الغرض وما نجحت ، دعوت باعلى صوتي : « يارضوان يا امين الملك الجبار الاعظم على فراديس الجنان ! الم تسمع زدائي لك ، واستغاثي بك ؟ » فقال : « لقد سمعتك تذكر « رضوان » وما علمت مقصداك فما الذي تطلب ايها المسكين ؟ » فقلت : « انا رجل لا صبر لي على اللواب (٤) ، وقد استطلت مدة الحساب ، ومعني حك بالتوبة ، وهي للذنوب كلها ماحية . وقد مدحتك بأشعار كثيرة ، ووسمتها باسمك ! » فقال : « وما الاشعار ؟ » فقلت : « الأشعار جمع شعر ، والشعر كلام موزون تقبله الغريزة على شرائط إن زاد او نقص أبانه الحسن . وكان اهل العاجلة يتقربون به الى الملوك والسادات ، فبجئت بشيء منه اليك لعلك تأذن لي بالدخول من هذا الباب ، فقد استطلت ما الناس فيه ، وانا ضعيف . ولا ريب اني ممن يرجو المغفرة وتصح له بشيئة الله تعالى . » فقال : « انك لغيبين الرأي ، أتأمل ان

(١) من شعر جرير في الهجاء

(٢) ثبير ، اسم جبل

(٣) العضم ، تراب صعد التفتت

(٤) اللوب ، العطش الشديد

آذن لك بغير اذن من رب العزّة ؟ هيهات ! هيهات ! ... »

حواره مع زفر

فتركته وانصرفت بألمي الى خازن آخر يقال له « زفر » .
وبعد ان عمدحه بعدة قصائد يدخل فيها اسم « زفر » فلا ينجح
بحتج فيقول زفر :

لا اشعر بالذي قصدت ، واحسب هذا الذي تجيئي به قرآن
ابليس المارد ، ولا ينقق على الملائكة . انما هو للجان وعلموه ولد
آدم . فما بُغيتك ؟ « فذكرت له ما اريد . فقال : « والله ما اقدر
لك على نفع . فمن اين انت ؟ » فقلت : « من امة محمد بن
عبد الله بن عبد المطلب ! » فقال : « صدقت ! ذلك نبي العرب ،
ومن تلك الجهة أتيتني بالقريض ، لان ابليس اللعين نفثه في بلاد
العرب ، فتعلمه نساء ورجال . وقد وجب علي نصيحتك ، فعليك
بصاحبك لعله يتوصل الى ما ابتغيت » . فيئست مما عنده .

- ثم يهتدي إلى حمزة بن عبد المطلب ، عم محمد ، فيمدحه فيوصله -

الى علي بن ابي طالب . ولكنه يضع صك التوبة في الطريق
فيطلب علي شاهداً على توبته ، فيشهد له قاضي حلب . على انه لا
ينال الخلاص قبل انتهاء الدينونة : فيتذمر ثم يلجأ الى « العترة المنتهين »
حتى تخرج فاطمة فتوصي به اخاها ابراهيم فيتعلق ابن القارح بركابه ،
ويطير الفرس ، حتى يصل الى الصراط .

عبور الصراط

فلما خلصت من تلك الطموش (١) ، قيل لي : « هذا الصراط

فاعبر عليه « فوجدته خالياً لا أعريب (١) عنده . فبلوت نفسي في العبور ، فوجدتني لا استمسك . فقالت الزهراء ، صلى الله عليها جارية من جواربها : « يافلانة أجيزيه ! » فجعلت تمارسني (٢) ، وأنا اتساقط عن عيني وشمال . فقلت لها : « يا هذه ! ان اردت سلامتي ، فاستعملي بي قول القائل في الدار العاجلة :

« ست ، ان اعيالك امري فاحمليني زققونه ! »
« فقالت : وما زققونه ؟ » قلت : « ان يطرح الانسان يديه على كتفي الآخر ويمسك بيديه ، ويحمله ، ويطنه الى ظهره . اما سمعت قول الجحجول من اهل كفرطاب .
« صليت حالي الى الخلف ، حتى

صرت امشي الى الوراء زققونه ؟ »
فقالت : « ما سمعت بزققونه ، ولا الجحجول ، ولا كفرطاب إلا الساعة » . فتحملني وتجاوز كالبرق الخاطف .

طلب الجواز

فلما صرت الى باب الجنة ، قال لي رضوان : « هل معك من جواز ؟ » فقلت : « لا ! » فقال : « لا سبيل الى الدخول الا به ! »

فبعثت (٣) بالامر . وعلى باب الجنة ، من داخل ، شجرة صفصاف ، فقلت : « اعطني ورقة من هذه الصفصافة ، حتى ارجع

[١] لا عريب ، لا احد

[٢] تمارسني ، تدانني

[٣] بعثت ، دعت

الى الموقف ، فأخذ عليها جوازاً . فقال : « لا اخرج شيئاً من الجنة الا باذن من العلي الاعلى تقدر وتبارك ! »
فلما دجرت (١) بالنازلة ، قلت : « أنا لله وانا اليه راجعون
لو ان الأمير ابي المرجي خازناً مثلك ، لما وصلت انا ، ولا غيري
الى درهم من خزائنه ! »

دخوله الجنة

والتفت ابراهيم ، صلى الله عليه ، فرآني ، وقد تخلفت عنه .
فرجع الي ، فاجذبني جذبة حصّلتني بها في الجنة . وكان مقامي في
الموقف مدة ستة اشهر من شهر العاجلة ، فلذلك بقي علي حفطي
ما نزلته الا هو ، ولا نهكه تدقيق الحساب .



القسم الثالث

المقام في الجنة

حميد بن ثور

يلتقي الشيخ بتطوافه في امصار الجنة بجماعة من الشعراء فيسألهم
فأيكم حميد بن ثور ؟ « (١) فيقولون : « هذا ! » فيسلم عليه
الشيخ ويقول : « إيه يا حميد ! لقد احسنت في قولك :

ارى بصري قد رابني ، بعد صحة

وحسبك ذاء ان تصحح وتساهما

فكيف بصرك ؟ » فيقول : « اني لأكون في مغارب الجنة ،
فالبح الصديق من اصدقائي وهو بمشارقتها ، وبينني وبينه مسيرة الوف
اعوام للشمس التي عرفت سرعة سيرها في العاجلة . فتعالى الله القادر
على كل بديع ! »

مأدبة الجنة

تهيئة الطعام

ويبدو له ان يصنع مأدبة في الجنان ، يجمع فيها من امكن من
شعراء الحضرة والاسلام ، والذين أملوا كلام العرب ، وجعلوه
محفوظاً في الكتب . ويخطر له ان تكون كمآدب الدار العاجلة

اذ كان البارى ، جلت عظمتة ، لا يعجزه ان يأتهم بجميع الاغراض من غير كلفة ولا ابطاء . فتنشأ ارحاء (١) على الكوثر تجمع لطحن بر الجنة .

ويحبس (٢) في صدره ارحاء تدور فيها البهائم ، فيمثل بين يديه ما شاء من البيوت فيها احجار من جواهر الجنة ، تدبر بعضها جمال تسوم (٣) في عضاه (٤) الفردوس ، واينق ، وصنوف من البغال ، والبقر .

فاذا اجتمع من الطحن ما يظن أنه كاف للمأدبة ، تفرق خدمة فجاؤوا بالعماريس (٥) ، وضروب الطير التي جرت العادة يأكلها : كأبجاج (٦) العكارم (٧) ، وجوازل (٨) الطواويس ، والسمين من دجاج الرحمة ، وفراريج الخلد . وسيقت البقر ، والغنم ، والابل لتعتبط (٩) . فارتفع يعار (١٠) المعز ، وثواج (١١) الضان ، وصياح الديكة لعيان المدينة . وذلك كله ، بحمد الله ، لا ألم فيه ، وانما هو لعب ! فلا اله الا الله الذي ابتدع خلقه من غير روية ، وصوره بلا مثال !

-
- (١) ارحاء ، حمارة الطحن
 - (٢) يحبس ، يضم في صدره
 - (٣) تسوم ، ترعى
 - (٤) العضاه ، نبات ذو شوك
 - (٥) العماريس ، ج عمروس ، الجدي
 - (٦) أبجاج ، فراخ الطير
 - (٧) العكارم ، انثى الحمام
 - (٨) جوازل ، فراخ الحمام
 - (٩) لتعتبط ، لتتحرر
 - (١٠) يعار ، صوت المعز
 - (١١) الثواج ، صياح الغنم

فاذا حصلت النحوض (١) فوق الاوفاض (٢) ، قال : احضروا من الجنة الطهارة الساكنين بجلب على امر الأزمان . فتحضر جماعة كثيرة فيأمرهم باتخاذ الاطعمة . وتلك لذة يهبها الله ، عز سلطانه بدليل قوله : « وفيها ما تشتهيهِ النفس ، وتلد الاعين ، وانتم فيها خالدون ! وتلك الجنة التي اورثتموها بما كنتم تعملون ! لكم فيها فاكهة كثيرة منها تأكلون ! »

المدعوون

فاذا أتت الاطعمة افترق غلمانها لاحضار المدعويين . فلا يتركون في الجنة شاعراً اسلامياً ولا مخضرمأ ، ولا عالماً بشيء من اصناف العلوم ، ولا متأدياً ، الا احضروه ، فيجتمع خلق كثير . فتوضع الخون من الذهب ، والفواثير (٣) من اللجين . عليها الآكلون وتنقل اليهم الصحف ...

الشرب والغناء

فاذا قضاوا الارب من الطعام ، جاءت السقاة بأصناف الاشربة والمسمعات بالأصوات المطربة . ويقول : « عليّ بمن في الجنة من المغنين والمغنيات ، بمن كانوا في الدار العاجلة فقُضيت له التوبة . » فتحضر جماعة من رجال ونساء ، فيهم الغريض ، ومعبد ، وابن سريج ، وابراهيم الموصل ، وابنه اسحق

(١) الاوفاض ، الاخشاب حيث يقطع اللحم

(٢) الخون ، ما يوضع عليه الطعام

(٣) الفواثير ، وهي الخوان ، اي ما يوضع عليه الطعام

الرقص

ويذكر الابيات التي تنسب الى الخليل بن احمد (١) ، والخليل يومئذٍ
في الجماعة ، وانها تصلح لان يرقص عليها . فينشئ الله القادر ،
بلطف حكمته ، شجرة من الجوز ، فتونع لوقتها . ثم تنفض
عدداً لا يحصيه الا الله ، سبحانه . وتنشق كل واحدة منه عن
جوار مرقن الرايين ، يرقصن على الابيات المنسوبة الى الخليل واوها :
ان الخليط تصدع فطير بدائك ، اوقع (٢)

فتهتز ارجاء الجنة ...

ويقول : « لمن هذه الابيات ، يا ابا عبد الرحمن ؟ » فيقول
الخليل : « لا اعلم ! » فيقول : « انا كنا في الدار العاجلة نروي
هذه الابيات لك . » فيقول الخليل لا اذكر شيئاً من ذلك .
ويجوز ان يكون ما قيل حقاً . فيقول : « انسييت ، يا ابا عبد
الرحمن ، وانت اذكرى العرب في عصرك ! » فيقول الخليل : «
ان عبور الصراط ينفض الخلد (٣) مما استودع . »
ويعبر طاووس من طواويس الجنة يروق من رآه حسناً . فيشتهيه
ابو عبيدة مصوصاً (٤) . فيتكون كذلك في صفحة من الذهب .
فاذا قضى منه الوطر ، انضمت عظامه بعضها الى بعض ، ثم تصير
طاووساً كما بدا . فتقول الجماعة : « سبحان من يحيي العظام وهي
رميم ! » ويفترق اهل ذلك المجلس ، وهم ناعمون !

(١) الخليل : من اشهر علماء اللغة والنحو .

(٢) تصدع : تفرق . (٣) الخلد : البال ، الفكر .

(٤) المصوص : طعام من لحم الطير يطبخ وينقع في الخل .

القسم الرابع

جنة العناريت

ويبدو له ان يطالع الى اهل النار ، فيركب بعض دواب الجنة ويسير . فاذا هو بمدائن ليست كمدائن الجنة ، ولا عليها النور الشعشائي وهي ذات ادحال وغماليل فيقول لبعض الملائكة : « ما هذه يا عبد انا ؟ » فيقول هذه جنة العناريت الذين آمنوا بمحمد ﷺ وذكروا في « الاحقاف » وفي « سورة الجن » وهم عدد كثير . فيعرج عليهم . فاذا هو بشيخ جالس على باب مغارة ، فيسلم عليه فيحسن الرد ... فيقول : « ما اسمك ايها الشيخ ! » فيقول : « أنا الحيتعور احد بني الشيصان ، ولست من ولد ابليس ، ولكننا من الجن الذين كانوا يسكنون الارض قبل ولد آدم . »

اناشيد الجن

فيقول : « اخبرني عن اشعار الجن . فقد جمع المعروف « بالمرزباني قطعة صالحة . » فيقول ذلك الشيخ : « انما ذلك هذيان لا معتمد عليه ! وهل يعرف البشر من النظم الا كما تعرف البقر من علم الهيئة ومساحة الارض ؟ وان لهم خمسة عشر جنساً من الموزون ، قل ما يعدوها فقائلون ، وان لنا لآلاف اوزان ما سنع بها الانس وانما كانت تخطر بهم أطيغال (١) منا عارفون ، فتنفث اليهم مقدار

الضوازة (١) من اراك نعيم (٢) ولقد نظمت الرجز والقصيد قبل
ان يخلق آدم بكور (٣) او كورين .
ثم يتلو عليه من نظمه راوياً قصته .

لغة الجن

فيقول : « لله درك يا ابا هدهد رش ! فكيف السنتكم ؟ أيكون
فيكم عرب لا يفهمون عن الروم ، وروم لا يفهمون عن العرب ،
كما نجد في أجيال الانس ؟ » فيقول : « هيهات ! ايها المرحوم !
إننا اهل ذكاء وفطن ولا بد لأحدنا ان يكون عارفا بجميع اللسان
الأنسية ولنا ، بعد ذلك ، لسان لا يعرفه الانيس ! »
ويتلو عليه قصيدة فيها ذكر مغامراته زمن الكفر ثم ذكر
توبته ، منها :

مكة أقوت من بني الدرديس °
فما لني بها من حسيس ! (٤)

* * *

لا انتهى عن غرضي بالرقى

إذا انتهى الضيغم ، دون الفريس ° (٥)

(١) الضوازة : السواك .

(٢) الاراك : شجر السواك .

(٣) الكور : ١٥٠ سنة .

(٤) الدرديس : من قبائل الجن .

(٥) الرقى : التعاويذ .

وأدلى الظالماء في فتية

ملجن ، فوق الماحل العر بسيس (١)

في طام تعزف جنائنه أقفر ، إمن عفاريت ليس (٢)
تحملنا في الجنج خيل لهـ ا اجنحة ليست كخيل الانيس
وأينق تسبق ابصاركم مخلوقة بين نعام وعيس (٣)

* * *

لا نسك في أيامنا عندنا

بل نكس الدين ، فما إن نكيس (٤)

فلا حد الاعظم والسبت كال اثنين والجمعة مثل الخميس
لا محجس نحن ، ولا هود ولا نصارى يبتغون الكنيس
فمزق التوراة من هونها ونحطم الصليبان حطم اليبيس
نحارب الله جنوداً لا ؛ ليس أخي الرأي الغبين النجيس
ونسلم الحكم إليه — اذا قاس — فزضى بالضلال المقيس .

* * *

(١) ادلىج : سار في الليل .

(١) لبس : البس : شجاع .

(٢) عيس : الجمال .

(٣) نكس : اهل شأنه .

ترن للشارخ والشيخ أن

يفرغ كيساً في الحنا ، بعد كيس (١)

وتقتري جن سليمان كي

نطلق منها كل غاو خميس (٢)

صير في قارورة رصصت فلم تغادر منه غير النسيس (٣)

ونخرج الحسناء من بيتها مطرودة عن سوء ظن حديس

* * *

لا اتقي البر لأهواله واركب البحر أوان القريس (٤)

نادمت قابيل ، وشيتنا وها بيل على العاتقة الخندريس

ورھط لقمان وأيساره عاشرت من بعد الشباب اللبیس

* * *

ثمت آمنت ! ومن يوزق الايمان يظفر ، بالخطر النفيس

جاهدت في بدر ، وحاميت في

أحد ، وفي الخندق رعت الرئيس

(١) الشارخ : الفتى .

(٢) تقتري : تتبع .

(٣) النسيس : بقية الروح ،

(٤) القريس : الهرم الكثير

وراء جبريل وميكال نحن لي في الكبة خلي للسيس (١)
 وطار في اليرموك ، بي سابح والقوم في ضرب وطعن خليس
 حتى تجلت عني الحرب كالج مرة في وقدة ذاك الوطيس
 والجمل الانكد شاهده بشس نتيح الناقة العنتريس (٢)
 وزرت صفين على شطبة جرداء ، ما سائسها بالاريس (٣)
 مجدلاً بالسيف أبطالها وقاذفاً بالصخرة المرمريس
 وسرت قدام علي غد اة النهر حتى فل غرب الخميس (٤)
 صادف مني واعظ توبة فكانت اللقوة عند القبيس
 فيعجب لما سمعه من ذاك الجني ويكره الاطالة عنده ، فيودعه

الاسد والفريسة

ويحم (٥) فادا هو بأسد يفترس من صيران (٦) الجنة وحسيلها (٧)
 فلا تكفيه هنيذة ولا هند (٨) . فيقول في نفسه : « لقد كان
 الاسد يفترس الشاة العجفاء فيقيم عليها الايام ، لا يطعم سواها

(١) الكبة : الصدمة بين الجيشين

(٢) الجمل الانكد : جمل عائشة

(٣) شطبة : فرس حصنة القوام

(٤) الخميس ، الجيش

(٥) يحم ، يمشي

(٦) صيران ، قطمان بقر الوحش

(٧) الحسيل ، العجول

(٨) هنيذة ولا هند ، اي مائة ولا مائتان

شيئاً ! » فيلهم الله الاسد ان يتكلم ، وقد عرف ما في نفسه ،
فيقول : « يا عبد الله ! اليس احدكم في الجنة ، تقدم له الصحيفة ، فيأكل
منها مثل عمر السموات والارض ، يلتذ بما اصاب ، فلا هو مكتفٍ
ولا هي الفانية . وكذلك انا افترس ما شاء الله . فلا تأذي الفريسة
بظفر ولا ناب ، ولكن تجد من اللذة كما اجد ، بلطف ربها العزيز . »

افصى الجنة

بيت الخطيئة

فيذهب ، فاذا هو بميت في اقصى الجنة ، كأنه حفش (١)
أمة راعية . وفيه رجل ليس عليه نور سكان الجنة ، وعنده شجرة
قميئة (٢) ثمرها ليس بذاك : فيقول : « يا عبد الله ! لقد رضيت
بحقير ! » فيقول : « والله ! ما وصلت اليه الا بعد هياط ومياط (٣)
وعرق من شقاء ، وشفاعة من قریش وددت انها لم تكن ! »
فيقول : « من انت ؟ » فيقول : « انا الخطيئة العبسي ! (٤)
فيقول : « بم وصلت الى الشفاعة ؟ » فيقول : « بالصدق ! »
فيقول : « في اي شيء ؟ » فيقول : « في قولي :
أبت شفتاي اليوم الا تكلماً بهجر ، فلا ادري لمن انا قائله !
ارى لي وجهاً شوه الله خلقه فقبُح من وجهه ! وقُبُح حامله !
فيقول : « ما بال قولك :

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس [٥]
لم يغفر لك به ؟ » فيقول : سبقني الى معناه الصالحون . ونظمته
ولم اعمل به ، فحرمت الاجر عليه »

(١) الحفش ، البيت الحقير (٢) قميئة ، صغيرة (٣) هياط ومياط ، مجيء وذهاب

(٤) الخطيئة ، اشهر شعراء الهجاء (٥) العرف ، المعروف

القسم الخامس

جبرم

الخنساء وشقيقتها

... ويمضي ، فاذا هو بامرأة في اقصى الجنة ، قريبة من المطلع الى النار ، فيقول : « من انتِ ؟ » فتقول : « أنا الخنساء (١) السليمية . أحببت ان أنظر الى صخر . فاطلعت ، فرأيتَه كالجبل الشامخ ، والنار تضطرم في رأسه فقال : « لقد صح مزعمك فيَّ ! يعني قولي :

وان صخر لتأتم الهداةُ به كأنه علم في رأسه نارُ » (٢)

بشار بن برد وابليس

فيطلع فيرى إبليس ، لعنه الله ، وهو يضطرب في الأغلال والسلاسل ومقامع (٣) الحديد تأخذه من ايدي الزبانية . فيقول « الحمد لله الذي أمكن منك يا عدو الله ، وعدو اوليائه ، لقد اهلكت من بني آدم طوائف لا يعلم عددها الا الله ! » فيقول : « من الرجل ؟ » فيقول : « انا فلان بن فلان من أهل حلب ، كانت صناعتي الأدب . » ... فيقول ابليس : « فما فعل بشار بن برد (٤) »

(١) الخنساء ، (تمارض بنت عمرو) كبرى شعراء العرب .

(٢) علم ، جبل

(٣) مقامع ، العصي التي يضرب بها الانسان

(٤) بشار ، بشار بن برد من شعراء العصر العباسي الاول

فإن له عندي يسداً لست لغيره من ولد آدم : كان يفضلني دون الشعراء ، وهو القائل :

ابليس أفضل من ابيكم آدم فتبينوا ، يا معشر الاشرار
النار عنصره ، وآدم طينة والطين لا يسمو سمو النار

لقد قال الحق ولم يزل قائله من الممقوتين ! «
فلا يسكت من كلامه ، الا ورجل في أصناف العذاب ،
يغمض عينيه حتى لا ينظر الى ما نزل به من النقم ، فيفتحها
الزبانية بكلايب من نار . واذا هو ببشار بن برد قد اعطي عينين
بعد الكمه ، ينظر الى ما نزل به من النكال .

الملك الضليل

ويسأل عن امرئ القيس بن حجر (١) فيقال : « ها هوذا
بحيث يسمعك . » يا ابا هند ، أخبرني عن التسميط (٢) المنسوب
اليك ، اصحيح هو عنك ؟ » وينشد الذي يرويه بعض الناس :

يا قوم ، ان الهوى اذا اصاب الفتى
في القلب ، ثم ارتقي فهدّ بعض القوى

فقد هوى الرجل

فيقول : « والله ! ما سمعت هذا قط ، وان الكذب لكثير
واحسب هذا لبعض شعراء الاسلام ، ولقد ظمني واساء الي . »
فيعجب بما سمعه ...

(١) امرؤ القيس . اشهر شعراء الجاهلية .

(٢) التسميط : نوع من الشعر الخمس ،

عنترۃ العبسی

وينظر ، فاذا عنترۃ (١) متلدد (٢) فی السعیر . فيقول :
« مالك يا اخا عبس ؟ كأنك لم تنطق بقولك :

ولقد شربتُ من المدامة ، بعد ما

ركد الهواجر ، بالمشوف المعلم ، (٣)

بزجاجة صفراء ذات اسرة

قرنت بأزهر ، في الشمال ، مقدم (٤)

« واني اذا ذكرت قولك : « هل غادر الشعراء من متردم ! »
لأقول : انما قيل ذلك وديوان الشعر قليل ، محفوظ . فاما الآن فلو
سمعت ما قيل بعد مبعث النبي (ﷺ) ، لعتبت نفسك على ما قلت
ولقد شق علي دخول مثلك الى الجحيم . »

علقمة بن عبدة

وينظر فاذا علقمة بن عبدة . فيقول : « اعزز علي بمكانك !
ما اغنى عنك سمطاً لؤلئك (٥) ولو شفعت لأحد ابيات صادقة ليس
فيها ذكر الله سبحانه ، لشفعت لك ابياتك في وصف النساء ،
اعني قولك :

(١) عنترۃ ، من اشهر فرسان الجاهلية وشعراؤها

(٢) متلدد ، متحير

(٣) ركد ، سكن

(٤) ازهر ، ابريق مقدم ، مسدود بالقدم

(٥) سمط لؤلئك ، يعني اشهر قصائده

فان تسألوني بالنساء ، فاني بصيرٌ بأدواء النساء ، طيب :
اذا شاب رأس المرء ، او قل ماله
فليس له ، في ودهن ، نصيب ! ..

عمرو بن كلثوم

« فليت شعري ! ما فعل عمرو بن كلثوم ؟ » (١) فيقال :
ها هوذا من تحتك . ان شئت ان تحاوره فيحاوره .. فيقول :
« كيف انت ايها المصطبج (٢) بصحن الغانية ، والمغتبق (٣) من
الدنيا الفانية ! لوددت انك لم تساند في قواك :

كأن متونهم متون عُذر تصفقها الرياحُ اذا جرينا !
فيقول : عمرو : « إنك لقرير العين ، لا تشعر بما نحن فيه .
فاشغل نفسك بتمجيد الله ، واترك ما ذهب فانه لا يعود . واما
ذكرك سنادي فان الاخوة ليكونون ثلاثة او اربعة ، ويكون
فيهم الأعرج ، والانجق (٤) فلا يعابون بذلك . فكيف اذا بلغوا
المائة في العدد ؟ »

طرفة

ويعمد لسؤال طرفة بن العبد (٥) فيقول : « يا ابن اخي ،
يا طرفة ، خفف الله عنك ! اذكر قولك :

(١) عمرو بن كلثوم : بطل وشاعر جاهلي

(٢) المصطبج ، الشارب صباحا

(٣) المغتبق ، الشارب مساء

(٤) الانجق ، الاعور القبيح

(٥) طرفة بن العبد ، صاحب المعركة الثانية شاعر جاهلي معروف ، مات وهو في سن الشباب

كريم يروي نفسه في حياته سنتعلم ، إن متنا غداً ، اينما الصدي !
« قولك :

ارى قبر نحام بخيل بماله كقبر غوي في البطالة مُفسد (١)
« فكيف صبوحتك الان وغبوقك ؟ اني لاحسبها حميما ! ولو
لم يكن لك أثر ، في الدار العاجلة ، إلا قصيدتك التي على
الدال ، (٢) لكنت ابقيت اثراً حسناً ! » فيقول طرفة :
« وددت اني لم انطلق مصرعاً ، ودخلت الجنة مع الهمج والطفام ..

أوس بن حجر

ثم يرى اوس بن حجر (٣) فيسأله عن بيت ورد في شعره وفي
شعر النابغة لمن هو ! فيقول اوس :
« قد بلغني أن نابغة بني ذبيان في الجنة فأسأله عما بدا لك .
فاعلمه بخبرك ، فهو أجدر ان يعي هذه الاشياء . فاما انا فقد ذهلت :
نار توقد ، وبنان يعقد ، اذا غلب عليّ الظمأ ، رُفع الي شيء كالنهر
فاذا اغترفت منه لأشرب ، وجدته سعيراً مضطرباً . ولقد دخل
الجنة من هو شرّ مني ولكن المغفرة ارزاق ، كأنها النشب (٤)
الدار العاجلة ! »

الأخطل

واذا هو برجل يتضور (٥) فيقول : « من هذا ؟ » فيقال :

(١) نحام ، حريس على جمع المال

(٢) اي المعلقة .

(٣) اوس بن حجر ، من اقدم شعراء الجاهلية

(٤) النشب ، المال .

(٥) يتضور ، يتوجع

« الاخطال التغلبي ! » (١) فيقول له : « ما زالت صفتك للخمر حتى غادرتك اكلاً للخمر ! فكم طربت السادات على قولك : أناخوا ، فجزوا شاصيات كأنها رجال من السودات لم يتسر بلوا (٢) فقلت : « اصبحوني الا ابا لا يكم ! »

وما وضعوا الاثقال الا ليفعلوا (٣)

فصبوا عقاراً في الاناء كأنها

اذا لمحوها ، جذوة تتأكل ! (٤)

ثم يقول له : « اخطأت في امرين : جاء الاسلام ، فعجزت ان تدخل فيه . وعاشرت يزيد بن معاوية . » فيزفر الاخطال زفرة تعجب لها الزبانية ويقول : « آه على ايام يزيد ! أسوف (٥) عنده عنبراً وامزح معه مزح خليل .. ولقد فاكهته بعض الايام وانا سكران ملتخ (٦) فقلت :

الا اسلم ، سلمت ، ابا خالد ! وحياتك ربك بالعنقر (٧)

اكلت الدجاج ، وأفنيتهما . فهل في الخنانيص من مغمز (٨)

(١) الاخطال ، اشهر شعراء الامويين اشتهر بوصفه للخمر

(٢) شاصيات ، زقاق ملئت حتى ارتفعت قوائمها .

(٣) اصبحوني ، استقوني عند الصبح

(٤) العقار ، الخمر

(٥) أسوف ، أشم

(٦) ملتخ ، غير مترن بكلامه بسبب السكر

(٧) العنقر : نبات طيب الرائحة .

(٨) الخنانيص : ج . خنرس : ولد الخنزير .

فما زاد عن ابتسام ، واهتز للصلة !
ويسأله الشيخ عن مذهب يزيد « أكان موحداً أم ملجداً »
فيقول الاخطل : كانت تعجبه هذه الايات :

أخالد ؟ هاتي خبريني وأعلمني حديثك أني لا اسر التناجيا (١)
حديث اني سُفيان ، لما سما بها الى أحد ، حتى أقام البواكيا (٢)
وكيف بغن امرأ علي ، ففاته واورثه الجُد السعيد معاويا .
وقومي فعُلي ، على ذاك قهوة تحلبها العيسي كرمًا شاميا . (٣)
اذاما نظرفا في امور قديمة وجدنا حلالا شرها المتواليا
فلا خلف بين الناس ، ان محمداً تبوأ رمسا ، في المدينه ثاويا !
فيقول : « عليك البهلة ! قد ذهلت الشعراء من اهل الجنة والزار
عن المدح والنسيب ، وما شُدهت (٤) عن كفرك ولا اساءتك !
وابليس يسمع ذلك الخطاب كله ، فيقوو للزبانية : « ما رايت
اعجز منكم ، إخوان مالك ! ألا تسمعون هذا المتكلم بما لا يعنيه
فلو ان فيكم صاحب نخيزة (٥) ، لوثب وثبة حتى يلحق به فيجذبه
الى سقر ! » فيقولون : « ليس لنا على اهل الجنة سبيل ! »
ثم يعود الى كلام الاخطل فيقول : أنت القائل هذه الايات :

(١) اعاني : جاهري .

(٢) سما : ارتفع .

(٣) عابني : اسقيني

(٤) ما شدهت : ما حوت بما انت فيه !

(٥) : نخيزة : طبيعة .

ولست بصائمٍ رمضَن طوعاً ، ولستُ بآكلٍ لحمٍ الاضاحي
ولست بقائمٍ ، كالعيرِ ادعو قبيل الصبح : « حي على الفلاح ! »
ولكني سأتربها شمولاً وأسجد عند مُنبليج الصباح !
فيقول : « اجل ! واني لنادم سادم (١) ! وهل اغنت الندامة ! »

المهلل

ويل من خطاب اهل النار ، فينصرف الى قصره المشيد . فاذا
صار على ميلٍ او ميلين ، ذكر انه ما سأل عن مهلل التغلبي ،
ولا عن الشنفرى ، وتأبط شراً . فيرجع على ادراجه ، فيقف
بذلك الموقف وينادي : « اين عدي بن ربيعة ؟ » فيقال : « زد
في البيان ! » فيقول : الذي يستشهد النحويون بقوله :
ضربت صدرها إلي ، وقالت : « يا عديا لقد وقتك الاواقى »
فيقال : « انك لتعرف صاحبك بامرٍ لا معرفة عندنا به !
ما النحويون ؟ وما الاستشهاد ؟ وما هذا الهذيان ؟ »
فيقول : « اريد المعروف بمهلل (٢) التغلبي ، اخي كليب
وائل الذي كان يضرب به المثل . » فيقال : « ها هوذا يسمع
حوارك ، فقل ما تشاء ! » فيقول : يا « عدي بن ربيعة ! أعزز
علي بولوجك هذا المواج ! لو لم آسف عليك الا لأجل قصيدتك
التي اولها :

أليستنا بذئٍ مُحسم ، أنيري ! اذا انت انقضيت ، فلا تحوري !

(١) سادم ، بمعنى نادم .

(٢) المهلل ، (عدي بن ربيعة) من اقدم الشعراء الجاهليين .

« لكانت جديرة ان 'تطيل الاسف عليك . »

الشنفري وتأبط شراً

ويسأل عن الشنفري (١) الازدى فيلفيه « قليل التشكي » (٢) والتألم لما هو فيه . فيقول : « اني لا اراك قلقاً مثل قلق اصحابك ! » فيقول : « اجل ! اني قلت بيتاً في الدار الحادعة ، فانا اتأدب به وذلك قولي :

غوى فغوت اثم ارعوى بعد وارعوت

وللقبر ، ان لم ينفع الشكو ، اجل ! »
واذا هو قرين مع تأبط شراً (٣) ، كما كان في الدنيا الغرارة .

(١) الشنفري ، شاعر جاهلي قديم

(٢) « قليل التشكي » ، هكذا ينعتة صديقه تأبط شراً

(٣) تأبط شراً ، شاعر جاهلي كان معاصراً للشنفري

القسم السادس

الرجوع الى الجنة

آدم

فاذا رأى قلة الفوائد لديهم ، تركهم في الشقاء السرمدي ، وعمد
لمحلته في الجنان . فيلقى آدم ، عليه السلام ، في الطريق . فيقول :
« يا أبانا ، صلى الله عليك ! قد روي لنا عنك شعر منه قولك :
نحن بنو الارض وسكانها منها خلقنا ، واليهما نعود !
والسعيد لا يبقى لاصحابه والنحس تمحوه ليالي السعود !
فيقول : « ان هذا القول حق ، وما نطقه الا بعض الحكماء
ولكني لم اسمع به حتى الساعة . » فيقول : « فلعلمك ، يا أبانا ،
قلته ثم نسيت ! فقد علمت ان النسيان متسرع اليك ، وحسبك
شهاداً على ذلك الآية المتلوة في قرآن محمد ﷺ : « ولقد عهدنا
الى آدم من قبل ، فنسي ولم نجد له عزماً ! » وقد زعم بعض
العلماء أنك سميت « انساناً » . لنسيانك . واحتج على ذلك بقولهم
في التصغير : « أنيسان » . وفي الجمع : « أناسي » وقد روي
أن الانسان من النسيان عن ابن عباس ، وقال الطائي :
لا ينسي تلك اليهود ، وانما سميت إنساناً لانك ناسي ! »
فيقول آدم ﷺ : « أبيت الا عقوقاً وأذية ! إنما كنت اتكلم

العربية ، وانا في الجنة . فلما هبطت الارض ، نقل لساني الى السريانية ، فلم انطق بغيرها الى ان هلكت . فلما ردني الله ، سبحانه وتعالى ، الى الجنة عادت علي العربية . فاي حين نظمت هذا الشعر ؟ في العاجلة ام في الآجلة ؟ والذي قال ذلك يجب ان يكون قاله وهو في الدار الماكرة ، الا ترى قوله : « منها خلقنا واليها نعود » ؟ فكيف اقول هذا المقال ولساني سرياني ؟ واما الجنة قبل ان اخرج منها ، فلم اكن ادري بالموت ، فيها ، وانه مما حكم على العباد . واما بعد وجوعي اليها ، فلا معنى لقولي : « واليها نعود ! » لانه كذب لا محالة ، ونحن معاشر اهل الجنة خالدون مخلدون ! »

فيقول : « ان بعض اهل السير يزعم ان هذا الشعر وجدته يعرب في متقدم الصحف السريانية ، فنقله الى لسانه ، وهذا لا يمنع ان يكون . وكذلك يروون لك ، صلى الله عليك ، لما قتل قابيل هابيل :

تغيرت البلاد ، ومن عليها فوجه الارض مغبر قبيح !
واودى ربع اهلها فبانوا وغودر في الثرى الوجه المليح !

فيقول آدم ﷺ : « أعزز علي بكم ، معشر بني ! انكم في الضلالة متهوكون ! (١) آليت (٢) ما نطقت هذا النظم ، ولا نطق في عصري . وانما نظمه بعض الفارغين ، فلا حول ولا قوة الا بالله ! كذبتكم على خالقكم وربكم ، ثم على آدم ابيكم ، ثم على حواء امكم ، وكذب بعضكم على بعض ! »

(١) متهوكون : متهورون .

(٢) آليت : افسعت .

اللذة القصوى

ويذكر الشيخ ما كان يلحق اخا الندام ، من فتور في الجسد من المدام ، فيختار ان يعرض له ذلك من غير ان ينزف له لب (١) « فاذا هو يخال في العظام الناعمة دبيب نمل ، أسرى في المقمرة على رمل ، فيتروم بقول اياس بن الارت :

أعاذل ، لو شربت الخمر حتى يظل لكل لفلة ديب
اذن لعذرتني ، وعلمت اني لما ألتفت من مالي ، مصيب !

ويتكى على مفرش من السندس ، ويأمر بأحور العين ، ان يحملن ذلك المفرش ، فيضعنه على سرير من سرور اهل الجنة ، وانما هو زبرجد او عسجد . فيكون الباري فيه حلقاً من الذهب تطيف به من كل الانحاء حتى يأخذ كل واحدة من الغلمان ، وكل واحدة من الجواري المشبهة بالجمان ، واحدة من تلك الحلق ، فيحمل على تلك الحال الى محله المشيد بدار الخلود . فكلما مر بشجرة نضجته اغصانها بماء الورد قد خلط بماء الكافور ، وبمسك ما جني من دماء الفور (٢) ، بل هو بتقدير الله الكريم . وتناديه الثمرات من كل اوب ، وهو مستلق على الظهر : « هل لك ! يا ابا الحسن ، هل لك ! » فاذا اراد عنقوداً من العنب او غيره ، انقضب له من الشجرة بشيئة الله ، وحملته القدرة الى فيه . واهل الجنة يلقونه بأصناف التحية ، « وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين »

ينتهي ابو العلاء ، بهذا المقطع ، تصوير الجنة والدار وما فيها ، ثم يبدأ بالرد على رسالة ابن القارح ونحن نقف بدورنا عند هذا الحد من رسالة الغفران لننتقل الى المنتهيات .

(١) نزف له : حصل له دوار . (٢) الفور : ج . فائر : نوع من الغزلان

منتخبات شهرية

قدرة الله

انفرد الله بسلطانه فماله في كل حال كفاء
ما خفيت قدرته عنكم وهل لها عن ذي رشاد خفاء
إن ظهرت نار كما خبروا في كل أرض فعلينا العفاء
تهوى الشرياً ويلين الصفا من قبل ان يوجد أهل الصفاء
فدُفقد الصدق ومات الهدى واستحسن الغدر وقل الوفاء
واستشعر العاقل في سُقمه ان الردى مما عناهُ الشفاء
واعترف الشيخ بأبنائه وكلهم ينذر منه انتفاء
ربهم بالرفق حتى إذا شبوا عنا الوالد منهم جناء
والدهر يشتف أخلاًه كأنما ذلك منه اشتفاء

نار الشبهة

أولو الفضل في اوطانهم غرباء تشد وتناى عنهم القرباء
فما سبئوا الراح السكيت للذة ولا كان منهم للخراد سبباء

وحسبُ الفتي من ذلة العيش أنه

يروحُ بأدنى القوت وهو حباء

إذا ما خبت نار الشبيبة ساءني ولو نصَّ لي بين النجوم خباء

أرايبك في الودِّ الذي قد بذلته فاضعف أن أجدي ليدك رباء

وما بعدَ مرَّ الخمسَ عشرة من صباً ولا بعدَ مرَّ الأربعين صباء

أجدك لا ترضى العبادة ملبساً ولو بان ما تسديه قيل عباء

وفي هذه الأرض الركون مَنابت فمنها علمندي ساطع و كباء

تواصلَ حبلُ النسلِ ما بين آدم وبينني ولم يوصلَ بلامي بساء

تشاءب عمرو إذ تشاءب خالدٌ بعدوى فما أعدتني الثوباء

وزهدني في الخلقِ معرفتي بهم وعلمي بأن العالمين هباء

وكيفَ تلافى الذي فات بعد ما تلمَّعَ نيرانُ الحريقِ أباء

إذا نزلَ المقدار لم يكُ للقطا نهوضٌ ولا للمخدرات إباء

وقد نطحتُ بالجيشِ رضى فلم تُبَلِّ

ولزَّ براياتِ الخميسِ قباء

على الولدِ يحني والد ولو أنهم ولادةً على امصارهم خطباء

وزادكُ بعداً من بنيك وزادهم عليكُ حقوداً أنهم نجباء

يرون أبا ألقاهم في مؤرَّبٍ من العقد ضلت حله الأرباء
وما أدب الاقوام في كل بلدة الى المينِ إلا معشر أدباء
تبتعننا في كل تقبٍ ومخرمٍ منايا لها من جنسها نقباء
إذا خافت الاسد الخماص من الظبا
فكيف تعدى حكمن ظبا

الحكمة الفاتنة

إذا كان علمُ الناس ليس بنافعٍ ولا دافعٍ فالخسر للعلماء
قضى الله فينا بالذي هو كائن فتم وضاعت حكمةُ الحكماء
وهل يَأْبَقُ الإنسان من مأكربه فنخرج من ارض له وسما
سنتبمع آثار الذين تحملوا على ساقه من أعبدٍ واماء
لقد طال في هذا الانام تعجبي فيا لرواءٍ قوبلوا بطماء
أرامي فتشوى من أعاديه أسهمي

وما صاف عني سهمه برماء
وهل أعظم الاغصون وريقةً وهل ماؤها الأجنى دماء
وقد بان أن النحس ليس بغافلٍ له عملٌ في أنجمٍ - الفهماء
ومن كان ذا خودٍ وليس بمكثرٍ فليس بمسحوبٍ من الكرماء

نهابُ أمورا ثم نركب هولها على عنق من صاغرين قماء
أفيقوا أفيقوا يا مغواة فانما ديانا تكم مكر من القدماء
أرادوا بها جمع الحطام فأدر كوا وبادوا وماتت سنة اللؤماء
يقولون ان الدهر قد حان موته ولم يبق في الايام غير ذماء
وقد كذبوا ما يعرفون انقضاءه فلا تسمعوا من كاذب الزعماء
وكيف أقضي ساعة بمسرة وأعلم ان الموت من غرمائي
خذوا حذرا من اقربين وجانب ولا تدهلوا عن سيرة الحزماء

البلاء باق

قد حجب النور والضياء وإنما ديننا رياء
وهل يجود الحيا أناسا منطويا عنهم الحياء
يا عالم السوء ما علمنا ان مصليك اتقيا
لا يكذبن امرؤ جهول ما فيك لله اولياء
ويا بلاداً مشى عليها اولو افتقار واغنياء
اذا قضى الله بالخازي فكل اهايك اشقياء
كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض انبياء
فانصرفوا والبلاء باق ولم يزل داؤك العياء

حِكْمٌ جَرَى لِلْمَلِكِ فِينَا وَنَحْنُ فِي الْأَصْلِ اغْبِيَاءُ

استعجال الموت

حَيَاةٌ عَنَاءٌ وَمَوْتُ عَنَاءٌ فَلَيْتَ بَعِيدَ حِمَامِ دَنَا
يَدِ صَفَرْتِ وَهَاءُ ذَوْتِ وَنَفْسٌ تَمَنَّتْ وَطَرْفٌ رَنَا
وَمَوْقِدٌ نِيرَانُهُ فِي الدَّجَى يَوْمِ سَنَاءٍ بَرَفَعَ السَّنَى
يَجَاوِلُ مِنْ عَاشٍ سَآتِرَ الْقَمِيصِ وَمِلْءُ الْخَمِيصِ وَبُرَّةَ الضَّنَى
وَمَنْ ضَمَّهُ جَدَثٌ لَمْ يُبَلِّ عَلَى مَا أَفَادَ وَلَا مَا اقْتَنَى
يَصِيرُ تَرَابًا سَوَاءٌ عَلَيْهِ مَسُّ الْحَرِيرِ وَطَعْنُ الْقَنَا
وَمُشْرَبُ الْفَنَاءِ يَخْضَرُ الْفَرَسُ نَدَى كَأَنَّ عَلَى آسِهِنَّ الْفَنَاءُ
وَلَا يَزْدَهِي غَضَبٌ حَامَهُ أَلْقَبَهُ ذَاكِرٌ أَمْ كُنَّا
يُهَنِّأُ بِالْخَيْرِ مَنْ نَالَهُ وَلَيْسَ الْهَنَاءُ عَلَى مَا هُنَا
وَاقْرَبُ مَنْ كَانَ فِي غَبْطَةٍ بَلَقِيَا الْمُنَى مِنْ لِقَاءِ الْمَنَاءِ
أَعَابِيَةُ جَسَدِي رُوحُهُ وَمَا زَالَ يَخْدُمُ حَتَّى وَنَى
وَقَدْ كَلَفْتَهُ أَعَاجِيْبَهَا فَطَوْرًا مُفْرَادَى وَطَوْرًا مُثْنَا
يُنْصَافِي ابْنَ آدَمَ حَالَ الْغُصُونِ فَهَاتِيكَ أَجْنْتُ وَهَذَا جَنَى
تَغْيِيرِ حَنَآؤِهِ شَيْبَةِ فَهَلْ غَيْرُ الظُّهْرِ لِمَا انْخَنَى

إذا هو لم يُجنِّ دهرٌ عليه جاء الفري وقال الحنا
وسيات من أمه حرة حصان ومن أمه فرقتي
ولي مورد بآناء المنون ولكن ميقاته ما أني
زمان يخاطب أبناءه جهاراً وقد جهلوا ما غنى
يبدل باليسر إعدامه وتهدم أحداثه ما بني
لقد فزت ان كنت تعطي الجنا ن بمكة اذ زرتها أو مني

الموت راحة

تمالي رازق الاحياء طراً لقد وهت المروءة والحياء
وان الموت راحة هبرزي أضرب بلبه داء عياء
ومالي لا أكون وصي نفسي ولا تعصي اموري الاوصياء
وقد فتشت عن اصحاب دين لهم نسك وليس لهم رياء
فألفيت البهائم لا عقول تقيم لها الدليل ولا ضياء
واخوان الفطانة في اختيال كأنهم لقوم انبياء
فأما هؤلاء فأهل مكر وأما الاولون فأغبياء
فان كان اتقى بلهاً وعياً فأعيار المذلة اتقياء
وأرشد منك أجرب تحت عبء تهب عليه ريح جرياء

وجدتُ الناسُ كُلُّهم فقيرٌ ويُعَدَمُ في الأثام الأغنياءُ
نحبُّ العيشَ بغضاً للمنايا ونجن بما هويُنَا الأشقياءُ
يموت المرءُ ليس له صفيٌّ وقبل اليوم عزَّ الأصفياءُ
أتدري الشمس أن لها بهاءً فتأسف أن يفارقها الأياءُ

الأحلام الضائعة

اسرينا وطالبنا هاجمٌ وعند الصباح حمدنا السرى
بنوا آدم يطلبون الثراء عند الثريا وعند الثرى
فتى زارعٌ وفتى دارعٌ كلا الرجلين غداً فامترى
فهذا بعين وزاي يروح وذلك يؤوب بضادٍ ورا
وعامل قوت ذرا حبه وخدن ركاز ضحا فاذرى
وكورك فوق طويل المطأ وسرجك فوق شديد القسرا
ويجري ذفاريها جدُّها بمثل الظلام إذا ما جرى
كأن مبصاق الدبى فوقها إذا وقدت في الأنوف البسرا
وذلك من حر أنفاسها يضاعفه حرُّ يومٍ جرى
تأوم على أم دفر أخاك وراءك أن هوى قد وري (١)

عهدُكُ مُشَبَّهٌ سَيِّدُ الضَّرَاءِ
تَدَبُّ فَانْ وَجَدْتَ مُخْلَسَةً
هُوَ الشَّرُّ قَدْ عَمَّ فِي الْعَالَمِينَ
لِيَقْتَنَ فِي صَهْمِهِ نَاسُكَ
فَكُنُوا صَبُوحِيَّةَ الشَّرْبِ أُمَّ
وَقَالُوا بَدَا الْمُشْتَرِي فِي الظَّلَامِ
وَتَرَجَوْا الرِّبَاحَ وَأَيْنَ الرِّبَاحُ
عَذِيرِي مَنْ مَارِدٍ فَاجِرٍ
فَهَوَّنَ عَلَيْكَ لِقَاءَ الْمُنُونِ
وَنَادَى إِذَا أَوْعَدْتُكَ أَعْتَرِي
وَنَفْسِي تَرْجِي كَأَحَدِي النُّفُوسِ
وَكَمْ نَزَلَ النُّقِيلُ عَنْ مَنَبَرٍ
وَأَخْرَجَ عَنْ مُلْكِهِ عَارِيًّا
إِذَا الضَّيْفُ جَاءَكَ فَأَبْسِمَ لَهُ
وَلَا تَحْقِرِ الْمُزْدَرِّيَ فِي الْعِيُونِ
وَلَا تَحْمِلِ الْبُزْلُ تِلْكَ الْوَسُو

وَلَسْتَ مُشَابِهَ لَيْثِ الشَّرِّ
فِيَا لَلسُّلْمِيكَ أَوِ الشَّنْفَرِي
أَهْلُ الْوُهُودِ وَأَهْلُ الذَّرَا
إِذَا افْتَنَ فِيمَا يَقُولُ الْوَرَى
لَيْلَى وَمَكَّةَ أُمَّ الْقُرَى
فِيَالَيْتَ شَعْرِي مَاذَا اشْتَرَى
وَنَعْتُكَ فِي نَفْسِكَ الْخَيْسَرِي
تَقْرَأُ وَالْمُخْزِيَاتِ اقْتَرَى
وَقُلْ حِينَ تُطْرُقُ أُطْرُقُ كَرَا
فَصَبْرًا عَلَى الْحُكْمِ لَمَّا اعْتَرَى
وَتُذَرِّي النِّوَابِ سَكَنَ الذُّرَى
فَهَادَ إِلَى عُصْرٍ فِي الثَّرَى
وَخَلَّفَ مَمْلَكَةً بِالْعُرَا
وَقَرَّبَ إِلَيْهِ وَشِيكَ الْقِرَى
فَكَمْ نَفَعَ الْهَيْسَنَ الْمُزْدَرِّي
قَ إِلَّا بِأَزْدَارِهَا وَالْعُرَا

أَجَلٌ خَزَرْتَنِي وَثَابَةٌ
 فَاتِ سَرَاءِ اللَّيَالِي رَمَى
 وَنَوْمِي مَوْتٌ قَرِيبُ النُّشُورِ
 نَوْءٌ مَلْ خَالَقْنَا أَنَا
 سَوَاءٌ عَلَيَّ إِذَا مَا هَلَكْتُ
 فَأُودِي فَلَانٌ بِسُقْمٍ أَضُرَّ
 أَبَا النَّبِيلِ أَدْرِكْ أُمَّ بِالرِّمَا
 فَهَلْ قَامَ مِنْ جَدَثٍ مَيِّتٌ
 وَلَوْ هَبَّ صَدَقَهُ مَعْشَرٌ
 وَلَمْ يَقْرِ فِي الْحَوْضِ رَاعِي السَّوَا
 أَفْرٌ وَمَا فَرَا نَافِرٌ
 أَحْنُ إِلَى أَمَلٍ فَاتَنِي
 مَتَى قَرَقِرَ الْهَاتِفُ الْعِكْرَمِي
 وَقَدْ يَفْسُدُ الْفِكْرُ فِي حَالَةٍ
 سَقَاكَ الْمُنَى فَتَمَنَّيْتُهَا
 فَلَا تَدْنُ مِنْ جَاهِلٍ أَهْلٍ
 سِوَاهَا الَّتِي مَشَتْ الْخَمِينُ رَى
 أَوْ أَنَّ شَبِيبَتَنَا فَانْسِرَا
 وَمَوْتِي نَوْمٌ طَوِيلُ الْكَرَى
 صَرِينَا لِنَشْرَبَ ذَاكَ الصَّرَى
 مَنْ شَادَ مَكْرَمَتِي أَوْ زَرَى
 وَأُودِي فَلَانٌ بِعَرَقٍ ضَرَا
 حَ بَيْنَ أَسْنَتَيْهَا وَالشُّرَا
 فَخُبِّرْ عَنِ مَسْمَعٍ أَوْ مَرَا
 وَقَالَ أَنَسٌ طَغَى وَاقْتَرَى
 مَ إِلَّا لِيُورِدَهُ مَا قَرَى
 بِمَعْتَصِمٍ مِنْ قَضَاءٍ فَرَى
 وَمَا لِلشُّبُوبِ وَعَيْشِ الْفَرَا
 هَيِّجَ شَوْقًا إِلَى قَرِيقَرَى
 فَيُوْهِمُكَ الدُّرُّ قَطْرَ السَّرَا
 وَصَاغَ لَكَ الطَّيْفَ حَتَّى انْبَرَى
 لَوْ أَنْتَزَعْتَ خُمْسَهُ مَا دَرَى

أبى سيفه قتل أعدائه وساف وليدته أوهري
وتخلف الانس في شأنها وأبعد بن باع من شري
مغنية أعطيت مرغبا فغنت ونائجة تكشري
وهاو ليخرج ماء القلب وراق ليجنى ثولا أرى
فان نال شهدا فأيسر به على انه بسقوط حري
نزول كما زال اجدادنا ويبقى الزمان على ماترى
نهار يضى ليل يجي ونجم يغور ونجم يرى

الحكام

مالي غدوت كفاف رؤبة قيدت

في الدهر لم يُقدّر لها إجراؤها
أعلت علة قال وهي قديمة أعياء الاطبة كلهم إبراؤها
طال الثواء وقد أتى لفاعلي أن تستبد بضمها صحراؤها
فترت ولم تفتر لشرب مدامة بل للخطوب يغولها إسراؤها
ملء المقام فكم أعاشر أمة أمرت بغير صلاحها أمراؤها
ظالموا الرعية واستجازوا كيدها فعدوا مصالحها وهم أجراؤها

فرقاً شعرتُ بأنّها لا تقنّني خيراً وأنّ شرارها سُعراؤها
أثّرت أحاديث الكرام بزعمها وأجاد حبس أكفها إثراؤها
وإذا النفوس تجاوزت أقدارها حدّ البعوض تغيرت سُجراؤها
كصحيحة الأوزان زادتْها القوى

حرفاً فبان لسامعٍ نكراؤها
كرّيت فسرتُ بالكري وحياتها أكرت فجر نوابغها كراؤها
سبحان خالقك الذي قرّرت به غبراء توقد فوقها خضراؤها
هل تعرف الحسد الجياد كغيرها فالبسهم تحسد بينها غراؤها
ووجدت دنياها تشابه طامثاً لا تستقيم لناكح أقراؤها
هُويت ولم تُسعف وراح غنيها تبعاً وفاز براحة فقراؤها
وتجادلت فقهاؤها من حبّها وتقرّأت لتناولها قراؤها
وإذا زجرت النفس عن شغف بها فكان زخر غويتها إغراؤها
الله ، رجال الأديان

فقدت في أيامك العلماء وادلهمت عليهم الظلماء
وتغشّى دهمائنا الغي لما عطّيات من وضوحها الدهماء
للعليك المذكرات عبيد وكذلك المؤنّثات إماء
فالهلل المنيف والبدر والفقر قد والصبح والثرى والماء

والشَّريَا والشمسُ والنَّارُ والسَّحَابُ والارض والضحى والسَّماء
هذه كلها لربك ما عا بك في قول ذلك الحكماء
خَلَنِي يَا أَخِي استغفر الله فلم يبق في الا الذمَّاء
ويقال السَّكرامُ قولاً وما في العصر الا الشَّخوص والاشياء
واحاديثُ حَبْرَتِهَا غَوَاةٌ وافترتها للمكسب القدما
هذه الشَّهبُ خَلَتِهَا شَبَكَ الدَّهر لها فوق اهلها الماء
عجيباً للقضاء تمَّ على الخلق فهتَّ ان تُبَسِّلَ الحزما
او ما يُبصرون فَعَلَ الردى كيف يَبِيدُ الاصهار والاشياء
غَلَبَ الْمَيْنُ منذ كان على الخلق وماتت بغيتها الحكماء
فارقبى يا عصماء يوماً ولو اَنَّكَ في رأس شاهق عصماء
وارى الاربع الغرائز فينا وهي في جُثَّة الفتي خصماء
إن توافقن صحَّ اولاً فما يَنْسَفُكَّ عنها الامراض والاعماء
ووجدت الزمان اعجمَ فظاً وجباراً في حكمها المعجما
إن دنياك من نهارٍ وليلٍ وهي في ذاك حية عرما
والبرأيا حازوا ديونَ منايا سوف تُقْضَى ويحْضُرُ الغرما
وَرَدَ الْقَوْمُ بعد ما مات كعب وارقوى بالنمير وقد ظمأ

حيوانٌ ، وجامدٌ غير نامٍ ، ونباتٌ له بسقيًا فناء
وَكَلَّوْا أَنْ الْأَنْفَامَ خَافُوا مِنَ الْعَقَبَى كَمَا جَارَتْ الْمِيَاهُ الدَّمَاءُ
اجدروا الناس في العواقب بالرحمة قومٌ في بدنهم رحما
وَعَصِيبُنَا مِنْ قَوْلِ زَاعِمٍ حَقٍّ إِنَّا فِي أَصْوَالِنَا لَوْلَاءُ
إِنْتَ يَا آدَمَ آدَمَ السِّرْبِ حَوًّا وَكَ فِيهِ حَوًّا أَوْ أَدَمَاءُ
قَرَمْتَنَا الْإِيَّامُ هَلْ رَكَّتِ النَّجَامُ لَمَّا ثَوَى بِهَا قَرَمَاءُ
عَالَمٌ حَائِرٌ كَطِيرٍ هَوَاءٍ وَهَوَافٍ تَضُمُّهَا الدَّامَاءُ
وَكُنْ الْهَمَامُ عَمْرَوَيْنَ دَرَمًا فَلَكْتَهُ مِنْ أُمِّهِ دَرَمَاءُ
وَالْبَبَّاهُ الشَّمِيمُ تَحْمِيهِ مِنْ وَطْءٍ مُعَادِيكَ أَرْبُ شَمَاءُ
وَعَرَانَا عَلَى الْخَطَامِ ضَرَابٌ وَطَعَانٌ فِي بَاطِلٍ وَرِمَاءُ
أَسْوَدُ الْقَلْبِ أَسْوَدُ وَمَتَى مَا تَصْغَحُ أُذُنِي فَأُذِنَهُ صَمَاءُ
قَدْ رَمَى نَابِلٌ فَأَنْمَى وَأَصْمَى وَلِيَالِيكَ لَهَا إِنْمَاءُ
إِنْ رَبَّ الْحَصْنِ الْمَشِيدِ بَتَيْمًا تَوَلَّى وَخَلَّفتُ تَيْمَاءُ
أَوَمَاتٌ لِلْحِذَاءِ كَفُّ الشَّرِيَّا تَمَّ صَدَّ الْحَدِيثِ وَالْإِيَّامُ
شَهِدَتْ بِالْمِيلِكِ أَنْجُمُهَا السَّتَّةُ ثُمَّ الْخَضِيبُ وَالْجُذْمَاءُ
فِيهِمُ النَّاسُ كَالْجَهْلُولِ وَمَا يَظْفَرُ إِلَّا بِالْحُسْرَةِ الْفُتَاهُ

تلتقى في الصعيد أمّ و بنت وتساوى القرناء والجماء
وأنيقُ الربيع يُدرّكه القيظ وفيه البيضا والسحماء
وطريقي الى الحمام كَرِيهٌ لم تُهَبْ عند هوله اليهائم
ولو ان البيداء صادم حرب وهي من كل جانب صرّماء
كيف لا يُشرك المضيقين في النعمة قومٌ عليهم النعماء

نار الشبيبة

أولو الفضل في اوطانهم غرباءُ تشدّ وتناهى عنهم القرباءُ
فما سبئوا الراح الكميت للذة ولا كان منهم للخراد سبباءُ
وحسبُ الفتى من ذلة العيش أنه يروح بأدنى القوت وهو حباءُ
إذا ما خبت نار الشبيبة ساءني ولو نصّ لي بين النجوم خباءُ

كلهم سيء

إن مازت الناس أخلاقاً يعاش بها فانهم عند سوء الطبع أسواء
أو كان كل بني حواء يُشبهني فبئس ما ولدت في الخلق حواء
بُعدي من الناس برء من سقامهم وقربهم للحجا والدين أدواء
كالبيت أفرد لا إيطاء يدرّكه ولا سناد ولا في اللفظ إقواء

نوديتُ ألويتُ فانزل لا يراد أتى

سيرى لوى الرمل بل للثبت إلواء

وذلك أن سواد ألفود غيره في غرة من بياض الشيب أضواء

إذا نجومٌ قَتيرٌ في الدُّجى طلعت فللاجفوت من الاشفاق أنواء

سكارى وعذارى

أُقيمي لا أُمعد الحُجَّ فرضاً على عُجْزِ النساء ولا العذارى

ففي بطحاء مكة شرُّ قومٍ ولسوا بالحمأة ولا الغيارى

وإن رجالَ شَيْبةٍ سادنيها إذا راحت لكعبتها الجماراً

قيامٌ يدفعون الوفد شفعاً إلى البيت الحرام وهم سُكارى

إذا اخذوا الزوائف أو لجوهم ولو كانوا اليهود أو النصرارى

متى آذاك خيرٌ فافعليه وقولي إن دعاك البرُّ آرى

فلو قبل الغُواة عرفت كسفي من الكذب المدوّه ما توارى

ولا تشقي بما صنعوا وصانعوا فقد جاءت خيولهم تبارى

جرت زمناً وتسكن بعد حين وأقضية المهيمن لا تُتجارى

لعل قران هذا النجم يثني إلى طُرق الهدى أمماً حيارى

فقد أودى بهم سغبٌ وظمٌ وأينقهم بمتلفةٍ حسارى

وما أدري أمن فوق المهارى ألب إذا نظرتُ أم المهارى
أنتهم دولة قهرت وعزت فباتوا في ضلالتها أسارى
وظنوا الطهر متصلاً بقوم وأقسم إنهم غير الطهارى
وما كريت عيون الناس جمعاً ولكن في دُجنتها تكارى
لهم كَلِمٌ تخالف ما أجبنوا صدورهم بصحته تقارى



الفساد

آدم

فَسَلُّ^١ اَبُو عَالَمْنَا آدَمَ وَنَحْنُ مِنْ عَالَمْنَا اَفْسَلُ (١)
والخير محبوب ، ولكنه يعجز عنه الحيُّ ، اويكسل
والارض للطوفان مشتاقةً لعلها من درن تغسل .

حواء وبنوها

ان مازت الناس اخلاق^٢ يعاش بها
فانهم عند سوء الطبع اسواء
او كان كلُّ نبي حواء يشبهني فبئس ما ولدت في الخلق حواء

الاجساد

ايا جسد المرء ، ماذا دهاكا وقد كنت من عنصر طيب
تجسست ، اذ تُجمعت^٣ اربع^٤

لديك ، واضحكت في الحي بي (٢)

فلا تجزعن اذا ما الجما . مٌ صاحب بوفد الضنا : هي بي !

(١) اسل : احقر

(٢) اربع : هي العناصر الاربعة ، الماء والهواء والنار والتراب

تصير طهوراً ، اذا ما رجعت إلى الاصل ، كالمطر الصيب

كلاب و كلب

وقد غلب الاحياء في كل وجهة هوام ، وان كانوا غطارفةً غلباً
كلابٌ تغاوت او تعاوت لجينة واحسبني اصبحت الاًمها كلباً
هل ينفع المسك ؟

بنتٌ عن الدنيا ولا بنتٌ لي فيها ، ولا عرسٌ ، ولا أختٌ
ان مدحوني ، ساءَ لي مدحهم وخلصتُ اني في الثرى سخت (١)
جسمي انجاسٌ ، فما مرني اني بمسك القول ضمختُ
من ومسحٍ صاغَ الفتى ربه فلا يقولنَّ توسختُ

الارض لا تحمل

كأنما الارضُ شاع فيها من طيب ازهارها يخورُ
اثنتٌ على ربه السواري والنبتُ والماء والصخور
ونحن فوق التراب ثقل يكاد من تحتنا يخورُ

الانسان اظلم

قد فاضت الدنيا بأدناسها على براياها واجناسها
وكلُّ حيٍّ فوقها ظالمٌ وما بها اظلم من ناسها

متفرقات

والشرُّ في الجذ القديم غريزةٌ في كل نفس منه عرقٌ ضارب

* * *

فلا تعذلينا ، كلُّنا ابن لئيمة
وهل تعذبُ الاثماء ، ان لؤم الغرسُ ؟

* * *

لقد فعلوا الخير القليل تكلفاً
وجاؤوا الذي جاؤوه من شرهم طبعاً

* * *

القلب كالماء ، والاهواء طافيةٌ عليه مثل حباب الماء في الماء

* * *

تفرقوا كي يقل شرُّكم فانما الناس كلهم وسخٌ !

* * *

يغدو على خله الانسان يظلمه كالذئب يأكل عند الغرة الذئبا !

* * *

ابن الحق ؟

وجدتُ الناسَ في هرج ومرج غواية بين معتزلٍ ومرجي
فشأن ملوكهم عزف ونزف واصحاب الامور جباة خرج (١)
افي الدنيا ، لحاها الله ، حق فيطاب في حنادسها بسرج ؟

الدين مكر

افيقوا ، افيقوا يا غواة فأنما ديانتم مكر من القدماء
ارادوا بها جمع الحطام فأدر كوا وبادوا ، وماتت سنة اللؤماء

مقلدون

عاشوا كما عاش اباؤهم سلفوا واورثوا الدين تقليداً كما وجدوا
فما يراعون ما قالوا وما سمعوا ولا يبالون ، من غي ، لمن سجدوا

العقل يحاسب

والعقل يعجب ، والشرائع كلها خبر يُقلد لم يقسه قائل
متمجسون ومسلمون ومعتزلون ومتنصرون وهائدون رسائس (٢)

(١) نزف : سكر

(٢) رسائس : جمع رسيس وهو اول كل شيء ويقصد بها هنا : اليهودية اقدم الاديان

وبيوت نيرانٍ تزار تعبدًا ومساجد معمورة وكنائس
والصابئون يعظمون كواكبًا وطباع كل في الشرور حباث

العقل

يرتجي الناس أن يقوم امامٌ ناطقٌ في الكتيبة الخرساء (١)
كذب الظنُّ ، لا امام سوى العقل لم مشيراً في صبحه والمساء
فاذا ما اطعته جلب الرحمة عند المسير والارساء
انما هذه المذاهب اسبابٌ لجذب الدنيا الى الرؤساء
فانفرد ما استطعت فالقائل الصا دق يضحي ثقلا على الجلساء

احتيال

ولا تطيعنَّ قوماً ما ديانتهم الا احتيالٌ علي اخذ الاتاواتِ
وانما حمل التوراة قارئها كسب الفوائد لاحب التلاوات
إن الشرائع انقت بيننا إحنًا واودعتنا افانين الهداوات
وهل أبيضت نساء القوم عن عرض للعرب الا باحكام النبوات !

حيرة

سألتُ المحدثَ عن شأنه فما زال يضعف حتى ارتبك

* * *

اجاز الشافعي^{هـ} فقال شيء وقال ابو حنيفة لا يجوز !

* * *

عالم السوء

قد حجب الدين والضياء^{هـ} وإنما ديننا رياء^{هـ}
يا عالم السوء ، ما علمنا ان مصليك^{هـ} اتقياء^{هـ}
لا يكذبن امرؤ جهول ما فيك^{هـ} لله اولياء^{هـ}
كم وعظ الواعظون منا وقام في الارض انبياء^{هـ}
فانصرفوا ، والبلاء باق^{هـ} ولم يزُلْ داؤك^{هـ} العياء^{هـ}
حكم^{هـ} جرى للعليك^{هـ} فينا ونحن في الاصل اغبياء^{هـ}

رجال الدين

رويدك قد غررت وانت حر^{هـ} بصاحب حيلة يعظ النساء^{هـ}
مُجرم فيكم^{هـ} الصهباء صبحاً ويشربها على عمد^{هـ} مساء^{هـ}
تحسّأها فمن مزج^{هـ} وصرف^{هـ} يُعل^{هـ} كأنما ورد الحساء^{هـ}
يقول لكم غدوت^{هـ} بلا كساء^{هـ} وفي لذاتها رهن الكساء^{هـ}
إذا فعل الفتى ما عنه ينهى^{هـ} فمن جهتين ، لا جهة^{هـ} اساء^{هـ}

نتيجة البحث

وقد فتنشت عن اصحاب دين لهم نسك ، وليس لهم رياءُ
فألفيت البهائم لا عقول تقيم لها الدليل ، ولا ضياء
واخوان الفطانة في اختيال كأنهم لقوم انبياءُ
فأما هؤلاء فاهل مكرٍ وأما الاولون فانبياء

فساد المرأة

من قصيدة تبين آراء المعري في المرأة

ترنم في نهارك مستعينا بذكر الله في المترنات (١)
وهينم ، والظلام عليك داج ادى ورق سمعن مهنمات (٢)
ولا ترجع بايماء سلاماً على ييض اشرف مسلمات
فوارس فتنه ، اعلام غي لقيتك بالاماور معلمات (٣)
وسام ما اقتنعن بحسن اصل فجنك بالخضاب موشمات
وقد يصبحن ، عن بر ونسك ، باطيب عنبر متدسمات
كأن خواتم الافواه فضت عن الصهب العذاب مختمات (٤)

(١) المترنات : الطيور المفردة

(٢) الهينمة : هي الصوت الخفي

(٣) معلمات : المترنات

(٤) الصهب : الخمر

ثنتين^١ الجحاجم^٢ عن مراد^٣ بشيب^٤ ، فائنين^٥ مجمجات (١)
 خور الريق لسن بكل حال على طلائهن محترمت
 ولكن الاوانس^٦ باعثات^٧ ركابك في مهالك مقتات
 صحنك فاستفدت^٨ بهن ولداً اصابك من اذاتك بالسما^٩ (٢)
 ومن رزق^{١٠} البنين فغير ناء بذلك عن نواب مسقات
 فمن ثكل^{١١} يهاب^{١٢} ، ومن عقوق^{١٣} وارزاء^{١٤} يحن^{١٥} مصمات
 وان^{١٦} تعط^{١٧} الاناث فاي بؤس^{١٨} تبين في وجوه مقسمات (٣)
 يردن بعولة^{١٩} ، ويردن حلياً^{٢٠} ويلقين الخطوب ملومات
 ولسن^{٢١} بدافعات^{٢٢} يوم حرب^{٢٣} ولا في غارة متغشمت (٤)
 ودفن^{٢٤} ، الحوادث فاجعات^{٢٥} لاحداهن^{٢٦} احدى المكرمات
 وقد يفقدن ازواجاً^{٢٧} كراماً^{٢٨} فيا للنسوة المتأيمات
 يلدن اعادياً^{٢٩} ، ويكن^{٣٠} عاراً^{٣١} اذا امسين في المتهضمت (٥)

* * *

(١) مجمجات : مهمجات

(٢) السما : من الوسم وهو السكي

(٣) مقسمات : جميلات

(٤) المتغشم : الشجاع

(٥) المتهضمت : المضومة حقوقهن

وما الجاراتُ الا جارياتُ^١ بعبك ان وُجدن مُهَيَّاتُ (١)
 فلا تسأل اهند ام كليس^٢ ثوت في النسوة المتخيمات
 ولا ترمق بعينك رائحات^٣ الى حمامهن مُكَمَّاتُ
 ومن عاشرت من انسٍ فحاذر^٤ غوائلَ مُرَدِّ مُتَهَكَمَاتُ (٢)
 متى يطمعن فيك يُرينَ تيهًا لا طيبَ مطعمٍ متأجمات (٣)
 وليس عكوفهنَّ على المصلى^٥ أمانًا من غوارزِ محرمات
 ولا تحمدِ حسانك ان توافت بايد للسطور مقومات
 فحمل مغازلِ النسوانِ اولى بن من السرايا مقلعات
 سهام^٦ ان عرفن كتابَ لسن^٧ رجعن بما يسؤ مسمَّات (٤)
 ويتركن الرشيدَ بغير لب^٨ اتين لهديه متعلقات
 ليأخذن التلاوةَ عن عجوز^٩ من اللاتي ففرن مهتَّات
 يسببن المليك بكل جنح^{١٠} ويركعن الضحى متأثَّات
 فما عيب^{١١} علي الفتياتِ لحن^{١٢} اذا قلن المراد مترجمات (٥)
 ولا يدنين من رجلِ ضرير^{١٣} يلقنهن آيا محكمات ،

(١) مهيات : مغرمات

(٢) مرَد : عاصيات

(٣) تأجمات : استشاط غضبا

(٤) اللسن : اللغة

(٥) لحن : خطأ في الأعراب

سوى من كان مرتعشاً يدها ولمسته من المتشغيات (١)
وان طاوعن امرئ، فانه غيداً يزرن عرائسات متيميات.
اخذن كرىش طاووس لباساً ومسكاً بالضحى متلغيات (٢)
وابعدهن عن ربّات مكرٍ سواحرٍ يغتدين معزّيات
يقلن نهيج الغياب حتى يجيئوا بالركاب مزّيات (٣)
ونعطف هاجر الخلان كجا يزول عن السجايا المسئيات (٤)

الشرف الضائع

اذا بلغ الوليد لديك عشراً فلا يدخل على الحرم الوليد
فان خالفتني ، واضعت نصحي فانت وان رزقت حجي ، بليد
الا ان النساء حبال غي هن يضيع الشرف التليد .

خير النساء

خير النساء اللواتي لم يلدن لكم فان ولدن فخير النسل ما نفعا
واكثر النسل يشقى الوالدان به فليته كان عن آباءه دفعاً
اضاع داريك من دنيا وآخرة لا الحي اغنى ولا في هالك شفعا
وكم سليل رجاء للجمال أب فكان خزيّاً باعلى هضبة رفعا

(١) تنعم : شاب (٢) تلغم : تطيب (٣) مزّمات : من زمم الجمل : خطبه
(٤) المسئيات : التي تحدث السأمة

السعادة

كلاهما عناء

حياة عناءٌ وموت عناءٌ فليت بعيدَ حمام دنا
يدٌ صفرت ، ولهة ذوت ونفس تمنت ، وطرف رنا
يحاول من عاش سترَ القمي ص وملء الحميص ، وبُراء الضنى
اعائبةٌ جسدي روحه وما زال يخدم حتى ونى
ولي مورد ببناء المنون ولكن ميعاته ما أنى ،

الى الأذى

نادى حشا الام بالطفل الذي اشتملت
عليه : ويحك الا تظهر وموت كذا
فان خرجت الى الدنيا لقيت اذى

من الحوادث ، بله القيظ والجمدا
وما تخلص يوماً من مكارها وانت لا بد فيها بالغ أمد
ورب مثلك وافاها على صغير حتى اسن فلم يُحمد وما حمدا
لا تأمن الكف من ايامها شللاً ولا النواظر كفاً عن او رمدا

فان ابیت قبول النصیح معتدیا فاصنع جمیلاً ، وراع الواحد الصمد
فسوف تلقي بها الامال واسعة اذا اجزت مدى منها رأیت مدى
وتركب اللج تبغي ان تفید غنی وتقطع الارض لا تلقي به ثمدا
وان سعت فما تنفك في تعب وان شقیت فمن للجسم لو همدا
ثم المنايا فاما ان يقال مضى ذمیم فعل ، واما كوكب خندا .

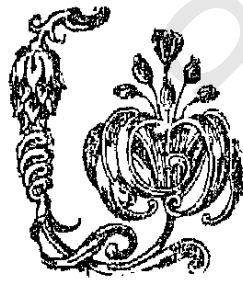
يا ام دفر

ما كان في هذه الدنيا بنو زمن الا وعندي من اخبارهم طرف
يخبر العقل ان القوم ما كرموا ولا افادوا ، ولا طابوا ، ولا عرفوا
عاشوا قليلا ، وما جوا في ضالتهم ولا يفوزون ان جوزوا بما اقترفوا
اذا شقیت فجسم ناله نصب ، وان ترفت فماذا ينفع الترف ؟
يا ام دفر لحاك الله والدۀ منك الاضاعة والتفريط والسرف
لو انك العرس اوقعت الطلاق بها لكنك الام ، هل لي عنك منصرف ؟

ثوب .. وقلب

تقوالك زاد فاعتقد انه افضل ما اودعته ما في السقاء
آه غداً من عرق نازل ومهجة مولعة بارتقاء

ثوبي محتاجٌ إلى غاسلٍ وليت قلبي مثله في النقاء
موتٌ يسيرٌ معه راحةٌ خير من اليسر وطول البقاء
وقد بلونا العيشَ أطوارَه فما وجدنا فيه غير الشقاء
تقدم الناس ، فيا شوقنا الى اتباعِ الأهل والأصدقاء
ما أطيب الموت لمُشرَّابه ان صحَّ للامواتِ وشكُّ التقاء



ابن الحوى ؟

متفرقات

وانما نحن في ضلال وتعليل فان كنت ذا يقين فإياه .

* *

سألتعوني فاعيتني اجابتكم من ادعى انه دار فقد كذبا .

* *

اذا قلت المحال رفعت صوتي وان قلت اليقين اطلت همسي .

* *

اما اليقين ، فلا يقين وانما اقصى اجتهادي ان اظن واحدا

* *

نفارق العيش لم نظفر بمعرفة اي المعاني باهل الارض مقصود

* *

الغيب مجهول يحار دليله واللب يأمر اهله ان يتقوا .

* *

رأيت الحق اولوة توارت بلج من ضلال الناس جم .

مصيرنا

الروح ومصيرها

والروح ارضيَّةٌ في رأي طائفةٍ وعند قوم ترقى في السماوات
تتضي ، على هيئة الشخص الذي سكنت
فيه ، الى دار نعيم او شقاوات

الريح ستسكن

روح اذا اتصلت بشخص لم يزل هو وهي في مرض العناء المكمد
ان كنت من روح فيا ربح امة كني او كنت من لهب فيا لهب اخمد !

هباء

لو كان جسمك متروكا بهيئته بعد التلاف ، طمعنا في تلافيه
كالذي عطل من راح تكون به ولم يحطّم فمادت مرة فيه
لكنه صار اجزاء مقسمة ثم استمر هباء في سوافيه

لا تناسخ

يقولون ان الجسم ينقل روحه الى غيره حتى يهذبها النقل
فلا تقبلن ما يخبرونك ضلّةً اذا لم يؤيد ما اتوك به العقل

ماهية الروح

والروح شيءٌ لطيفٌ ليس يدركه

عقلٌ ، ويسكن من جسم الفتى حرجاً

سبحان ربك ، هل يبقى الرشاد له وهل يُحس بما يلقي اذا خرجا؟

وذاك نورٌ لاجساد يحسنها كما تبينت تحت الليلة السرُّجا

قالت معاشر : يبقى عند جثته وقال ناس : اذا لاقى الودى عرجا (١)

الفساد في الاصل

حوتنا شرورٌ لاصلاحٍ لمثلها فان شذَّ منا صالحٌ ، فهو نادرٌ

وما فسدت اخلاقنا باختيارنا ولكن بامرٍ سببته المقادر

وفي الاصل غش ، والفروع توابعٌ وكيف وفاء النجل ، والاب غادر؟

فقل للغرابِ الجون ، ان كان سامعاً ، أنت على تغيير لونك قادر؟ (٢)

عزلة

اذا حضرت عندي الجماعة اوحشت فما وحدثني الا صحيفة ايناسي

طهارة مثلي في التباعد عنكم وقربكم يجني همومي وادناسي

لا تعاشرهم

توحدٌ فان الله ربك واحدٌ ولا ترغبن في عشرة الرؤساء

يُقلُّ الأذى والعيب في ساحة الفتى وان هوأ كدى ، قلةُ الجلساء

الغنى

اغنى الأنا م تقيُّ في ذرى جبلٍ يرضى القليل ويأبى الوثي والتاجا
وافقر الناس في دنياهم ملك يضحى الى اللجب الجرار محتاجا

للحيوان روح كالانسان

غدوت مريضَ العقل والدين فالقنى
لتسمع أنباء الأمور الصخائج
فلا تأكلن ما اخرج الماءُ ظالمًا ولا تبغِ قوتًا من غريض الذبائح (١)
ولا يبيض أماتٍ ارادت صريحه لاطفالها ، دون الغواني الصرائح (٢)
ولا تنجعن الطير ، وهى غوافل ، بما وضعت ، فالظلم شر القبائح
ودع ضرب النحل الذي بكرت له

كواسب من ازهار نبت فوائج (٣)
فما احرزته كي يكون لغيرها ولا جمعته للندى والمنائح
مسحت يدي من كل هذا فليتني ابته لشأني قبل شيب المسائج (٤)

(١) غريض : طريء (٢) الصرائح : الصافيات اللون ، الجميلات

(٣) ضرب : غسل ابيض (٤) المسائج : ذوائب الشعر

الحجرة

البابلية باب كل بلية فتوقين هجوم ذاك الباب
حاجرت ملا الصديق وهجره وأذى النديم وفرقة الاحباب
هتكت حجاب المحصنات وجشمت

مهن العبيد تهضم الارباب
وتوهم الشيب المدالف أنهم لبسوا على كبر برود شباب (١)
واذا تأملت الحوادث ألفت صهب الدنان اعادي الالباب

حقير يسير

لا تعدلاني فالذي ابتغي من هذه الدنيا حقير يسير
بت اسيراً في يدي برهة تسير بي وقتي اذا لا اسير
كطائر قيل الا تغتذي فقلت اني وجناحي كسير .

(١) مدالف : جمع مدلف وهو الشيخ يمشي ببطء

obeikandi.com



عطفاً امير المؤمنين فانا في دوحة العلياء لانفترق
ما بيننا يوم الفخار تفاوت ابدأ سكلنا في المعالي 'معوق'
إلا اخلافة ميزتك فاني أنا عاقل منها وأنت مطوّق

obeikandi.com

... ماذا يمكننا ان نعتقد برجل يخاطب الخليفة بهذه اللهجة ؟ هل هو يمدح الخليفة حقاً ؟ أم يمدح نفسه ويفتخر بشخصه ؟

واذا كان لابد لنا من الجواب على هذه الاسئلة فنجيب : انه ليس في التاريخ السياسي والادبي في جميع العصور العباسية من بلغت به الجرأة والشجاعة والاعتماد بالنفس حتى يخاطب الخليفة بهذا الخطاب ، خصوصاً ، اذا ادركنا ان المخاطب هو احد الشعراء الذين تضيق بهم بغداد وان كان من اشراف الطالبين . فأن الطالبين في ذلك الوقت لم تكن لهم القوة التي تدفع وتسمح لأحدهم ان يخاطب الخليفة بهذه اللهجة مهما كانت مكانة الخليفة من الضعف .

من هو قائل هذه الابيات :

مقامي على الهوان وعندي مقول صارم وأنف حمي
واباء محلق بي عن الضيم كما راغ طائر وحشي
أي عذر له إلى المجد إن ذل غلام في غمده المشرقي

هذه الروح الوثابة ، وهذا الغناء الجياش يذكرنا بشاعر طالما تناقلت شعره السن الرجال ، يذكرنا بالمتنبي ، ولكن هل قائل هذه الابيات المحلقة هو المتنبي ، لا ، بل انه رجل ، كانت له آمال اكبر من آمال المتنبي . وكانت له شاعرية تمذ شاعرية المتنبي في بعض الفنون ، رجل ، قاسى ما قاسى المتنبي واكثر ، رجل عرفته مصائب الدهر ، وكوارث الايام ، ولكنه بقي صامداً ، لم تحطم تلك المصائب في نفسه اية ذرة من الآمال الكبيرة التي تضطرم في صدره ، بل انها زادت اضطرام تلك الثورة ليلفظها شعراً جميلاً قوياً .

ففى انشد الشعر وهو فى العاشرة من عمره بينما كانت الايام تكيل

له ضرباتها ، وبينما كان والده الجليل يساق الى السجن من ديار فيها العز وفيها المسكنة ولها الاحترام .

من هو ذلك الفتى الشاعر ؟ ومن هو ذلك الشيخ الجليل الذي تجدد ولده رجولته ، وبكى فراقه بعيون من الشعر ؟

اما الفتى فهو الشريف ابو الحسن محمد الرضي الموسوي ولد في بغداد سنة ٣٥٩ هـ والمملك عندئذ لبختيار بن معز الدولة بن بويه والحلافة للخليفة العباسي المطيع لله .

واما الوالد فهو ابو احمد الحسين الموسوي يرتفع بنسبه الى ابن يبلغ السيد موسى السكاهم ، ثم يتدرج الى ان يبلغ الحسين بن علي بن ابي طالب امير المؤمنين وآخر الخلفاء الراشدين .

كان والد الشريف يتولى نقابة الاشراف الطالبيين الى جانب اماره الحاج بالناس . وهذه مرتبة لا يصلها الا من له مناقب واعمال تؤهله كي يبلغها ، ولقد كان الحسين الموسوي ذلك الرجل .

وفي زمن لبختيار بن معز الدولة احرم الحسين من اماره الحج والنظر في المظالم ، وابتدأت بوادر القلق ، وغيوم الشك والوجل تتلبد فوق ذلك البيت الكريم . حتى اذا ات سنة ٣٦٧ هـ الموافقة ٩٧٧ م ودخل الى بغداد سلطان جديد هو عضد الدولة الذي ازال عن بغداد كلمة سلفه وسلطته ووحيد دولة آل بويه ، وارتد الى النظر في الحالة الداخلية ، وما ان بلغت سنة ٣٦٩ حتى ابتدأت تلك الغيوم تنقشع فوق ذلك البيت الكريم عن جو حافل بالرياح والاعاصير ، اذ امر عضد الدولة باعتقال رب البيت وحبسه في قلعة فارس ، ومصادرة املاكه ، واذا قلنا ان الشريف كان يومئذ في العاشرة من عمره تسعين لنا اي اثر تركته هذه الحادثة بل هذه الكارثة في نفسه . وقيل ان احدي قصائده الجيدة المبكرة نظمها في ذلك الوقت عندما بلغه ان المظفر بن عبدالله وزير عضد الدولة قال لأبيه حين جيء به

اليه : « كم تدل علينا بالعظام النخرة » ! يعني عظام اجداده الأئمة .
فثارت نفس الشريف لهذه الالهانة ورد عليها بهذه القصيدة التي تدل على
عبقريه مبكرة ، وجراءة ظاهرة نادرة :

نصافي المعالي والزمان معاندٌ وننهض بالآمال والجدُّ قاعدٌ
إلى ان يقول معرضاً بالحليفة تعريضاً جارحاً مشيداً بقوة
الفاطميين في مصر :

وطاغٍ يُعير البغى غرْبَ لسانه وليس له عن جانب الحق ذائدٌ
ولو كان بين الفاطميين رفرتٌ عليه العوالي والخُبا والسواعد
قلنا ان عضد الدولة اعتقل الموسوي وارسل به الى فارس . ثم بينا ان
الشريف بقي في داره يتلف على تلك الايام السعيدة في كنف ذلك الاب
الكريم العظيم كالطود الشامخ فاذا بهذا الواقع الاليم بعد سجن والده
يدعه ذاهل العقل ، رقيق الاحساس ، ولم تكن هذه النكبة إلا لتخلق
من الشريف شاعراً ينظر الى الحياة بمنظار الرجال وهو في سن الصبيات ،
وليس مثل الحياة والايام تصقل النفوس وتحرك الشعور ، فالشريف
الذي عرف حياة الشرف والعز والجاه ، ترى ماذا كان شعوره وهو يرى
نفسه في حالة يرثى لها من الهوان والفقر ؟

ان هذه الحادثة وان كانت ذات سيئات من بعض النواحي التي تتناول
شخص الشريف الرضي إلا انها احسنت اليه ، اذ صقلت ادبه وهزت نفسه وايقظت
شاعريته ، والهبت احساسه .

والقد كنا ننتظر ان يقتحم الشريف ميدان الهجاء ، فيهجو عضد الدولة
الذي امر بسجن والده ، ولكن الشريف لم يفعل ذلك لان اعمال عضد الدولة
العمرانية واهتمامه بحالة البلاد جعلت شتمه صعباً ، يضاف اليها قوة عضد الدولة

وبطشه كل هذه العوامل ضف اليها محبة اهل العراق لعضد الدولة من جهة اخرى ، جعلت شعور الشريف يكتسب في نفسه الى حين الحاجة ، وحين يقدر له ان يزيح عن صدره هذا الشعور بكمرة عضد الدولة ودولته

ولم يطل الامر حتى توفي عضد الدولة في سنة ٣٧٢ والشريف في الثالثة عشر من عمره ، إلا ان الشريف مع هذا لم يأمن لدهر ولم يرتح اليه ، فهو يعلم ان موت عضد الدولة لا يحل مشكلته ، بل ان ابنائه سوف يسيرون على خطه والدهم ، إلا انه اسرع يبشر والده بموت عضد الدولة :

ابلاغعني الحسين (١) ألو كاً ان ذا الطود بعد عهدك ساخاً

إلا ان الامر لم يطل ايضاً هذه المرة كما طال في سالفها ، واذا تخاف الشريف تنقشع شيئاً فشيئاً عندما اختلف ابناء عضد الدولة ، صمصام الدولة الذي استلم الملك بعد ابيه ، وشرف الدولة الذي اخذ البيعة لنفسه في بلاد فارس .

وكان لابد لشرف الدولة من ان يحسن إلى الذين اساء اليهم والده وهو الذي يتمشى مع سياسة مخالفة لسياسة اخيه الذي سار على سياسة والده ، وكان ان افرج عن ابي احمد الموسوي واخيه ابو عبدالله وغيرهم من الذين سجنهم والده .

وكان من المفروض ان يرحب الشريف بهذا الافراج ، ولكنه لم يستطع ايضاً لان صمصام الدولة كان له بالمرصاد .

ولكن الحرب ما لبثت ان قامت بين الاخوين ، وكانت الغلبة فيها لشرف الدولة فهزم اخاه ودخل بغداد دخول الفاتحين ، وصار من حق الموسوي دخول بغداد ورؤية ولديه الحبيبين ، إلا ان عودته الى بغداد لم يرافقها اعادة املاكه اليه فلذا كانت الفرحة بالعودة غير تامة .

ولا بد ايضاً من أن نأتي على ذكر قصائد الشريف عند ما كان والده لا يزال اسيراً في فارس ، اما هذه القصائد فهي التي دُعيت بالقواذف ، وهذه القواذف زاخرة بالتبرم والضجر والضيق ونتائج النكبة التي منيت بها هذه العائلة الكريمة .

خَطُوبٌ لَا يَقَاوِمُهَا الْبَقَاءُ وَأَحْوَالٌ يَدِبُ لَهَا الضَّرَاءُ
وَدَهْرٌ لَا يَصِحُّ بِهِ سَقِيمٌ وَكَيْفَ يَصِحُّ وَالْإِمَامُ دَاءُ

الى ان يقول :

فَلَا تَحْزَنْ عَلَى الْإَيَّامِ فِيْنَا إِذَا غَدَرْتُ وَشَيْمَتْنَا الْوَفَاءُ

وهنا يظهر الشريف التجرد في مقارعة الخطوب .

وفي قصيدة اخرى يقول :

فَتَى سَنَّهُ عَنْ خَمْسَ عَشْرَةَ حِجَّةً تَرَبَّى لَهُ فَضْلاً وَمَجْدًا وَمَحْتَدًا

تَفَرَّدَ لَا يُفْشَى إِلَى غَيْرِ نَفْسِهِ حَدِيثًا وَلَا يَدْعُو مِنَ النَّاسِ مَنْجِدًا

وهناك قصائد عديدة قالها الشريف في مدح ابيه وشكوى الدهر والايام ، وجميع هذه القصائد تتميز بروح الكتابة التي تشع بين سطورها ثم مدح والده هذا المدح الذي تميز بتمجيد رجولته ، واحترام هذه الرجولة ثم التعريض بمن خذلوه في هذه المحنة .

وفي سنة ٣٧٦ يعود الموسوي الى بغداد ، ونزید ، ان هذا الوقت الطويل الذي قضاها والده في السجن والغربة جعلت منه شيخاً هزيل الجسم قارع الايام طويلاً فاذا به يخلف عما كان عليه قبل رحيله ، ولكن الشريف يستقبله استقبال الابن المشتاق لرؤية والده وحديقه :

طَلُوعٌ هَدَاهُ إِلَيْنَا الْمَغِيبُ وَيَوْمٌ مُتَمَزَّقٌ عَنْهُ الْخَطُوبُ

لقيمك في صدره شاحباً ومن حلية العربي الشحوب
إليه تمجُّ النفوس الصدور وفيه تنهى العيون القلوب
انظر الى قلب الشاعر يرقص فرحاً من خلال هذه الكلمات . ولقد
مدح الشريف ايضاً شرف الدولة الذي انقذ والده :

وانت (١) طوقته بالمن جامعة قامت عليه مقام الحلى الخلل
وفي هذه السنة نفسها ادخل الفرع ثانية على قلب الشريف ايضاً عند ما
توفي المطهر بن عبدالله وزير عضد الدولة ، ولقد شمت الشريف بموت هذا
الوزير وهجاء بقصيدة دالية بعد موته ، والشريف يخرج عن حدود
اللياقة وفي هجوه لميت ، غير انه معذور لم يخرج عن كونه انساناً تالم
وشقي بسبب هذا الرجل الظالم .

وجبان لويت عنه فأمسى وجلّ العين من صراع الرقاد
وهكذا تستمر الحياة مع الشريف يفرح يوماً نفسه باسترداد
املاك ابيه اليه ، ثم الامتيازات التي كانت له قبل ذلك المصاب الذي وقع
له . وفي سنة ٣٨٠ تعود هذه الامتيازات كأمانة الحج ، والنظر في
المظالم إلى والد الشريف ، فتتهيج نفس الشريف بالشعر ويطلق لنفسه العنان
تعبّر عن هذه الفرحة .

أنظر إلى الايام كيف تعود وإلى المعالي العر كيف تزيد
والى الزمان بنا وعاد عطفه فارتاع ظمان وأورق عود
ويتعرض هنا إلى الأقارب الذين شتموا به فيقول :

حسدوك لما فات سعيك نسعيهم صعداً فما نفع الغليل حسود

وما اقبل عام ٣٩٦ حتى أُعيدت الأملاك إلى والده ، وكان الموسوي في هذه الأثناء قد فقد نور عينيه ، فيفرح الشريف بعودة هذه الأملاك لأنها تعين الشيخ على مطالب الحياة ، بعد ان فقد نعمة النظر .

وما رد الزمان عليك حفظاً من الاملاك والمال المضاع

وناحية اخرى تدل على احترام الشريف لو الده ، وتقديره له ، فلقد كان الموسوي دائم السعي لفض الخلافات الناشئة بين السنة والشيعة ، وكان رجلاً صالحاً كريماً ، فهو من اهل الصلاح والأصلاح ، ولقد قدر الشريف لو الده هذه المزايا الطيبة فمدحه معديداً ماثره في هذا السبيل .

ولولاك على بالجامح سورها وخندق فيها بالدماء الذوائب

وفي سنة ٤٠٠ مات ابو احمد الموسوي ذلك الشيخ الصالح . وكان موته كارثة حلت بولده الشريف ، فرثاه بقصيدة طويلة معدداً مناقبه ، ذاكر آثره لفراقه وتمثل هذه القصيدة صدق العاطفة نحو الراحل الكريم .

أنعاك للخيل المغيرة شرباً خبط المغار بهن من لم يحرم

كالسرب أوجس نبأة من قانص فمضى يلف مؤخراً بمقدم

الخ ما في هذه القصيدة من التوجع على فقد والده . اذن عليه منذ الان فصاعداً ان يشق طريقه بنفسه ، عليه ان يعتمد قواه في مكافحة الخطوب ، التي امت به منذ صغره والتي جعلت شعره يشيب وهو في العشرين من عمره .

ونعود إلى الشريف الفتى لنحدد العوامل التي تساهلت لتجعل من الشريف رجلاً يسعى ليكون صاحب الكلمة الاولى في الديار الإسلامية بأسرها . نظرة إلى الشريف في مستهل شبابه لنتبين هل كان من الممكن ان يفكر الشريف في مثل هذا؟ ثم ما هي الخصائص التي توفرت في الشريف

الرخي ، وما هي خصائص شعره ؟ ثم ما هي الفنون التي اعتمدها الشريف ؟ نحن ندرك ان الشريف امضى طفولته في بيت عز وجاه ، في بيت علم وادب ومعرفة وتقوى ، في بيت زعامة زمنية ودينية ، وليس هذا الوصف بكثير على نقيب الطالبين وهم يشكلون في ذلك الوقت كثرة لا يستهان بها ، وإلا لما اصبح امير الحج منهم ، وسأحاول في هذه الدراسة القصيرة ان اوضح ما امكن العوامل التي خلقت الشريف الطامح الشاعر الفنان ، وسأحاول ان اتناول كلام من هذه الشخصيات علي اوفق إلى اعطاء صورة صحيحة لحياة ذلك الشاعر الذي احتل مكانة مرموقة في عالم الأدب والسياسة .

في عصر الشريف الرضي وفي العصر الذي سبقه عرف الأدب العربي نهضة عظيمة في جميع الفنون والاداب والفلسفة وغيرها من امور المعرفة . وفي ذلك العصر برز اشهر علماء اللغة والشعر . ففيه عرف النقد الأدبي ، والجدل العلمي ، والنثر الفني ، والشعر الحر ، والتفكير الانساني . واذا قلنا ايضا انه كان للشريف الرضي إلى جانب والده شقيق من أئمة العلم واللغة . واذا اعتبرنا ايضا انه كان للتعلم في ذلك الوقت مكانة سامية ، لعرفنا لما اذا اقبل الشريف الرضي على العلوم والأدب يغترف منها اغترافاً ، ثم يجادل ويناقش ويؤلف ، ومن تأليفه ، كتاب مجازات الآثار النبوية ، وكتاب تلخيص البيان عن مجازات القرآن ، وكتاب حقائق التأويل في متشابه التنزيل ، وكتاب اخبار قضاة بغداد ، وكتاب الخصائص ، ومنهم من يعتقد ان نهج البلاغة من وضع الشريف الرضي ، ولنا عودة إلى الحديث عن نهج البلاغة . وهذا الحديث رهن بتوضيح حالة العصر ، ومشاكله المذهبية . ان تأليف الشريف تدل دلالة واضحة على سعة اطلاعه ، وتبصره بالفنون الأدبية ، والشريف لم تقتصر معرفته على الجوانب الجادة الصارمة من الأدب ، بل زاد من ثقافته في إطلاعه على الشعر الماجن ، ومعرفته اساليب اهل الهوى والحب . وهو الشاب صاحب العاطفة المتفتحة ، والوجدان الملتهب ، وما دمننا

قد ذكرنا الوجدان فسجد لدى الشريف ذخيرة قيمة من الشعر الوجداني .
لم يقنع الشريف بدراسة الأدب في الكتب ، بل درس الحياة عن
كتب . فعرف اخيار الناس واثرارهم ، وعرف اصحاب المراتب السامية ،
واهل الامكنة الوضيعة .

اذن لم يكن الشريف كالمعري . ولكنه كان كالمقري في معايشة
الناس ، ويزيد عنه في ان المتنبى صرف دهره وفنه من اجل فنون محدودة . او
بمعنى اوضح ، لقد كانت في حياته وشعره الصرامة التي لم تسمح للنسمة واحدة
تعطر هذه الصراحة القوية التي امتاز بها شعره . اما الشريف فقد عمل لعظام
الآمال ، كما ذاق مر الحياة ، واعطى نصيباً كبيراً من وقته وفنه لقلبه
ووجدانه .

وبين هذين العاملين عاش الشريف معظم ايامه محاولاً ان يوفق بينهما .
انها العقل والقلب ، المجد والحب ، لم ينتصر احدهما على الآخر ، فلم يكن
لينسى عقله وهو في طريقه ملبياً نداء قلبه ، ولم يتجاهل امر قلبه وهو في
طريقه لتلبية نداء واجبه وعقله . لذا كان الشريف والحالة هذه من فحول
الرجال ، واعظم الشعراء ، واتقى اهل الوجدان .

قلنا سابقاً ان عصر الشريف كان عصر القلم ، القلم الذي كانت له المنزلة
السامية ، القلم الذي احترمه الشريف ومجّده في اكثر من مكان في شعره ،
فلنسبح الشريف بمدح الصاحب بن عباد ولم نجد احسن من القلم لتمجيد
صاحبه .

لَكَ الْقَلَمُ الْمَاضِي الَّذِي قَرْنَتْهُ بِجَرَى الْعَوَالِي كَانَ أَجْرِي وَأَجُودُهُم .

وفي مكان آخر يمجّد القلم بقوله :

لَهُ قَلَمٌ أَنْتَ جَرَى غَرَبُهُ أَمِنَّا الْقَنَّا وَخَشِينَا الْيَرَاعَا .

ان احترام الشريف للقلم يعتمد على ما كان للقلم من تأثير في علاقات الناس ، ثم اعجاب شديد . وبعد . ألا يحق للأديب الشاعر ان يعجب بالقلم وهو يشاهد ما للقلم من مكانة سامية ؟ ثم هذه المعاني الجميلة التي يسطرها القلم . انه يبعث الحياة . حياة المعاني والكلمات ، حياة الأدب . ولقد كرس الشريف عبقريته للنغوص على كرام المعاني وطريفها ، ثم الالفاظ العذبة السهلة . ومن تمجيد الشريف للقلم تمجيده لأدبه واحترامه لقصائده اذ جعلها ذات مرتبة فريدة ، ومن ذلك قوله :

منجحتك من منطقي تحفة رأيت بها فرحة تستلب
ارأيت اليه انه يعتبر قصيدته تحفة ، ويمنحها كهدية ثينة ، ولها ولا شك في نفس الرجل مكانة محترمة .

بينت كيف كان الشريف رجلاً مثقفاً وهذه الثقافة العالية يضاف اليها امر نسبه ومكانته التي جعلته يندفع نحو اهل العلم والادب من اهل زمانه ، فيصادقهم ويخلص لهم الود .

والشريف رجل مخلص اذا صادق ، دائم الغضب والنقمة إذا خاخم . واخلص الشريف للخليفة العباسي الطائع مضرب الأمثال وان حاول البعض ان يشوه هذا الاخلاص والصدق في العاطفة ، معتمدين في ذلك على الحادثة التي وقعت للطائع ، والتي تشبه إلى حد ما ، ما وقع للمتوكل عندما كان البحري في ديوانه ، وكيف دخل بقاء الدولة عليه ، ومعه جمع من رجاله الاشداء وعندما قبل الارض بين يديه جلس على كرسي ، ثم دخل بعض من رجاله بتظاهرون بتقبيل يديه ، ف جذبوا الخليفة بحبال سيفه ، ثم القوا به إلى الارض ، وكان الشريف في هذه الاثناء جالساً فلم يدافع عنه ولم ينجده بل توارى عن الانظار . لا اريد ان ابرر موقف الشريف الرضي في هذه الحادثة ولكنني اعتقد ان مساعدة الشريف للخليفة كان يعرفها الشريف من ضرر وب

الجنون ، فلذا فضل ان يتواري لانه كان يدرك تمام الادراك
 ان كل جهد يبذله مع هؤلاء القساة ان هو إلا ليزيد الامر عسرا ، ولكن
 صدق العاطفة يبرز في ما قاله الشريف في الطائع قبل هذه الحادثة ، ثم بعدها ،
 ولم يكن للشريف ان يأتي على ذكر هذه الحادثة ويعتذر عن تقصيره لانه
 كان يدرك كما ذكرنا بأنه لا فائدة من المساعدة والنجدة . واذا عرفنا ان
 الشريف كان مرتبطاً مع اناس ، ومسؤولاً عن فئة خاصة منهم ، لتبين لنا ان
 تفكير الشريف كان بعيداً جداً فان الضرر الذي سيلحق به سوف لا يقتصر عليه
 بل سوف يلحق بأهله وعشيرته وجماعته . وفي هذه الحادثة يقول الشريف
 بعد ان مضى الزمن عليها .

ومن نجائي يوم الدارين هوى غيري ولم أخلُ من حزمٍ ينجيني
 مرقتُ منها مروق النجم منكدرًا وقد تلاقى مصاريح الردى دوني
 وكنت أول طلاع ثنيتها ومن ورائي سر غير مأمون
 من بعد ما كان ربُّ الملك مبتسماً إليّ أدنوه في النحوى ويدنيني
 إلى ان يقول :

هيهات أغترُّ بالسلطان ثانيةً قد ضلَّ ولاج ابواب السلاطين
 اذن ، فهو خائف ، ترى هل استمر هذا الخوف ؟ وهل كره حقاً ابواب
 السلاطين ؟ سنتبين ذلك قريباً ..

قلت ان الشريف مدح الطائع وسأثبت هنا بعض الامثلة في مدحه له
 قبل موته وبعده . مدح الطائع قبل موته فيقول .

ارجوك للأمر الخطير وإنما يرجيَ المعظم للمعظم المعضل

ثم في قصيدة اخرى

وكم لك من غرام بالمعالي وهم في الالمانى وارتياح
ثم ايضا

هذهي الخلافة في يديك زمامها وسواك يخبط قعر ليل اليل
وغيرها :

يلقى الخطوب ووجهه طلق ويخوضهن وقلبه جدل

هذه امثلة من قصائد قالها الشريف والطائع يتربع على كرسي الخلافة . واليك
امثلة اخرى من القصائد التي قالها الشريف في الطائع وهو خليفة مخلوع يعيش
في زوايا النسيان والأهمال :

إن كان ذاك الطود خراً فبعد ما استعلى طويلاً
ثم يقول في مكان آخر

فاتي منك انتصار يميني فتلافت انتصاراً بمقالي .

وما دمننا في الحديث عن اخلاق الشريف واخلاصه ، فلا بد ان نذكر
هنا اخلاص الشريف لصديقه الودود المعروف بأبي اسحاق الصابي
الذي كان صديقاً لوالد الشريف ، والذي انتقلت صداقته من الاب إلى الابن ،
فاذا بصداقة متينة . ولقد كان الصابي من الادباء المعروفين ، ورئيس كتبة
لدى الخليفة المطيع لله ، وكان قد نكل به عضد الدولة اياما تشكيل عندما مكنته
الفرحة من ذلك ، ويضاف إلى صداقة الشريف للصابي امر ميولها المشتركة
في الادب والشعر والبيان . وكان الصابي من اكثر الناس تشجيعاً للشريف
فما يتعلق بالخلافة . لذا احبه الشريف واخلص له الود ، ولقد مدح الصابي
الشريف ايضاً مدحاً خالصاً يبرهن عن احترام وتقدير :

أبا حسن لي في الرجال فراسة تعودت منها ان تقول فتصدقا

وقد خبرتني عنك أنك ماجد سترقى من العلياء ابعده مرتقى

واقدر الشريف الرجل هذا الاحترام وهذه البشائر الطيبة فوعده
بأن يشركه في هذا المجد الذي ينتظره عندما اجابه على هذه القصيدة .

فان راى دهرى اكن لك بازيا يسرك محصوراً ويرضيك مطلقاً

اشاطرك العز الذي استنيد به بصفقة راض أن غنيت وأما

ولقد خص الشريف الصابي بعاطفته ووجدانه عندما قال :

كم ذميل اليكم ووجيف (١) وصدود عنالكم وصدوف

ونغرام بكم لو ان غراماً جرّ نفعاً للواجد المشغوف

حتى عندما اشتدت العلة بالصابي اثناء مرضه ، وابتلي بالمصائب
والأوجاع كان الشريف دائم التفكير به ، دائم العطف عليه ، وهذه
الابيات القصيرة تبين لنا مدى العاطفة الصحيحة والود الحقيقي :

ولو أن لي يوماً على الدهر إمرة وكانت لي العدوى على الحدان

خلعت على عطفك برد شبيبي جواداً بعمري واقتبال زماني

وحملت ثقل الشيب عنك مفارقي وإن فل من غربي وغض عناني

حتى انه عندما مات الصابي رثاه الشريف بقصيدة من عيون الشعر الرثائي :

ارأيت من حملوا على الاعواد ارأيت كيف خبا ضياء النادي

جبل هوى لو خر في البحر اغتدى من وقع متتابع الازباد

ما كنت اعلم قبل دفنك في الثرى ان الثرى يعلو على الاطواد

لا ينفذ الدمع الذي يبكي به ان القلوب له من الأمداد

قد كنت اهوى أن اشاطرك الردى لكن اراد الله غير مرادي
يا ليت اني ما اقتنيتك صاحباً كم قنية جلبت أسى لفؤادي .
أريت الى هذا الرثاء الرائع ، وهذا التفجع الجميل ، وما دام
حديثنا يتعلق بالرثاء عند الشريف فلا نرى كيف رثى الشريف والدته
ذلك الرثاء المهيّب ، الذي يمثل صدق العاطفة والرجولة ، هو يريد ان
يمكي لكنه يعلم ان البكاء لا نفع منه ، هو يريد ان يقول ، إلا
ان المقال لا رجاء فيه ، فهو يطوي اذن حزنه بين جوانحه ، ويصبر ،
وليس كالرجال يعرفون شيم الصبر ، ويطيقون احتماله :

ابكيك لو نفع الغليل بكائي واقول لو ذهب المقال بدائي
واعوذ بالصبر الجميل تعزياً لو كان بالصبر الجميل عزائي .
الواقع ان الشريف عاصر ثلاثة من خلفاء بني العباس ، هم المطيع
لله ، والطائع لله ، والفادر بالله ، اما عهد المطيع فأئنا لا نستطيع
القول ان الشريف فكر بالخلافة في تلك الاثناء لانسه كان لا
يزال صبيّاً .

ننتقل إلى عصر المطيع لله ، وفي هذا العصر ايضا لا يمكننا ان
نتصور الشريف يعمل ضد صديقه الطائع ، لأنه كما تقدم كان يحمل
له الود والصدقة . والحقيقة ان الشريف الرضي كان يسمى دائماً
إلى عظام الامور . وهو ان أخذ بالجمال ، ولبي نداء قلبه فانه لم
يكن ينسى مجده ومطالب نفسه ، انه رجل يسعى إلى هدف في
الحياة ، وان استظل وقتاً ، او بضع وقت شجرة اتقاء هجير
الصحراء فما ذلك الا ليجمع قواه من جديد نحو صراع اطول ،
ومجد اعظم . ومن ذلك قوله :

متى أرى البيض وقد أمطرت سميل دم يغلب سيل البطاح
توارثوا الملك ولو انجبوا لورثوه عن طعان الزماح
لم يقل الشريف هذا في زمن الطائع ، ومع اني لا انكر ان
الشريف كان يحاول استغلال جميع الظروف كي يصل الى غرضه .
إلا ان عصر الطائع لم يكن يسمح للشريف بهذا التفكير .
يضاف اليها امر حادثة سنة ، ثم يجب أن لا ننسى ان اموره لم تكن
قد سويت تماماً فيما يتعلق بأملاك والده . فكيف يمكن لرجل فقير
ان يفكر بأنقلاب سياسي ! وان يطمح إلى مركز هام . وهو يدرك
ما هو فيه من الضيق . ثم يجب ان لا ننسى ايضا ان الديلم
والأتراك كانوا ينصبون من يشاؤون من بني العباس في كرسي الخلافة ،
والشريف لم يكن يريد ان يكون خليفة فالعوبة بين يدي الديلم والتوك ،
انه ينبغي انتزاع الخلافة انتزاعاً . وحتى حين خلع الطائع كان
الشريف يحترمه ويقدره . اذن ، لم يبق الا عهد القادر بالله وهو العهد
الذي فكر فيه الشريف تفكيراً جدياً بالخلافة ، وهو وان استقبل
الخليفة الجديد بالترحاب .

مجدد أمير المؤمنين ، أعدته غفلاً كنور المؤرق المياس
بعثت في قلب الخلافة فرحة دخلت على الخلفاء في الأرماس
إلا انه يعود ويخاطبه بالقصيدة التي مطلعها : لمن الحدوج تهرن الأيتق .
الى ان يصل ليقول :

إلا الخلافة ميزتك فاني أنا عاطل عنها وانت مطوق .
وقال القادر عندئذ : علي رغم أنف الشريف

يمكننا بعد هذا التوضيح ان ندرك ان الشريف كان يفكر بأمر الخلافة في عهد القادر بالله . ففي ذلك الوقت انصرف الشريف الى امر نفسه يتدبرها مع الملوك ، والوزراء ، والامراء . وهو يدرك تمام الادراك ان هؤلاء الكلمة التي تسمع والرأي الذي يرجح . وبما ان الشريف كان رجلاً سياسياً او بمعنى اوضح كان يريد ان يكون له رأياً في المعضلات السياسية الدائرة في ذلك الوقت ، فلذلك كان على صلة دائمة بالملوك والامراء والقواد ، يمدح هذا ويجل ذاك . وهناك ناحية لا بد ان أجل الشريف من اجلها فيما أجل ، وهي موضوع حبه لوطنه وحده عليه ، واجلاله لمن ينفعه ، كما انه كان من جهة اخرى كما ذكرت يهوى المجد ، ويفكر بغده . فلذا فكر ان يتزوج زواجاً سياسياً كما يتزوج اليوم الملوك والرؤساء من بعضهم البعض ، بغية توطيد او اصر الصداقة والعلاقات ، واقد اسف الرضي كل الاسف عندما فشل هذا الزواج .

أَمَانِيْ نَفْسِ مَا تُنَاخِ رَكَابَهَا وَغَيْبَةِ حَظِّ لَا يُرَجَىٰ إِلَيَّهَا

وهو يعني بذلك عدم عقد هذه المصاهرة او الصفة . أما ماذا استفاد الشريف من صحبته للأمراء والملوك والوزراء ؟ لقد استطاع ان يحافظ على منصب والده في ان يكون امير الحج ، والصلة بين اهل الشام والعراق والحجاز وفارس ، لان الشريف ورث فيما ورث عن والده صداقة القبائل المرابطة في الصحاري والقفار طوال طريق الحج .

واكثر الملوك الذين كان الشريف على صلة بهم هو بقاء الدولة الذي مدحه بكرام القصائد ، والتي لم تكن للتزلف والكسب ، بل كانت سجلاً للاحلاق ، وتصويراً للرجولة . لم نقل ان الشريف كان رجلاً ، والرجل يحب فضائل الرجولة ، ويلهج بها ، ويقدر من يتحلى بفضائلها .

يا قوام الدين والفنا رج الدين مضيقه
أنت راعيه وهاديه اذا ضل طريقه

ويقول في مكان آخر

لازعزعتك الخطوب يا جبيل وبالعدا بل لا بك العال
قد يوعاك الليث لا لذته على الليالي ويسلم الوعل
وبقي لحائل بقاء الدولة مكانتها في نفس الشريف حتى يعد
موته حيث رثاه الشريف قائلاً :

رزيئة لم تدع شمساً ولا قرأ ولا غماماً ولا نجماً ولا فلكاً
الى ان يقول :

لا تبصر الدهر بعد اليوم مبتسماً ان الليالي أنست بعده الضحكا .
قلت ان الشريف كان امير الحج ، ولأمانة الحج في حياة الشريف
وفنه وشعره اثرأ . بل آثاراً خلدت تلك العبقرية ، وذلك الذوق
الفني الخالص ، وكان الشريف ، قد صرف الخواطر التي تتعلق بالخلافة
من خاطره بعد ان ادرك انه لا يمكنه بلوغها وانه وان بلغها
فسوف لا يسعد على كرمي الخلافة في خضم هذا المعترك السياسي
الدنس ، اذن لينصرف الى ما هو اجدى وانفع .

وهكذا انطلق الشريف الى شأن حياته ، وكان كما نعلم قد
فتح مكتبة او مدرسة سماها « دار العلم » وفدت عليها الطلاب
للدرس والاطلاع ، فكان الشريف والحالة هذه كما تقدم ايضاً مصلحاً
اجتماعياً ، وداعية من دعاة انتشار الادب وازدهار المعرفة .

ولمواسم الحج ايادي بيضاء على الشعر العربي ، ففي هذه المواسم
غرد الشريف اجمل الأغاني ، ولحن اعذب الاغاني . اذ ان لشهاده موسم

الاعیاد والحاجات الحسان من شأمیات ، ومغربیات ، وعراقیات ، وحجازیات ،
یؤدین فریضة الحج ، وهن یرفلن بأثواب الغوی والشباب ، ثم
یطلقن حول الكعبة ، او فی ذهابهن إلى رشق الحجارة بأنامل
رخصة ، تلك الأنامل التي داعبت أوتار قلبه الحساسة ، وبعثت النشوة فی
نفسه ، واطلقت شیطین الشعر فی اودية العبقریة ، فتروم «بالحجازیات»
التي أضحت مضرب الامثال فیقولون : لا تعقل نفس المتأدب إلا إن
حفظ هاشمیات الكمیت : وخریات أبي نواس ، وزهدیات أبي العتاهیه ،
وتشبیہات ابن المعتز ، ومدائح البحتری ، وحجازیات الشریف الرضی «
اذن فحجازیات الشریف الرضی تمثل لونا زاهیا من ألوان الأدب
العربی ، وهي فی الوقت نفسه تعید إلى الاذهان ، تلك الاناشید
التي اطلقها قبله شاعر هنالك فی فیا فی الحجاز ، وبطاح مكة ، یستقبل
القادمات من مختلف الاقطار الاسلامیة فرحاً جذلاً ، ثم یودعن
بعد امد وهو علی امل بقاء ثان ، قد یتم وقد لا یتم ، یدكرنا
بعمر ابن ابی ربیعہ ، بصاحب الاغارید العذبة . واقد احیا الشریف
عهد عمر بل زاد علیه ألواناً لم تكن معروفة ، ولم یكن
عمر قد توصل الیه ، فحجازیات الشریف وغرامیاته تقطر لوعة ،
وتذوب صباة ، یتروم المتیمون بها ، ویعتقد كل منهم ان ،
الشریف یصور عواطفه ، ویحدث بلسانه ، ویشعر بقلبه ، واذا اعتبرنا ان
الشریف كان نقیب الطالبین ، وكان امیر الحاج ، وكان الطامح إلى
مقام الخلافة ، لتبین لنا جرأة الشریف . فی عصر اوشك ان یشمله
الجمود ، وان یسيطر علیه التزمّت . وفی نظری ان هذا الواقع
الاجتماعی والدينی فی حياة الشریف هو الذي حرض ودفع به إلى ان
یفرد اناشید الهوی والصبابة ، والعفاف والجمال ، اذ لو كان الشریف
كالنواسی مثلاً ، مطلق الحرية والتصرف لما ترك بعده هذا التراث

الأدبي الشعري العفيف الرائع ، او لكان كأحد اولئك الشعراء الذين كانت تزخر بهم ارض العراق ، امثال السلامي الذي فتن اهل العراق بطرافة شعره وحنوه .

وفيهن مكرى اللحظ مكرى من الصبا

تعاتب حلو اللفظ حلو الشئسل

ثم ابن نباته السعدي ، ثم السري للرفاء ، ثم اعقب ذلك شاعران ماجنان هما ابن حجاج وابن سكرة ، اللذان وافقت اشعارهما اذواق اهل زمانها ، ولنسمع الى هذين البيتين من الشعر لأبن سكرة اللذين اسكرا اهل بغداد وفتنا الراي العام :

ويوم لا يقاس إليه يوم يلوح ضياؤه من غير نار
أقننا فيه لسذات سوقاً نبيع العقل فيها بالعقار.

هذا إلى جانب اشعار النواصي وبشار وغيرهما من اهل المجهود . ثم يجب ان لا ننسى ايضا ان عصر المتنبي الادبي كان لا يزال مزدهراً والاعجاب به في ازدياد . رغم انه مات منذ امد طويل . والشريف الرضي لم يكن يحب المتنبي بل كان يحقد عليه ويعتقد انه هو احق بهذه الشهرة منه ، لما في شعره من جمال وروعة لها روعة شعر المتنبي وقسوته ، إن لم تكن تبزه ، ثم يجب ان لا ننسى ايضا أن من الاسباب التي جعلت الناس يلهمجون بذكر المتنبي ويتفننون بشعره هو سبب مذهبي بحت . فلقد كان المتنبي سنياً وكان الشريف طالبياً علوياً ، وحتى ذلك الوقت لم يكن عامة الناس وهم الذين سمعوا وعرفوا الحوادث الجسيمة التي تعاقبت على الاسلام من جراء هذا التطاحن الديني ، والعداء المذهبي . لم يكن لهم ان يتنازلوا عن

عصبيتهم ، فلذا بقيت مكانة المتنبي متينة ، وهذا ما سنتحدث عنه ايضاً في حديثنا عن نهج البلاغة .

نريد من هذا ان نبرهن ان العصر الذي عاش فيه الشريف كان عصر اديباً زاهياً ، اما القيم الاجتماعية فقد كانت هزيلة . فلذا قدر الشعراء الذين انسجم انتاجهم مع ما في النفوس من ضعف والخلال . فما رأيك في شاعر حفظ شعره وقدر في عصره يدعى الانطاكى من قوله ؟ :

أستغفرُ الله من عقل نطقتُ بِهِ

مالي وللعقل ؟ ليس العقل من شأني !

هل من الممكن ان ينحدر الشريف الى هذه المرتبة ، ويكون من هذه الطبقة المأجنة من الشعراء ؟ كلا لن يكون ذلك . بل سيكون الشاعر الذي يقول :

تضاجعني الحسناء والسيف دونها

ضجيعان لي والسيف ادناها مني

وفي مكان آخر :

لولا هوائك لما ذلت وإِنَّمَا عزي يعيرني بذل فؤادي

هل نتظر من هذا الرجل الشريف ان يكون مأجناً ؟ ان يذل فؤاده في سبيل مجده وعزه ؟

الواقع ان الصراع بين القلب والعقل قد بلغ اشده في نفس الشريف ، انه يرغب ، ويحب ، ويريد ، ويعشق . ولكنه مع كل هذا في اضطراب لكي يعف ويتسك باهداب العقل والفضيلة ، وهناك ميزة خاصة في شعر الشريف . وغرامياته ، وحجازياته .

لم يكن الشريف كما بينا من أولئك الشعراء المـاجـنين ، كان يعيش في بغداد . انما فيما يتعلق بموضوع قلبه ، وشعره ، كان شعر سكان البادية ، انه شعر العفاف والتقوى ، الا يمكننا ان نترفع بالوجد والصبابة عن المحزون والعبث التي بشرت بها مدرسة النواصي ؟ اجل ، يمكننا ذلك . ولقد جسد الشريف هذه الحقيقة النبيلة .

قلت ان شعر الشريف شعر بدعوة . وازيد على ذلك ان من اهم مييزات شعر البدعوة ، ابتعاده عن الاسفاف والتبذل ، وهذا ما نامسه في شعر الشريف . ولكن الشريف البغدادي كان ينسى بدويته في بعض الاحيان ، ويندمج في هذا الجو الحافل الذي يعيش فيه . إنه نداء القلب ، ونداء العاطفية ، وهل يجرم الشريف اذا طلق تعففه وعقله وقتاً قصيراً ؟ واذا نظر إلى الحياة بنظر الرجل الشاعر ، الفنان . ونحن نرى اليوم الملوك يتنازلون عن عروشهم ، والقواد يهملون امور جيشهم من اجل ثغر صغير ، وعيون نجلاء وجيد اتلع .

ولم تر كالعيون ظبا سيوف ارقن دماً وما رمن الجفونا

ثم

وليلة وصل بات منجز وعده حبيبي فيها بعد طول مطال
شفيت بها قلباً اطيل غليله زماناً فكانت ليلة بليالي
فيا زائراً لو أستطيع فديته بأهلي على عز القبيل ومالي

انا اعذر الشريف وهو يذكر لياليه . فهل انت تعذره ؟

قلت ان شعر الشريف مثل العفاف والنبل وسأرحل بك الى بطاح مكة حيث نلتقي هناك بأمر الحج بمجد مواسم العيون ،

ويعني عودة هذه المواسم ، انه رجل قبل ان يكون شاعراً ، وانه شاعر قبل ان يكون امير حج ، وثقيب اشراف . انه يعشق الحسن ، ويهوى الجمال ، ويوجد الملاحه ، واي انسان حماس لا يهوى الجمال ويسبح له ، فكيف اذن بالشريف ؟

سوف لا يفلت الشريف ابداً ، مع كل هذا ، من رباط عقله ، فهو وان كان يهوى العناق ، ويدرك لذته لا يبدله من ان يشبه نفسه إلى انها تمانت ، في خيالها وفي تمنياتها ، انه يشقى في هذا النعيم ، يرى الجمال امامه ، والنعيم بين يديه ، ولكنه لا يقدم . ترى ايكون الشريف الرضي اكثر تعففاً من آدم في هذا السبيل ، ان آدم نفسه لم يقدر ان يصمد امام الاغراء ، فهبط الى الارض من الجنة ، اما الشريف ترى هل هبط من مكانته في عالم النبل والعفاف الى مصاف المجان والعابثين .

قلت ما معناه ان مطالب الشريف ، ومكانته الاجتماعية والادبية لم تسمح له بالتبذل والاسراف في الغزل الماجن ، والقول العابث ، وهنالك عامل قوي جعل الشريف يترفع بأدبه وشعره عن ما وصل اليه النواصي وغيره من شعراء الغزل والمجون في العراق ، وفي غيرها من العالم الاسلامي ، ما هو هذا العامل ؟ نعود مرة اخرى الى موضوع البيئة ، فالبيئة تكيف الشخص في اكثر الاحيان فاذا كانت بيئة وضيعة دفعت بصاحبها الى الفجور ، والاسفاف ، والابتذال . واذا كانت بيئة مثقفة ، كريمة ، نبيلة ، جادة ، فلا بد لها ان ترفع صاحبها الى الجودة والعفة والانتقاء ، وتقهم الجمال النبيل الهادي ، وهذا ما حصل فعلا لصاحبنا الشريف .

لم يعرف الشريف الحانات الرخيصة ، والمواخير في بغداد ولكنه كان دائم الصلات بالعائلات الكريمة الراقية ، فلذا ارتفع بشعره

عن بيئة الحانات ، والمجالس المأجنة ، وكانت علاقاته مع هذه العائلات الراقية علاقات كريمة طيبة ، وانا لا انكر ان الشريف وجد الحسن الحلال ، والجمال الشامخ ، في مثل تلك البيوتات ، والعراق معروف عن نسائه : القدود الهيفاء ، والعيون السوداء ، التي تهز مشاعر النفوس ، وتحرك لواعج القلوب . ولا شك ان الشريف قد هزته النشوة وهو ينتقل من دار الى دار ، كما تنتقل النحلة من زهرة الى زهرة ، ولكن حاله لم تكن كحال النحلة ، فانتقاله من رؤية حسناء ، الى الاجتماع باخرى ، كانت علاقة بريئة عفيفة ، وفي نظري ان مثل هذه العلاقات الادبية تصقل انتاج الشاعر ، وتشجذ عبقريته لارضاء هذا العالم المثقف الذي هو احذر كائنه ، وفي نظري ايضا ان هذا الكرم وهذه العلاقات البريئة تتروك النفس وقد ترفعت عن حقير المطالب ، وصغار الرغائب .

والشريف سيبقى دائماً في غرامياته بصورة عامة ، هذا الرجل الكريم ، الذي يمثل بيئته النبيلة خير تمثيل . انه لم يسف ، ولن يسف ، حسب ان تصبح اناسيده حديث المجتمعات المحترمة الراقية على ان تضع اسماره بين كؤوس السكارى وعربدتهم .

وما ينطبق على غراميات الشريف بصورة عامة ينطبق ايضا على حجازياته بصفة خاصة ، فهو اسم الحجب لم يكن فيها اي مكان للفاجرات المتبذلات ، ولكنها كانت وقفاً على الحرائر ، والنساء الكريمات ، اللواتي تسمح لهن حالتهن المادية والاجتماعية بتأدية فريضة الحجب .

وفي نظري واعتقادي ان نظرة العذراء الحجولة الحمية لها في النفس الف معني ، ولها في القلب اكثر من رجفة ، وانها افضل بكثير من نظرات النساء الحليعات المتبذلات ، اللواتي عرفن الحب وصلا حيوانياً ، ومتعة مستعجلة ، ولقد ادرك الشريف كل هذا وعرف ان ليس مقام الجمال بين الوجود والاقذار

ولكنه كزهرات الاقحوان في اعالي الجبال تعيش بين التلويح الناصعة .
 ولنسمع الشريف يتغنى بهذه الزنبقة الطاهرة مثلاً من امثال غرامياته
 وعفافه . بل في هذه الطيبة النجلاء العيون التي يخشى الشاعر ان يدنس حرمها
 ان هو فكر بأفكار تهدف التدنيس ، واذا هاجه الشوق فحسبه ان يخاصرها ،
 ولكنه يتركها ولم يتجاوز هذه المحاصرة العفيفة .

وفي الخباء الذي هام الفؤاد به نجلاء من عين الغزلان لا البقر
 ابرزتها فتخاصرنا بمساعدة عن الخيام نغنى الخطو بالازر
 ثم انشيت ولم ادنس سوى عبق على جنوبي لريا بردها العطر
 ثم لتصور هذا الهائم ، المحب ، هذا البدوي الذي يذكرنا بجميل ،
 وقيس وغيرهم من عشاق البادية :
 وكم ليلة بتنا على غير ريبة علينا عيون للنهى ومسامع
 نفض حديثاً عن ختام مودة معاقبها أحشاؤنا والاضالع
 يكاد غريب الليل عنه حديثنا يطير ارتياحاً وهو في الوكر واقع
 خلونا فكانت عفة لا تعفف وقد رفعت في الحي عنا الموانع
 سلوا مضجعي عني وعنهما فاننا رضىنا بما ينهرن عنا المضاجع .

وحجازيات الشريف . زائرة بهذه المواقف ، فالشريف في حجازياته ،
 دائم التجدد ، وان انت رافقت الشريف في هذه القصائد التي تبلغ الاربعين
 لوجدت في كل واحدة معناً جديداً من معاني الغزل الرفيع ، والشعر
 العفيف ، والاناشيد النبيلة . ان الشريف سطر الحب شريعة ، ولكنها شريعة
 جميلة فيها العدل ، وفيها الظلم ، وفيها الحرمان ، وفيها العطاء ، انها شريعة الحياة .

ولا يمكنني هنا أيضاً إلا أن أشير إلى العوامل التي احاطت بالحجارات ،
فاذا قلنا ان الحجارات اطلقتها الشريف في ديار الحجاز ، ديار النبوة . وفي
موسم الحج ، وهو الموسم الذي تسعى فيه جماعات المؤمنين الى مكة خاشعة
خاضعة ، تاركة وراءها زخرف الدنيا ، ومطالب النفوس ، وملمية نداء
قلوبها في طريقها الى الامكنة الشريفة المكرمة ، انها تسعى الى الله ، ففي
هذا الجو الروحاني الطاهر ، نرى الشريف الرضي امير الحج والذي كان
مثالا للحجاج في الورع والتقوى ، وسفط هذه المرحلة الوجدانية
الرائعة من ان يشوبها شوائب من الجورث او التشبيب ، او اللهو
والعبث . فاذا به يقطع هذه الايام الوجدانية في التسييح والتكبير
والتهليل ، مسبحاً شاكراً حامداً لله روعة خلقه ، وجمال ابداءه في هذه
الحسان الحاجات الساعات مجدا روعة هذا الجمال الذي يسعى
بين مناسك الحج حيث يرفلن باثواب العوى ويسجن في امواج من العطرا
ان جرأة الشريف في هذه المواقف اعظيمة ، وانني اعتبر الشريف ثائراً في
هذه الميادين . لقد ثار على العرف والتقاليد . فالشريف الذي
ادخل على موسم الحج ، هذا اللون الطريف ، كان مغامراً وكان
شجاعاً في ان يغني هوى قلبه ، في مثل تلك الامكنة المكرمة . ان
فؤاد الشريف لن يكون اسير التقاليد ، وان لسان الشريف سيردد هذه
المشاعر ، وليكن ما يكون . سيثبتم نفسه بالعبودية ، فهو عبد من عباد العيون
والنحور والحدود والقنود ، وليس هو باكثر من شاعر يشعر فينطلق شعره
عذبا طريفاً جريئاً . مع هذا لا بد ان نذكر ايضاً ان الشريف في كل هذا
كان اديباً ، وكان مثلاً للأدب والذوق فلم يسف ولم يتبدل ، ولم يعبت ، لقد
كان عليه ان لا يسمح لمشاعره ، وفؤاده ان تشوه هذه المواسم
الكريمة ، بسفيه الكلام . ومتى كان الشريف سفيهاً مبتذلاً . ؟ لا

لم يكن ، ولن يكون ابداً . انه فنان يصور لوحات خالدة ، فيها عظمة الفن ، وروعة الذوق ، واوليست أمكنة اللوحات الفنية في حدر المجتمعات ، ومقام العظماء . ألا شاهد عند دخولنا الكنائس والمتاحف لوحات تنطق بالطهر والروعة في كل لحظة من ملاحظتها ؟ وانا اعتبر ان لوحات الرائعة لها تأثير سحري . ألا تنتقل وانت تنظر الى لوحة جميلة ، ألا تنتقل الى عالم مليء بالمشاعر والاحاسيس ؟ هكذا كانت اشعار الشريف وقصائده ، انها لوحات فنية ترسخ في قلوب الناس ، وتنقلهم الى عالم من المشاعر والاحاسيس كما تنقلنا اللوحات الرائعة المعلقة في جدران المعابد والمعارض ، إلى اجواء من التأمل والالهام . هكذا فهبت الشريف ، وارجو ان اكون قد احسنت فهمه . ليس من شك ان هنالك من ينكر على الشريف هذا . فلكل رأيه ، ولكنني لم اجد في قصائده ابتذالا ، ولا فجورا ، بل وجدت نبلا وعفافاً . اظني اطلت في هذا والآن سأنتقل الى الاستشهاد ببعض هذه الاشعار العذبة الوجدانية ، لنعيش رديحاً مع الشريف في الايام الممتعة ، ولنلتبس هذا الشوق الذي قد يعود ، وقد لا يعود . فمن ضمن له ان يعود ذلك الوجه الجليل ، وتلك العيون النجلاء ، هل تعود الحسناء التي قصدت مكة لاداء فريضة الحج ، انها اتت من المغرب او من العراق ، او من مصر ، هل تراها تعود ؟ وهل يجود الزمان ان عادت هي فيعود هو ايضاً ، قد يجود الزمان وقد لا يجود . اذن فما عليه الا ان يخلد هذه الايام ، وهذه الهنيئات المختلصة من العمر ، ولتكن سجلاً لقلبه . وقلوب الشعراء غريبة الاطوار . ومع غرابة اطوارها فليس مثلها تحس الجمال ، وتمجد الحسن ، والدلال ، والغوى .

اذن فالشريف يصرف يومه ويعيش هذا اليوم ، وليس للمستقبل حساب في عالم قلبه :

فواهاً كيف تجتمعنا الليالي وآهاً من تفرقنا وآها

هذه الحسرات على لقاء قد يكون وقد يكون ، جعل الشريف
يخلد حاضره ، اما الغد فيتركه الى المستقبل ، ومن يدري ما يحمل
المستقبل وما يضمّر لنا من أحداث وحوادث . اذن فلينشد الشريف .
ليغني غزلاً فيه غفة ، وفيه حياء ، اطلقته العاطفة الصافية الدافقة ، انه
يشكو ، ولكن ، شكاء السيد لا يذل ولا يلين ولا يستعطف :
يا ظبية البان ترعى في خمائله ايها اليوم ان القلب مرعاك
الماء عندك مبدول لشاربه وليس يرويك إلا مدمعي الباكي
هبت لنا من رباع الغور رائحة بعد الرقاد عرفناها برباك
انت النعيم قلبي والعذاب له فما أسرك في قلبي وأحلاك
عندي رسائل شوق لست اذكرها لولا الرقيب لقد بلغتها فاك
هامت بك العين لم تتبع سواك هوى

من علم العين ان القلب يهواك

انظروا الى هذا الماكر يقول : من علم العين ان القلب يهواك .
لي العذر ان قلت انه ماكر . فليس كجمال مكر الشعراء . انه
الروعة ، وانه الكذب الحلال .
وعودة الى الحجازيات :

تذكرت بين المأزمين إلى منى غزلا رمى قلبي وراح سليما
لئن كنت استحلي مواقع نبيله فاني ألاقى غيبهن أليما
فلو كان قلبي بارئاً ما ألتته ولكن أسقاماً اصبن سقيما

ليس هذا اول حب ، وليست هذه اول ظيئه يراها ، انه يصح فيه قول القائل : تكسرت النصال على النصال . ولسكنها نصال مؤلمة ، وألم الشاعر يختلف عن ألم الرجل العادي .

ثم لنخلق مع الشريف في حجازياته ، وكم كنت اود لو يقدر لي ان اعيش مع الشريف في كتاب خاص . استطيع فيه ان اتناول حجازياته واعدد ما في هذه الحجازيات من الاطياب ، ومن العطور ، ومن العيون الدافقة روعة وجمالا وفناً ، واني لفاعل ذلك ان شاء الله في المستقبل . فالحجازيات الشريف في نفسي مكانة سامية . وعودة اخرى إلى الحجازيات :

ايها الرائي المغذ تحمل حاجة للعذب المشتاق

أقر عني السلام أهل المصلى فبلاغ السلام بعض التلاقي

وفي القرى يقولون ، المكاتبه ثلثا المشاهدة

واذا مررت بالحيث فاشهد أن قلبي اليه بالاشواق

واذا ما سئلت عني فقل نضو هوى ما أظنه اليوم باقي

ضاع قاي فانشده لي بين جمع ومنى عند بعض تلك الحداق

وابك عني فطالما كنت من قبل أغير الدموع للعشاق

لقد اضاع الشريف قلبه ! فأين يا ترى نجده ؟ كلا ، لم يفقده بل

هو يعرفه اين هو ، وانا اعتقد أن الشريف كان يترك في الحجاز

قلبه حقيقة ، ايكون الشريف قد احب احدي الحجازيات ؟ ليس

هذا يستبعد .

وقبل ان اختم حديثي عن حجازيات الشريف لا بد ان اصل

الى هذه القصيدة الطريفة ، التي تبين مدى فتنة الشريف بالحج ، والله كان يرى في الشعائر الدينية ، بعض المعاني التي لا يمكن لغيره ان يراها ، ألم اقل انه شاعر ، والشاعر اكثر احساساً من غيره بل هو جبلة احساس .

ألا يا ليالي الحيف هل يرجع الهوى

اليكن لي لاجاز كن ندى القطر

فيا دين قلبي من ثلاث علي م في مضين ولم يبقين فيرجو الذكر

ورامين وهنأ بالحجار وإنما رموا بين أحشاء المحبين بالجر

ماذا كان الشريف يفكر ، وهو يشاهد معاصم الحسان ترمى ابليس بالحجارة ، انه كان يفكر بقلوب المعجبين والمحبين ، ان هذه الحجارة ليست سوى جرات لاهية تصوب الى قلوب هؤلاء المعجبين ، واضمني ان اكبر جذوة ستكون نصيب قلبه :

رموا لا يبالون الحشا وترو حرا خلين والرامي يصيب ولا يدري

وقالوا غداً ميعادنا النفر من منى وما سرني ان اللقاء مع النفر

ويا بؤس للمقرب الذي لا نذوقه سوى ساعة ثم البعاد مدى الدهر

فيا صاحبي ان تعط صبراً فاني نزعتي يدي اليوم من طاعة الصبر

وإن كنت لم تدر البكا قبل هذه فميعاد دمع العين منقلب السفر

لقد صبر الشريف على مصائب الدهر ، هل تراه يصبر على فراق الجمال والأحبة ؟ لن يصبر فسوف يبكي هواد ، ومنى قلبه . فاذا كان الحجاج يودعون الحج بالتكبير والتهليل ، بينما يودع هو هذه الأمكنة بالبكاء

والتحسّر ، انه يودع مناسك الحج بالزفرات الملتاعة على ما يفارق من
الجمال ، ومن العيون الساحرة ، والنحور الفاتنة :

آه من جيد الى الذا ر كثير اللفتات

وغرام غير ماض بلىقاء غير آت

ثم انظروا هذه الحسرة :

تنادوا بأن التناهي غداً لك السوء من طالع يا غدا.

واذا عاد الشاعر الى العراق ، ومضت الايام ، ومان موعده الحج ،
ولم يقدر له ان يشترك فيه ، هيج اشجانه رحيل القوم الى ديار الحجاز
فوقف يقول في لوعة وحسرة :

اقول لركب رائحين لعلكم تحملون من بعدي العميق الينا

خذوا نظرة مني فلاقوا بها الحى ونجداً وكشبان اللوى والمطاليا

الى ان يقول :

تودعنا ما بين شكوى وعبرة وقد أصبح الركب العراقي غاديا

فلم أرى يوم السفر أكثر ضاحكاً ولم أرى يوم السفر أكثر باكياً.

وما دمت في التحدث عن وجدانيات الشريف ، فلا بد ان اشير
الى حادثة وقعت له ، وفيها نلمس صدق الرفاء ، وليس هذا بغريب
فالشريف من بيت كريم ، وارومة نبيلة .

أتينا في معرض حديثنا على ذكر الشريف المرتضى شقيق الشريف
الرضي ، ولقد كان الشريف المرتضى صاحب الامالي - والعالم المفضل ،
والسيد المحترم ، بين ابناء قومه ، وتشاء الظروف ، ووشاية الرشا ، اذ

يوصل هؤلاء الوشاة كلاماً سيئاً عن لسان المرتضى في اغتياب الرضي ، ولنا
ان نتصور مبلغ الأفكار التي انتابت الشريف ، وهو يسمع هذا الذي
سمع ، انه يعرف ان الأيم كثيرة القلب ، ولقد ابلى الاحدقاء ،
واختبر مقدار حمود الناس للصدقة :

كفى حزناً أني صديق وصديق ومالي من بني الانام صديق
هو يعرف غدر الاصحاب والاحدقاء ويتألم لهذا :

تجاذبني يد الايام نفسي ويوشك أن يكون لها الغلاب
وتغدر بي الاقارب والاداني فلا عجب إذا غدر الصحاب
لقد اختبر الشريف الحياة ، وعرف اخلاص الناس ، اما ان يكون
هذا الرجل شقيقه فهذا امر اشد غرابة واكثر ألماً . ولقد نظم الشريف في
هذه الجفوة القصيدة التي مطلعها :

رضيت من الاحباب دون الذي يرضي

ودانيت من تقضي الديون ولا يقضي

الى ان يقول متحرقاً ، عاتباً :

فعدراً لاعدائي إذا كان أقربي

يشذب من عودي ويمرق من نحضي (١)

إذا ما رمى عرضي القريب بسهمه

عذرت بعيد القوم إما رمى عرضي

ولكن هذه الجفوة لم تستمر طويلا اذ سرعان ما عادت المياه الى مجاريها
بين الآخرين ، فعاد الرضي يسجل هذا قائلا:

وأعظام ما لاقيت شجواً ولوعة عتاب أخ قل الزمان به حدى
لاحظوا معي هذا الود الذي يدوم بالرغم من كل شي ، ان هذا
البيت في نظري وحده قصيدة رائعة من الأدب الوجداني .

منحتك ما عندي من الصدم معلناً وعقد ضميري ان ادوم على الود
اما الامر الوجداني الثاني ، فهو مشكلة شبابه ، وبكائه هذا الشباب
الذي لا يدوم ، والذي يزول بسرعة البرق ، ويخلف بعده اللوعة والحسرة
والخوف من مستقبل ظالم لا يرحم . انه واجف القلب ، وهو يرى الشعيرات
البيضاء تتسلل الى رأسه ، منذرة اقبال الشيخوخة ، وادبار الشباب .
وللشريف في ذلك قصائد وجدانية جيدة .

واهاً على عهد الشباب وطيبه والقصن من ورق الشباب الناضر
سبع وعشرون اهتمصن شبيبتي وألن عودي للزمان الكاسر
واذا قلنا ان الشريف الرضي عرف الشيب وهو في الثالثة والعشرين
من العمر تبين لنا كيف كان شعوره وهو يقول :

راحت تعجب من شيب ألم به وعاذر شيبه التهام والاسف
ولا تزال هموم النفس طارقة رسل البياض الى الفوذين تختلف
وفي ذلك يقول :

لو يفتدي ذاك السواد فديته بسواد عيني بل سواد ضمائري
وها هو الرجل يتحسر هنا .

يا قاتل الله الغواني لقد سقيمتي الطرف بعيد الجمام

أعز من عني حين ولي الصبا واختلاج الملم بقايا العرام

وله في هذا الحقل قصائد جميلة المعنى رائعة البيان .

كنت قد ذكرت في هذا البحث ان لي عودة الى كتاب نهج البلاغة ،
وهنا انذا اعود اليه راجياً ان اكون قد انصفت هذا التراث
الفكري والأدبي الجليل . قبل ان نعطي رأينا في نهج البلاغة ونميز فيما
اذا كان منجولاً ، او عكس ذلك . لا بد ان نعرفه تعريفاً واضحاً فهو كتاب
يتنيز بمباحثه في الله ، وخلق العالم والملائكة والقضاء والقدر وفكرة الوسط
والنواحي الاجتماعية ، ثم افكار مختلفة تتعلق بالدنيا ، والتنجيد ، والمرأة
وغيرها من المسائل .

ويمكننا ان نوضح هذه المواضيع التي تناولها نهج البلاغة فنقول
ايضاً : ان صاحب النهج لم يكن فيلسوفاً ، او عالماً ينظر الى الاشياء
بمنظار المدقق ، ولكنه كان صاحب دائرة معارف دينية واخلاقية
وتشريعية وحياتية ، عامته الظروف الصعبة التي رافقت حياته ، وانطقته
البلاغة والايان وحب للخير والناس ، وساعد على ذلك المثل العليا التي طالما
احبها الامام علي ودافع عنها ، ومات في سبيلها . اذن فنهج البلاغة خبرة
رجل وعندما نقول رجلاً فهذا يعني الرجولة بكامل معانيها السامية ،
عرف الحياة والمختبر الناس . ورافق اعظم مصلح ، وخير الانبياء والرسل
سيدنا محمد ﷺ ، وهذا يكفيه مكرمة علاوة عما له من المكرمات والفضائل .

اما فيما يتعلق بنهج البلاغة وصحة انتسابه الى الامام فمنهم من ينكر
ذلك انكاراً تاماً متذرعين ببعض العبارات الواردة في النهج وخاصة في خطبة
- الشقشقية - مثلاً ، لا تصدر عن رجل سبق الناس بالورع والتقوى ، وانما
هي عبارات قد املاها الطبع الشعري ، والتأني في الاسلوب عند رجل اديب
قد استولى على أسلوبه الفني قبل ان تأخذه السياسة والاجتماع والامور الدينية .
ثم يتذرع هؤلاء ايضاً بان اكثر الافكار المبثوثة هنا وهناك في النهج لم

تكن معروفة في زمن الامام ، بل ان اكثرها قريب كل القرب من بعض اراء اليونان وغيرها من الفلسفات والنظريات ، بعدما ترجمت هذه الفلسفات الى العربية . ومثل ذلك ما جاء في خلق العالم ، « ثم جمع سبحانه من حزن الارض وسهلها وعذبها وسبخها تربة منها بالماء حتى خلصت ولاطها بالبلية حتى لزيت ، فجعل منها صورة ذات اضاء ، ووصول واعضاء وفصول : ثم نفخ فيها من روحه فمثلت انساناً ذا اذهان يجليها ، وفكر يتصرف بها . معجونا بطينة الالوان المختلفة والاشياء المؤلفة والاضداد والاخلاط المتباينة من الحر والبرد والبلية والجود »

ويقول اولئك الذين يعتقدون ان نهج البلاغة ليس من تأليف الامام : ان هذه الاراء تذكرنا بالمذاهب الطبيعية اليونانية كمذهب طاليس وغيره القائل : بان الماء هو اصل الوجود . وانكستدريس القائل (باللامتناهي) وهو عبارة عن مجموعة من الاضداد والاخلاط المتباينة من حر وبرد ورطوبة وسيوسة الخ . . ومن ذلك يقول هؤلاء : ان المسلمين لا يقبلون بمن يتحدث عن صفات الله او ذاته او من يجرب ان يتفلسف على ذات الله ، فكيف اذا كان هذا الرجل هو الامام علي رضي الله عنه . الى غير ذلك من الاراء التي يعتقد هؤلاء انها لم تكن متداولة في زمن الامام .

اما الفريق الثاني فيقول : ان نهج البلاغة من تأليف الامام ومن وضعه ، معتمدين بذلك على امانة الشريف الرضي ، وما اتفق بما جاء في نهج البلاغة من الاحداث التي رافقت حياة الامام ، الى غير ذلك من الاسباب التي يراها هؤلاء انها وجيهة كي يكون نهج البلاغة للامام . ولم يكن للشريف سوى شرف جمعه فقط .

ويأتي فريق آخر ، وهذا الفريق وسط بين الفريقين الاولين ، وانا ارى رأي هذا الفريق فأقول : ان الحياة الادبية كانت مربوطة - ان صح هذا التعبير - بالحياة السياسية الى حد كبير ، ومثل ذلك ان كل فئة ، وكل جماعة كان

فما شاعر او اكثر من شاعر يعدد مآثرها ، ويمجد اعمالها . واذا ذكرنا ان النزاع بين الامويين والعلويين قد بلغ حداً كبيراً ، واضحى مضرب الامثال وورثه الاجيال لمئات السنين ، تبين لنا انه لم يكن من بد لكل من الفريقين ان يعتمد جميع الوسائل لمحاربة الفريق الآخر . قلت جميع الوسائل ويدخل ضمن هذا طبعاً الوسائل الادبية . واقد بينت ما للأدب من تأثير على الجماهير ، وعلى المثقفين ايضاً .

فكما امر الامويون بشتم الامام من على المنابر ، كذلك فعل العلويون بيزيد ، وكل من هؤلاء له شأنه في امور الدعاية لمذهبه ورأيه ، ونحن في عصرنا هذا نرى الدعاية والتشويق من الامور التي تساعد على نجاح القضية التي نسعى لنجاحها ، ألم تساعد ابواق الصهيونية العالمية مثلاً على ايجاد دولة اسرائيل ، بينما اكتفت ابواق الفئة الاخرى تهاجم بعضها البعض وتدخل في جدل سياسي داخلي مما اخضع الفرصة امامها لكسب المعركة حتى الآن . ألم يكن قميص عثمان من العوامل التي اثارت الناس ضد الامام علي والتي عرف معاوية كيف يستغلها .

اذن فالشريف الرضي كان يقصد من وراء نهج البلاغة قصداً سياسياً صرفاً ، وكأني به يقول ، وقد انتهى من وضع النهج : هذه ثروة الامام الفكرية ، والادبية ، والدينية والاجتماعية ، فكيف تنسوها ! جددوا مجد الطالبين واسعوا لاعادة سلطانهم . ويؤيد هذا مطمح الشريف الى مقام الخلافة . وفي نظري ، ان نهج البلاغة في اصله من وضع الامام علي ، وهو مجموعة الخطب التي قالها في مناسبات عديدة ، ونحن نعرف ان الامام كان خطيباً مفوهاً ، ومحدثاً فصيحاً . فابن هي آثاره ؟ بما لا شك فيه ان النهج حوى الكثير من هذه الآثار ، ولكنه لم يكن كله من آثار الامام .

قد تعرض نهج البلاغة كما تعرض الكثير من الكتب الدينية والسياسية ، لبعض من التلخيص والزبادة بما ينسجم مع حالة العصر ، واجل السياسي الذي

يعيش الناس فيه ، ولقد مر نهج البلاغة بين كثير من الأيدي ، ويجدر بنا ان لا ننسى ان كتاب نهج البلاغة لم يكن قبل ان يجمعه الشريف . او بالأصح ان ما ضم هذا الكتاب بين دفتيه هو عبارة عن خطب واقوال واجاديث فاه بها الامام في مناسبات شتى وظروف متعددة تتناقلها الالسن ووعتها افئدة مريديه حتى قبض لها ان تصل الى يد الشريف . ولا شك ان هؤلاء الذين مر النهج بين ايديهم ، زادوا عليه ما ينسجم مع مطالبهم السياسية على لسان الامام كي يكسبوا اكثر عدد ممكن من المتشيعين الذين اختلفت ارائهم ، وتباينت اهدافهم في عصر تعددت فيه الاراء وتباينت فيه النوايا . لذلك فنهج البلاغة لم يكن كله من وضع الامام ، ولكن فيه روح الامام وفصاحته وبلاغته . ولقد زيد عليه من الشريف او ممن سبق الشريف ما يتفق والمبدأ السياسي المرتبط الى حد بعيد بالمذاهب الادبية والاجتماعية والدينية .

ومع كل هذا فنهج البلاغة ذخيرة ادبية ، وفكرية ، وللشريف الفضل كل الفضل في اخراج هذه الذخيرة وفي اذاعتها . فهي وثيقة سياسية وادبية كان لها فضل كبير في فتح ابواب الجدل والنقد المفيد ، وفي تهذيب النفوس وارشادها ،

والان وقد اتيت على نهاية هذه الدراسة عن حياة وشعر الشريف الرضي لا بد ان القي نظرة عامة على فن الشريف . بل على فنونه الشعرية والنثرية . لقد كان الشريف الرضي شاعراً فذاً . كان ساعر القلب ، والذكاء والعقل ، يصور الاهواء والشهوات والآمال والآم ، شاعر العفة والنبل والطهارة . وان في شعره من المعاني الانسانية والصور والحكم والامثال ، ما يجعله في مصاف كبار الشعراء ، وكان شاعراً وجدانياً تحف الادب العربي بقصائد جيدة لا تنسى .

وقبل ان نتناول بصورة مفصلة ذلك لا بد من ان نشير الى ان

الشريف ، قد عاد الى شعره الذي قاله في مسيتهل حياته الشعرية ، فنقحه وهذبه ، فلذا نشاهد هذه الميزة في العناية باختيار الالفاظ ، وبراعة استعمالها ، ثم هذه المعاني التي كثيراً ما يلمح بها تلميحاً غامضاً مثيراً ، او حريجاً عاصفاً رائعاً ، على غير تكلف ، كما انه لا يقع في الاسهاب الممل .

وشعر الشريف صورة طبق الاصل عن نفسه ، انها صورة لانفعالاته الذاتية .

فهو يفتخر بجودده ، وبوالده وبنفسه ، انه فخر قريب الى النفس ، غزير المادة ، لانه حادر عن نفس حساسة تتيه عجباً ، وكبرياء ، وشموخاً . فهو يفتخر لانه احس هذا الواقع ، فاذا بلسانه يسجل ، هذه العواطف الذاتية . وكذلك عندما يعاتب ، او يشكو . ان نفسه تزخر بشقي عوامل الأسى ، والغفران ، والمحبة . وعندما يشور ، انها ثورة رجل قوي ، لا يعرف الضعف ، ولا يشكو الخوف .

وهكذا عندما يمدح ، يمدح لا حباً في كسب ، او عطية ، ولكن عن اعجاب وتقدير ، وهكذا عندما ييجو ، ييجو عن كره وبغضاء . لم يتكلف يوماً في شعره . وهذه من الخصائص النادرة عن الشعراء .

وعندما يتغزل الشريف ، فان غزله صادق ، انه يحب ويعرم ويعشق ويشتاق ويتمنى ، فهو ككل يحب او يزيد عنه في فيض العاطفة ، وجنون الهوى . ولكنه مع كل هذا لا ينسى نفسه ، ومركزه . فلذا غلبت على شعره الغزلي صفة العفاف فقد يلفه الشوق مع فتاة حسناء فيضاجعها ، ولكن ما هو نوع هذه المضاجعة ؟ ان سيفه بينه وبينها . انه سيف العفاف والنبيل . ان غراميات الشريف وذكرياته في الحجاز ، ليست سوى ذكريات الأيام التي امضاها الشريف في تلك الديار انها لواعج قلب اضناه الهوى ، ولوحه الشوق .

وفن الشريف النثري لا غبار عليه ، فهو متين واضح حسن السبك ، سهل

الفهم واسلوبه صريح لا يعرف الغموض ، اختلف إلى ذلك عبقريته في
الخسراج المعاني والصور .

ولقد كان الشريف شاعراً مثقفاً مبصراً بالمذاهب اللغوية والأدبية ،
ومن ذلك اعتقاده بخطر البلاغة ، وعلو شأنها ، وثبوت القلم ، ثم تقديره
للبلاغة واعجابه الكلي بالبلغاء والفصحاء .

انطفتت هذه الشعلة من الوجدان الثائر . وخبا بخره هذا المصباح
الوهاج ، وفارق الشريف الحياة وهو في اوج شبابه وعنفوان فيضانه
الأدبي والروحي ، فترك فراغاً لا يسد ، لو عمر لا تحفنا بأثر قيمة ،
وغرر أدبية رائعة . وكانت وفاته في سنة ١٠٦٠ هـ . ، ودفن في داره بخط
مسجد الأنباريين بالكرخ ، ويقال ان الدار خربت ودرس القبر ، فنقله
اخوه الشريف المرتضى إلى مشهد موسى الكاظم في مقابر الشونيزية .
ومنهم من يقول انه نقل إلى مشهد سيدنا الحسين بكر بلاء . وقد جرح
عليه السيد المرتضى جرحاً شديداً ، حتى انه لم يتمكن من العملة عليه ،
ورثاه هو وغيره من شعراء زمانه ، وفي مختاراتنا سنثبت بعضاً من
قصائده في مختلف الفنون ، كما اننا سنثبت بصورة خاصة بعض القصائد
التي تظهر شعوره الديني .

مختارات شهرية

نجد وطموح

نبتتهم ، مثل عوالي الرماح
فوارس ، قالوا ألمنى بالقننا
نغارة سامع أنبائها
ليس على مضرٍ منها سببة ،
دونكم فابتدروا غنمها :
الى الوغى قبل غوم الصباح
وصافحوا اغراضهم بالصراح
يغص منها بالزلال القراح
ولا على ايجلب منها جناح (١)
دُمى مباحات ، ومال مباح !

*

يا نفس من هم الى همة ،
قد آن للقلب الذي كده
لا بد ان أركبها صعبة
يمجدها أو يذثني بالردى ،
الراح والراحة نذل الفقى
فليس من عب الاذى مستراح
طول مناجاة المنى ان يراح
وقاحه ، تحت غلام وقاح
دون الذي قدّر ، او بالنجاح

والعز في ثرب خريب اللقاح (٢)
في حيث لا يحكم لغير القننا ولا مطاع غير داعي الكفاح

(١) الجلب منها : المنذر من وقعها . الجناح : الاثم .

(٢) الفريب : اللبن . اللقاح : جمع لقوح وهي الناقة الحلوب .

ما أطيبَ الأمر ولو أنه
 واشمت المفرق ذي همة
 لما رأى الصبر مضرًا به ،
 دفعًا بصدر السيف ، لما رأى
 متى أرى الزوراء مُرتجّة ،
 يمشح فيها الموت عن السن ،
 متى أرى الأرض وقد زلزلت
 متى أرى الناس وقد صبحوا
 يلتفت الجارب في عطفه
 متى أرى البيض وقد أمطرت
 متى أرى البيضة مصدوعة
 مُضمَّخ الجيد نؤوم الضحى
 إذا رداح الروع عنّت له ،
 على رذايا نعم في سراح (١)
 طوحه الهم بعيداً ، فطاح
 راح ، ومن لم يطيق الذل ، راح
 أن لا يرد الضيم دفعاً (٢)
 تمطر بالبيض الظنبا وتراح (٣)
 من العوالي والمواضي ، فصاح
 بعارض أغبر دامي النواح (٤)
 أوائل اليوم بطعن صراح
 مروعاً يرقب وقع الجراح
 سيل دم يغلب سيل البطاح (٥)
 عن كل كشوان طويل المراح (٦)
 كأنه العذراء ذات الوشاح
 فرأى إلى ضم الكعاب الراداح (٧)

- (١) الرذايا : جف رذية ، وهي الناقة الضعيفة . النعم : الذل . المراح : مأوى المواشي .
 (٢) الراح : جمع الراحة ، وهي باطن الكف .
 (٣) الزوراء : بغداد ، ترّاح . تضرّبها الريح .
 (٤) العارض : المقصود به غبار الحرب .
 (٥) البيض : السيوف . البطاح : جمع بطحاء ، وهو ميل واسع فيه دقاق الحصى .
 (٦) البيضة : الخوذة من الحديد تستعمل لوقاية الرأس من الضرب .
 (٧) الراداح الأولى : الكتيفة الثقيلة الجراحة . الروع : هول الحرب . الراداح الثانية : المرأة الثقيلة الأوراك .

قوم رخصوا بالمعجز واستنجدوا

بالسيف ، يدمى غربته ، كأس راح

توارثوا الملك ، ولو أنجسوا

غطى رداء العز عورتهم

إنسي ، والشاتيم عرضي ، كمن

يطلب شأوي ، وهو مستيقن

فارم بعينيك ملياً ترى

وارق على ظلمك هيهات أن

لا هم قلبي بر كوب العلى

إن لم أنلها باشرط كما

تفكيره بالخلافة

قلق العدو وقد حظيت برتبة ،

تعالو على النظراء والامثال

لو كنت اقنع بالتقابة وحدها ،

لغضضت ، حين بلغتها ، آمالي

(١) الطلاح : الابل وقد ارهقها السير

(٢) ارق على ضللك : اي ارفق بنفسك

لكن لي نفساً تشوق الى التي
 ما بمد أعلاها مقام عال
 قالوا : حجرت على نداءك ، وطالما
 أرغمت فيه معاطيس العذال
 هيات قل الحامدوت ، وصار من
 أحبوه يحسدني على أموالني
 من لي بن تركز الصنائع عنده
 حتى أشاطره كرائم مالي ؟

تذمره من الزمان

حقيق بأن لا يهتك ، الدهر ، ثوبه ،
 على العار ، كأس من عجاج الملاجم
 وأين من الدهر استماع ظلامي ،
 اذا نظرت ايامه في المظالم ؟
 فهل نفعي ان يتضرر المجد عزمي
 على هذه العسايا ، والمال ظلمي ؟

أنا الأسد الماضي على كل فعلة
 تشي شقار البيض فوق الجماجم
 وفي مثلها ارضيت عن عزمي المنى ،
 وصافحت أطراف القنا والصوارم
 ولم أدري أن الدهر يخفض أهله ،
 اذا سكنت فيهم نفوس الضراغم
 وما العيش إلا قرحة ، إن هجرتها ،
 سطوت على الدنيا بسطوة حازم
 سأصبر حتى يعلم الصبر أنني
 ملكت به دفع الخطوب المواجهم
 وآخذ ثأري من زمان تعرضت
 مغارمه بين وبين المغانم
 وما نام إغضاء عن الدهر صارمي
 ولكنتي أبقى على غير راحم
 وإن أنا اهلك الزمان ، فما الذي
 يُصدع عزمي في صدور العظام؟

وفتية صدق من قريش إذا انبدوا
 أروك عطاء المال ضربة لازم
 إذا طردوا في معرك المجيد ، قصفوا
 رماح العطايا في صدور المكارم (١)
 وإن سحبوا خرواصهم لكرية ،
 تصدع صدر الأرض عن قلب واجم (٢)
 وثبت في عليا معد غصوم
 ثبات بنان في قلوب البراجم (٣)
 أيسمح لي هذا الزمان بصاحب
 طويل نجاد السيف من آل هانم ؟
 إذا أنا شيعت الحسام بكفه
 مضى عزم مشبوح الذراع ضيالم (٤)
 وإن ضافه الهمم النزيع رمى بها
 نزاع لا يعلفن غير الشكائم (٥)

(١) طرد الرجل خصمه : تغلب عليه . (٢) الخرمان : الرماح

(٣) البراجم : المفاصل الباطنة والظاهرة من الاصابع .

(٤) الضيالم : الرجل الجرمي على الاعداء .

(٥) النزيع : البعيد . النزاع : الحبل الغرائب نزع عن قوم آخرين . الشكائم : جمع

شكامة ، وهي اللجام .

واستُ بمستعصِفٍ سوى كلِّ خائضٍ
الى كلِّ بحرٍ بالقنا متلاطمٍ
أنامله في الحرب عشرَ أسنةٍ
ولكنها في الجودِ عشرُ غنائمٍ
طموحٌ اذا غضَّ الشجاعُ لحاظه ،
وأطرق عن برق الظُّيا كلَّ شائمٍ (١)
أعاذل ما سمعي للومك مرتعاً ،
اذا كان مصروفاً الى غير لائمٍ
أبتك عن ليلٍ تعسفتُ ممتنه
كأني أمشي في مُتون الاراقمِ (٢)
يُنجِّلُ لي أن النجوم ضمائرُ ،
تقلُّلُ فيه خشيةً من عزائي
لقيتُ ظلامَ الليل في لون مفريقي ،
وفارقتُهُ والصبحُ في لون صارمي

(١) الظُّيا : جمع ظبية وهي حد السيف .

(٢) الاراقم : اخبث الحيات .

أَجُوبُ أَجَامَ الْمَنَايَا ، وَأَسْدُهَا
 تَرَوُّعِي مِنْ بَيْنِهَا بِالْمَسَامِ
 وَيَنِي وَيِنِ الْقَوْمِ مِنْ آلِ يَعْرُبِ
 ضَغَائِنِ تَنَذِيرِي زَهِيدِ الْمَطَاعِمِ
 إِذَا مَا جَنُوتَا مِنْ مَالِ الْمَسْمُومِ ثَمَرَ الْعَلِي ،
 جَنِيْتُ الْعَالِي مِنْ غُصُونِ الْمَاهِزِمِ (١)
 أَغْرِي بَنِي فَهْرِ وَعِيدِ مَجَاشِعِ ،
 وَأَيُّ وَعِيدِ بَعْدَ وَقْعِ الصَّوَارِمِ ؟ (٢)
 أَيُّوعَدْنَا مِنْ عَطَلِ الْبَيْضِ وَالْقَنَسَا ،
 وَأَقْسَمِ لَا يَنْجُو بِفَيْرِ الْمَهْزَائِمِ
 عَشِيَّةَ خُضْنِنَا بِالضَّوَامِرِ لَيْلِهِمْ
 وَفِي كُلِّ جَفْنٍ مِنْهُمْ طَيْفٌ حَالِمِ
 تُرِيهِمْ صَدُوزَ السَّمَرِ بَيْنَ نَحُورِهِمْ ،
 فَمَا اسْتَيْقَظُوا إِلَّا بِقَرَعِ الْخَلَاقِمِ (٣)

(١) الماهِزِم : جمع لَهْزَم ، القاطع من الاسنة .

(٢) فَهْر : الجد الجامع لبني قريش . مَجَاشِع : من بني تميم .

(٣) السمر : الرماح .

كَأَنَّ الْكَرَى يَقْتَصُّ مِنْ طَوْلِ نَوْمِهِمْ ،
 فَيُسْهِرُهُ مِنْهُمْ بِالْقَنَا كُلِّ نَائِمٍ
 وَكُلِّ غُلَامٍ خَالِطِ الْبَاسِ قَلْبَهُ ،
 يُقَطِّعُ اقْرَانَ الْأُمُورِ الْغَوَاشِمِ (١)
 وَنَحْنُ دَلَفْنَا لِلْأَرَاقِمِ فَتِيَّةً
 يُضَيِّغُونَ أَطْرَافَ الْقَنَا فِي الْحَيَازِمِ
 أَتَلَمُّ مِنْ خَلْفِ الْمَجَاجِ ، كَأَنَّمَا
 تَطَالِعُهُمْ مِنْهَا عَيُونَ الْقَشَاعِمِ (٢)
 إِذَا اشْتَجَرَ الضَّرْبُ الدِّرَاكُ ، تَطَقَّتْ
 إِلَى الطَّعْنِ أَفْوَاهُ الذُّسُورِ الْحَوَائِمِ (٣)
 وَوَلَّوْا عَلَى الْخَيْلِ الْعِتَاقِ كَأَنَّهُمْ
 تَرَاوَحُوا نَحِيمِ الْعَارِضِ الْمَتَرَاكِمِ (٤)
 تَفِيضُ عَيُونَ الطَّعْنِ بِالْأَيْدِ مِنْهُمْ ،
 وَيَغْسِلُهَا فَيْضُ الْعَيُونِ السَّوَاكِمِ

(١) الاقتران : الخيال .

(٢) المجاج : الغبار . القشاعم : الذُّسُورُ الكبيرة في السن

(٣) اشتجر : اشتبك .

(٤) العارض : السحاب المعترض في السماء

لقاء والده

كان عضد الدولة بن بويه قد اعتقل والد الشريف
الرخي، وولعه، لأسباب سياسية، وبجنتها في جامعة فارس
سنة ٣٦٩ هـ (٧٧٩ م) بقي فيها حتى اطلق
سراحها شرف الدولة سنة ٣٧٦ هـ (٩٨٦ م)
فقال الشاعر يذكر اعتقال أبيه : وكيف التقى
به بعد خلاصه :

طُلوعٌ هدهدٍ لينا المغيبُ ، ويومٌ مُتَزَقٌ عنه الخطوبُ
لَقِيَتِكَ ، في صدره ، شاحِبًا
إليه تَمُجُّ النُّفُوسُ الصَّدُورُ ، وفيه تَهْنِي العيونُ القلوبُ
تَغَرَّبَتْ مُسْتَأْنَسًا بِالْبِعَادِ ، والليثُ في كل أرضٍ غريبُ
واحرزتَ صَبْرَكَ لِلنَّائِبَاتِ ، وللداءِ يومًا مُرَادُ الطَّيِّبِ
لَمَّا اللهُ دَهْرًا ارَانَا اللهُ يَارَ يَنْدُبُ فِيهَا الْبَعِيدَ الْقَرِيبِ
وما كان موتًا ، ولكنَّه فِرَاقٌ تُشَقُّ نَامِيهِ الْجُيُوبُ
لئن كنتَ لم تَسْتَرِبْ بِالزَّمَانِ ، فَقَدْ كَانَ مِنْ فَعْلِهِ مَا يُرِيبُ
رَمَى بِكَ ، وَالْأَمْرُ ذَاوِي النَّبَاتِ ، فَآلَ ، وَغَصَنُ الْمَعَالِي رَطِيبُ
ولما جذبتَ زِمَامَ الزَّمَانِ ، أَطَاعَ ، وَلَكِنْ عَصَاكَ الْحَبِيبُ
ولما اسْتَطَالَ عَلَيْكَ الْبِعَادُ وَذَلَّلَ فِيكَ الْمَطْيَ الْاَغُوبُ (١)

رجوت الأياب ، على أنه
رحلت ، وفي كل جفن دم ،
ولا نطق إلا ومن دونه
وأنت تعلمنا بالايا
كفيل طلوع البدور الغروب
عليك ، وفي كل قلب وجيب (١)
عزاء " تفور " ، ودمع ريب
ب ، والصبر مرتحل لا يؤوب
وسر العبدى فيك نقص العقول ،

وأعلم أن لا يسر الالميب
أما علم الحاسد المستغر
قدمت قدوم رفاق السحاب
فأضحك الدهر إلا إليك ،
حلفت بما ضمنت الحجون
لقد سرك الدهر في الغادرين ،
وأجلى رجوعك عن حاسد
تحرق منك قلوب العداة
وأجهل ذا الناس مستنمض
بعضد تضاءل فيه الذنوب
يك ، هذا قتيل ، وهذا سليم
غيظاً ، وانت ضحك قطوب (٢)
دعاء الى سمع من لا يجيب

(١) الوجيب : الخفقان .

(٢) المستغر : المغرور .

(٣) الحجون : جبل بمكة .

(٤) القطوب : العبوس .

زَعَانِفُ يُسْتَصْرَخُونَ عَلَى وَمَا اسْتَلَابَ الْعَزْ إِلَّا نُجَيْبُ (١)
وَطَالَ مُقَامُكَ فِي مَنْزِلٍ تَطْلُعُ مِنْ جَانِبِهِ الْحُرُوبُ
بِضَرْبٍ كَمَا اشْتَرَطَتْهُ السُّيُوفُ وَطَعَنَ كَمَا اقْتَرَحَتْهُ الْكُعُوبُ (٢)
وَنَجَلَ تَغْلَغَلَ فِيهَا الطِّعَا

نُ ، وَانْشَقَّ عَنْهَا النَّجِيعُ الصَّبِيبُ (٣)
وَصَحْبَةُ كُلِّ غَلَامٍ عَلَيْهِ مِنْ سَمَةِ الْعَزِّ ، مُحْسِنٌ وَطِيبٌ
إِذَا خَضِبَ الرَّمْحَ أَوْ مَا بِهِ كَانَ السِّنَانُ بَنَانٌ خَضِيبٌ
وَقَطَعَكَ كُلَّ بَعِيدِ النِّيَاطِ كَانَ الْجَوَادُ بِهِ مُسْتَرِيبٌ
وَارْحَنًا إِذَا مَا اجْتَلَاهَا الْمُهْجِيرُ طَلَّقَهَا مِنْ يَدَيْهِ الضَّرِيبُ (٤)
وَمَا زَالَ مِنْكَ عَلَى النَّائِبَاتِ مَقَامٌ عَظِيمٌ وَيَوْمٌ عَصِيبٌ
فِيَوْمٍ مُحَسَّمُكَ فِيهِ الْخَطِيبُ وَيَوْمٌ لِسَانُكَ فِيهِ الْخَطِيبُ
طَلَبْتَ لِنَفْسِكَ فَاطْلُبْ لَنَا مِنَ الْعَزِّ إِنَّ الْمَحَامِي طَلُوبُ
وَأَنْ كُنْتَ تَأْنِفُ مِنْ حُبِّهِ فَإِنَّ الْعِلَاءَ إِلَيْنَا حَمِيدُ

(١) الزعانف : الاوباش .

(٢) الكعوب : اي كعوب الرماح .

(٣) النجل : جمع نجلاء وهي الطعنة الواسعة الجرح . النجيع : الدم

(٤) اجتلاها : من اجتلاء العروس ، اخذها مجلوة . المهجير : شدة الحر . الضريب : الثاج

وما نحنُ أنت ، وكلُّ إلى
ونحن ، فسامٍ إلينا الشباب
على أنه انت عين الزمان
ولولاك ما لدَّ طعمُ الفخار
أترضى لاجدك أن لا يكون
فلا يُقعدنك كيدُ الخسود
وُحِث الطلابُ فأنّا نجيدُ
ولم لا يُعْصِفُ العلى من له

غدير معين ، ومرعى خصب^٢ ؟
خلق عجبٌ وخلق أديب
فطال وأوردق ذاك القضيبي
يُعبّرُ عنها الفؤاد الكثيب
ت ، أن تخطي إليها العيوب
راقك منها النظام العجيب
إذا جاءني الآمل المستشيب^٣
أحييالك ، مني عند اللقاء
وخلقتني غرس مستثمر
ذخرت لك الغرر السائرات
تصون مناقبك الشاردا
إذا نشرتها شفاه الرواة
وإني لأرجوك في النائبات

(١) ثوب : أي ثوب عنك .

(٢) غدير معين : أي غدير ماؤه جار .

(١) المستشيب : طالب الثواب أي الجزاء .

قادر ... وحليم

لغير العلى مني القلى والتجنب،

ولولا العلى ما كنت في الحب أرغب

إذا الله لم يعذرك فيما ترومه فما الناس إلا عاذل أو مؤنب (١)

ملكتم بحلمي فرصة ما استرقها

من الدهر، مفتول الذراعين أغاب (٢)

فإن تأت سنني ما تطاول بأعها

فلي من وراء المجد قاب مدرّب

فحسبي أتي في الاعادي مبغض

واني إلى غير المعالي محبيب

وللحلم أوقات، وللجهل مثلها ولكن أوقاتي إلى الحلم أقرب

يصول عليّ الجاهلون وأعتلي

ويعجم في القائلون وأعرب (٣)

يدرون احتالي غصة، ويزيدهم

لواعج ضغن اني است اغضب

(١) يعذرك : ينصرك

(٢) استرقها : ملكها

(٣) يعجم : يوزم القول .

وأعرض عن كأس النديم كأنها
وميض غمام، غائر المزن، خلَّب
وقود، فلا الاطمان تأسر عزمي
ولا تمكر الصهباء بي حين أنسب
ولا اعرف الفحشاء الا بوصفها
ولا أنطق العوراء، والقلب مغضب (١)
تحملم عن كبر القوارص شيمتي
كأن مُعيدَ الدم بالمدح مُطنب (٢)
اساني حصاة يُقرع الجهل بالحجى
إذا نال مني العاضه المتوثب (٣)
ولست براضي ان تمس عزائي
فضالات ما يُعطي الزمان ويساب

(١) العوراء : الكلمة القبيحة .

(٢) تحلم : تتكافى الحلم . القوارص من الكلام : التي تنص وتؤلم .

(٣) الحصاة : الرزاقه . العاضه : الكاذب الذي يجيء بالزور والبهتان . المتوثب : المعتدي

لسان الطعنة

عندما قبض علي والد الشريف ، وحيي
به الى عتيد الدواة ، ثم حل الى قلعة فارس ،
قال له الوزير المظفر بن عبد الله ساخرًا ،
شامتًا : كم تدل علينا بالعظام النخرة ! فبلغ
ذلك الرمني فثارت ثائوته ، فقال من قسيده يرد
عليه بها ، وسنه يومئذ فوق العشرة بقايل :

ينالُ الفتى من دهره قدرَ نفسه

وتأتي علي قدر الرجال المكاييدُ

فدى لك يا مجدَّ المعالي وبأسها

فمالُ جبانٍ شجعتَه الحقائقُ

مُعزات ولكن ما مُعزات عن الندي

وجودك في جيد المعلى لك شاهد

بوجهك ماء العز في العزل ذائبٌ

ووجه الذي ولي من الماء جامد

فلا يفرح الاعداءُ ، فالعزل معرضٌ

إذا راح عنه صادرٌ جاء وارد

وما كنت الا السيفَ يتضى ذبابه

ولا ينصبر العلياء من لا يجالد (١)

نُفِى فَقَضَى حَقَّ الضَّرَائِبِ فِي الْوَعَى

وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ ، حِينَ رُدَّ ، الْمَغَامِدُ (١)

فَأَعْطَوْا عَنَانَ الضَّرِّ غَيْرَكَ إِذْ رَأَوْا

يَمِينَكَ تَسْتَوِي عَلَيْهَا الْقَوَائِدُ

وَمَا كُنْتَ يَوْمًا ، فِي الزَّمَانِ ، بِمُسِيكِ

عُرَى الْمَالِ إِنْ ضَجَّتْ إِلَيْكَ الْمَوَاعِدُ

وَلَا كُنْتَ تَرْضَى إِنْ تَصْبِحَ بَيْلِدَةً

إِذَا قِيلَ عُضْوٌ مِنْ زَمَانِكَ فَاسِدٌ

أَيَا غَدَوَةَ سَاءَ الْحُسَيْنِ صَبَاحُهَا

وَسَرَّ الْعِدَى فِيهَا الزَّمَانُ الْمَعَانِدُ (٢)

لَحَقَّتْ عِنْدِي أَنْ كُلَّ صَبِيحَةٍ

مُجَاجَةٍ سَمٍّ ، وَاللَّيَالِي أَسَاوِدُ (٣)

يَعْرِفُكَ الْإِخْوَانُ كُلُّ بِنَفْسِهِ

وَخَيْرُ أَخٍ مِنْ عَرَفْتِكَ الشَّدَائِدُ

(١) نَفَى السَّيْفُ : سَلَّ مِنْ غَمْدِهِ .

(٢) الْحُسَيْنُ وَالِدُ الشَّرِيفِ

(٣) الْمُجَاجَةُ : مَا يُلْقَى مِنَ الْفَقْمِ ، الْأَسَاوِدُ : الْحَبَاتُ .

وطاغٍ يعير البغيَّ غربَ لسانه

وليس له عن جانب الدين ذائد (١)

شئتَ عليه الحق حتى رددته

صموتاً، وفي انيابه القولُ عاضدٌ

يُدِلُّ بغير الله عضدًا وناصراً

وناصرُكُ الرحمنُ، والمجدُ عاضدٌ

يعير ربَّ الخير بالي عظامه

ألا نزهت تلك العظامُ البوائد

ولو كان بين الفاطميين وفرفت

عليه العوالي والظُّبَا والسواعد !

كروم الشباب

سرف القادر بالله الشريف عن نقابة الطالبين
عندما جمع هذه القصيدة :

مَقُولٌ صَارِمٌ ، وَأَنْفٌ حَمِيٌّ
كَمَا رَاغَ طَائِرٌ وَحْشِيٌّ (١)
مُغْلَامٌ فِي غَمْدِهِ الْمَشْرِفِيُّ
وَبَصْرَ الْخَلِيفَةِ الْعَمَاوِيٍّ
إِذَا ضَامَنِي الْبَعِيدُ الْقَصِيَّ (٢)
جَمِيعاً مُحَمَّدٌ ، وَعَلِيٌّ
وَأَوَامِي بِذَلِكَ الْمُسْقَعِ رِيَّ (٣)
لَا نِطْلَاقِي ، وَقَدْ يُضَامُّ الْإِبْيُ
فِي طَلَابِ الْعُلَى ، وَحِطِّي بَطِيٍّ
فَقُصُوراً ، وَلَمْ تَعَزَّ الْمَطِيَّ
عَذِيرِي قَدْ ، وَرَعِي وَهْيِي (٤)
أَقْرَمَ مِنْ خَلْفِهِ النَّهَارُ الْمُضِيَّ

مَا مُقَامِي عَلَى الْهَوَانِ ، وَعَنْدِي
وَأَبَاءُ مُخَلَّقٌ بِي عَنِ الضَّمِيمِ
أَيُّ مُعْذِرٍ لَهُ إِلَى الْمَجْدِ ، إِنْ ذَلَّ
أَلْبَسَ الذَّلَّ فِي دِيَارِ الْأَعَادِي
مَنْ أَبَوْهُ أَبِي ، وَمَوْلَاهُ مَوْلَايَ
لَفَّ عِرْقِي بِعِرْقِهِ سَيِّدُ النَّاسِ
إِنْ ذَلَّ بِي بِذَلِكَ الْجَوْ غَزَّ
قَدْ يَذَلُّ الْعَزِيزُ مَا لَمْ يُشْمَرْ
إِنْ شَرَّ أَعْلَى إِسْرَاعِ عَزْمِي
أُرْتَضِي بِالْأَذَى ، وَلَمْ يَقِفِ الْعَزَمُ
تَارِكاً أُسْرَتِي رُجُوعاً إِلَى حَيْثُ
كَالَّذِي يُخْبِطُ الظَّلَامَ ، وَقَدْ

(١) راغ : نفر

(٢) أبوه : أي جده الرسول . موله : أي الامام علي ،

(٣) الاوام : حر العيش

(٤) القد : السوط . الوي : الكثير الوباء

خصام الاخوين

وفعت بين الرضوي واخيه المرتضى وحشة ،
فتقاطعا وقتاً ، فقال الشاعر يشكو ويعاتب اخاه

أتاني ، ومطشول من النأي بيننا
قوارص تنبؤ بالجفون عن الغمض
ومولى ورى قلبي بلذعة ميسم
من الكلم العوراء ، مضاعلي مض
فمذراً لأعدائي ، اذا كان اقربني
يشذب من عودي ويعرق من نحضي
اذا ما رمى عرضي القريب بسهمه
عذرت بعيد القوم إما رمى عرضي
ألم يأتيه اني تفردت ، بعده
روابي للعلاء جاش لها نهضي
وأني جعلت الأنف ، من كل حاسد
قبالي ، وخدي كل مضطرب من أرضي
وكم من مقام ، دون مجدك ، قمته
علي زلق بين النوائب ، او دحض

وقارعتُ مَنْ أَعْيَاكَ قَبْلَ قِرَاعِهِ

فدَا مَجْنِي بَعْدَ التَّشَاوُرِ وَالْبُعْضِ (١)

لَقَدْ أَمَسْتَ الْأَرْحَامُ مَنَا عَلَى شَفَا

فَأَخْلَقَ بِمُشَفٍّ لَا يُعْلَلُ ، إِنْ يَقْضِي

رَأَيْتُ مُخَيَّلَاتِ الْمُتَقَوِّقِ مُلِيحَةً ،

فَلَا تَجْعَلَنَّ بَرْقَ الْأَذَى صَادِقَ الْوَمَضِ (٢)

وَلَا تُشْمِتَنَّ مَنْ وَدَّ لَوْ أَنَّا مَعَا

شَجِيحَانِ ، تَلَطُّبِنَا الْجَنَادِلُ بِالْأَرْضِ (٣)

إِذَا كُنْتُ أَغْضِي ، وَالْقَوَارِعِ جَمَّةً

فَمَثَلُكَ أَوْلَى أَنْ يُرْمَ وَإِنْ يُغْضِي (٤)

عَلَى مُغْصَصٍ لَوْ كُنَّ فِي الْبَدْرِ لَمْ يُنَرِ

وَفِي الْعُودِ لَمْ يُورِقْ ، وَفِي السَّهْمِ لَمْ يَمْضِ

رَزِئْتُكَ حَيًّا بِالْقَطِيعَةِ وَالْقَلْبِ

وَبَعْضُ الرِّزَايَا قَبْلَ يَوْمِ الْفَقَى الْمُقْضَى

(١) دَا مَجْنِي : وَافَقَنِي .

(٢) الْمُخَيَّلَاتُ : السَّحَبُ الْمُتَمَيِّزَةُ لِلْهَطَرِ .

(٣) شَجِيحَانِ : مَكْسُورُ الرَّاسَيْنِ . تَلَطُّبِنَا : تَمَقَّلْنَا .

(٤) الْقَوَارِعُ : قَوَارِصُ الْإِسَانِ .

أثاديكَ فارِجَ من قَريبٍ ، فأنني
إذا ضاقَ بي ذرعي ، مضيتُ كما تمضي

* *

تهضني من لا يكونَ لغيره
من الناس ، إضراقي على الهونِ أو غَضِي

أفوقَ كَنيلِ القولِ بيني وبينه
فيؤلاني ، من قبلِ نزعِي بها . عَرَضِي

وأرجعَ لم أولِغِ لسانِي في دمي
ولم أدمَ أعضائي بنَهْشي ولا عَضِي (١)
إذا اضطَرَمَت ما بينَ جنبي غَضِبَةٌ

وكادَ فمي يُمضي من القولِ ما يُمضي
شَفَعْتُ على نفسي بنَفْسي فكفَفت
من الغيظِ واستعطفتُ بعَضِي على بعَضِي

(١) أولِغِ لسانه : أدخله في الدم ليشرب منه .

دمعة الاخلاص

اجتاز الشريف بقبر ابي اسحق الصافي ، وهو
بالجنينة من نهر كرخايا بفساد ، في الشهر الذي
مات فيه ، فبكى دمعة حارة على ذلك القبر ، وهذا
يدل على اخلاص الشريف في صداقته تلك الصداقة التي
تغابت حتى على الموت .

أَيْعَلُمُ قَبْرُ الْجَنِينَةِ أَنَّنَا أَقَمْنَا بِهِ نَعْسَى النَّسْدَى وَالْمَعَالِيَا؟
عَطَفْنَا فَحْيَيْنَا مَسَاعِيَهُ ، أَنَهَا

عِظَامُ الْمَسَاعِي ، لِمَ الْعِظَامُ الْبَوَالِيَا (١)
مَرَرْنَا بِهِ ، فَاسْتَوْقَفْتَنَا رُسُومُهُ

كَأَسْتَوْقَفَ الرُّوضُ الظُّيَاءَ الْجَوَازِيَا (٢)
وَمَا لَاحَ ذَاكَ التَّرْبُ حَتَّى تَحَلَّيْتِ

مِنَ الدَّمْعِ أَوْشَالٌ مَلَأْنَ الْمَآقِيَا (٣)
نَرَانَا إِلَيْهِ عَنِ ظُهُورِ جِيَادِنَا

نَكَفَكَفَ بِالْأَيْدِي الدَّمُوعَ الْجَوَارِيَا
وَلَمَّا تَجَاهَشْنَا الْبُكَاءَ وَلَمْ نُنْقِ

عَنِ الْوَجْدِ إِقْلَاعًا ، عَذَرْنَا الْبَوَاكِيَا

(١) المساعي : اكتساب المعالي .

(٢) الجوازي : الظباء التي تجترى ، بأكل العشب عن الماء .

(٣) الاوشال : المياه القليلة .

أقولُ لِرَكِبٍ رَائِحِينَ : تَعَرَّجُوا
أُرِيكُمْ بِهِ فِرْعَاً مِنَ الْمَجْدِ ذَاوِيَا (١)
أَيُّهُوَ عَلَيْهِ عَاقِرِينَ ، فَانْتَنَّا
إِذَا لَمْ نُجِدْ عَقْرًا ، عَقَرْنَا الْقَوَافِيَا (٢)
وَحَطَّوْا بِهِ رَجُلَ الْمَكَارِمِ وَالْعُلَى
وَكَبُّوا الْخِفَانِ عِنْدَهُ ، وَالْمَقَارِيَا (٣)
وَلَوْ أَنْصَفُوا شَقُّوْا عَلَيْهِ ضَمَائِرًا
وَجَزُّوا رِقَابًا بِالظُّبَى لَا نَوَاصِيَا
وَقَفْنَا فَأَرَخَصْنَا الدَّمْعَ ، وَرَبَّيَا تَكُونُ عَلَى سَوْمِ الْغَرَامِ غَوَالِيَا
أَلَا أَيُّهَا الْقَبْرِ الَّذِي ضَمَّ لِحْدَهُ
قَضِيْبًا ، عَلَى هَامِ النُّوَابِ ، مَاضِيَا (٤)
هَلْ ابْنُ هَلَالٍ مِنْذُ أَوْدَى كَعْبِدْنَا
هَلَالًا ، عَلَى ضَوْءِ الْمَطَالِعِ ، بَاقِيَا؟ (٥)

(١) تَعَرَّجُوا : مِيلُوا وَاجْبَسُوا الْمَطَالِبَا .

(٢) الْعَقْرُ : نَحْرُ الْإِبِلِ عَلَى قُبُورِ الْمَوْتَى فِي الْجَاهِلِيَّةِ .

(٣) الْمَقَارِي : الْقُدُورُ

(٤) قَضِيْبًا : سَيْفًا .

(٥) هَلَالٍ : وَالِدُ الْمَيْتِ .

وتلك البسنانُ المورقاتُ من المدي

تواضبُ ماءً ، أم بواقٍ كما هيا ؟

فان يدل من ذاك اللسان مضاوّه

مُجيبُ الدواعي جائداً ومُدافِعاً ،

هناك مُرمٍ لا يُجيب الدواعيا (١)

وما كنتُ أبى طولَ لبثٍ بقبره

لو أني اذا استمديتُهُ ، كان عاديا

صفائحُ تستسقي الدموع روائحاً

على جانبيها ، والغمام غواديا (٢)

ترى الكلام الغرَّان من بعد موته

نوافيرَ عَمَن رامهنَّ نواثيا (٣)

هو الخاضبُ الاقلامَ نال بها على

مُميدُ ضرابٍ باللسانِ ، لو أنه

بيومٍ ونغى ، قلَّ الجرازُ اليانبا (٤)

(١) مرم : ساكت .

(٢) الصفائح : الحجارة العراض .

(٣) الغرَّان : جمع الأغر ، وهو شريف الكلام وجيله .

(٤) الجراز : السيف .

مَرِيرُ الْقَوَى نَالِ الْمَعَالِي وَاثْبًا إِذَا غِيَرَهُ نَالِ الْمَعَالِي حَايَا
مَضَى لَمْ يُبَاحِ عَنْهُ قَلْبٌ مُشْتَبِعٌ

إِذَا هُمْ ، لَمْ يَرْجِعْ عَنْ الْهَمِّ نَابِيَا (١)
وَلَا الْمُسْنَدُوهُ بِالْكَفِّ إِلَى الْحَشَا

عَلَى جَزَعٍ ، وَالتَّفَرُّشُ شَوْهُ التَّرَاقِيَا
وَلَا رَدًّا فِي صَدْرِ الْمَنُونِ بِرَاحَةٍ يَرُدُّ بِهَا سُمْرَ الْقَنَا وَالْمَوَاضِيَا
خَلَا بَعْدَكَ الْوَادِي الَّذِي كُنْتَ أَنْسَهُ

وَأَعْبَحَ تَعَرُّوهُ النَّوَائِبُ وَادِيَا
أَرْحَمَ عَلَيْهِ ثَلَاثَةُ الْوَجْدِ تَرْتَمِي ضَمَائِرُنَا إِيَّاهَا وَاللَّيَالِيَا (٢)
رَضِيَتْ بِجُحُكُمُ الدَّهْرَ فَيْكَ ضُرُورَةً

وَمَنْ ذَا الَّذِي يَغْدُو ، بِمَا سَاءَ ، رَاضِيَا ؟
وَطَاوَعْتُ مَنْ رَامَ انْتِزَاعَكَ مِنْ يَدِي

وَلَوْ أَجِدُ الْإِعْوَانَ ، أَصْبَحْتُ عَاصِيَا
وَلَوْلَاكَ ، كَانِ الصَّبْرُ مِنَّا سَجِيَّةً

مُتَرَاتِمًا ، وَرِثَانَهُ الْجُدُودَ الْأَوَالِيَا

(١) مُشْتَبِعٌ : شَجَاعٌ .

(٢) أَرَاكَ الْإِبِلَ وَالْغَنَمَ : رَدَّهَا إِلَى الْمَرَاحِ . ثَلَاثَةٌ بِالْفَتْحِ : قَطْلِعُ الْغَنَمِ

تظامنت^١ کیا یعبّر الخطب^٢ جانی

فألقي على ظهري ، وجرّ زماميا^(١)

ملأت بحياك البلاد مساعيا^٣ ويملاء مشواك البلاد مناعيا^٤
كما عمّ عالي ذكرك الخلق كله^٥ كذاك أقمت العالمين نواعيا^٦
رثيتك كي اسلوك^٧ ، فازددت لوعة^٨

لا أن^٩ المراثي لا تسد^{١٠} المرازيا^(٢)

وأعلم أن ليس البكاء^{١١} بنافع^{١٢}
عليك^{١٣} ، ولكسني أمني^{١٤} الأمانيا^{١٥}

رثاء الصاحب بن عباد

أكذا المنون^{١٦} تقطر الأبطال^{١٧} أكذا الزمان^{١٨} يضعضع^{١٩} الأجيالا^{٢٠}
أكذا تصاب^{٢١} الأسد^{٢٢} وهي مدلة^{٢٣}

تحمي^{٢٤} الشبول^{٢٥} وتمنع^{٢٦} الأغيالا^(٣) !

كذا^{٢٧} تقام^{٢٨} عن الفرائس^{٢٩} ، بعدما^{٣٠} ملأت^{٣١} هاهما^{٣٢} هاهما^{٣٣} الوردى^{٣٤} أو جالا^{٣٥} !
أكذا^{٣٦} تحط^{٣٧} الزاهرات^{٣٨} عن^{٣٩} العلى^{٤٠}

من بعدما^{٤١} شأت^{٤٢} العيون^{٤٣} منالا^{٤٤} !

(١) تظامنت : الخيت . (٢) المرازىء : المسائب :

(٣) الأغيال : جمع الغيل ، وهو عرين الأسد .

اكْذَابُ تَكْبُ الْبُزْلِ وَهِيَ مَصَاعِبٌ^١

تطوي البعيد ، وتحملُ الاثقالا ! (١)

اكْذَابُ تَغَاضُ الزَّاهِرَاتُ وَقَدْ طَغَتْ

أَجْجَا ، وَأُورِدَتِ الظِّمَاءُ زُلَالَا !

يَا طَالِبَ الْمَعْرُوفِ ، حَلِّقْ نَجْمَهُ !

حُطَّ الْحُمُولُ ، وَعَظِلَ الْأَجْمَالَا !

وَأَقِمَّ عَلَى يَأْسٍ ، فَقَدْ ذَهَبَ الَّذِي

كَانَ الْإِثْمُ ، عَلَى نَدَاهُ ، عِيَالَا !

مَنْ كَانَ يَقْرِي الْجَهْلَ عِلْمًا ثَقِيبًا^٢ وَالنَّقْصَ فَضْلًا ، وَالرَّجَاءَ نَوَالَا

وَيُجِبُّ الشُّجْعَانَ دُونَ لِقَائِهِ

يَوْمَ الْوَعَى ، وَيُشْجِعُ السُّؤَالَا

خَلَعَ الرَّدَى ذَاكَ الرِّدَاءَ نَفَاسَةً^٣

عَنَّا ، وَقَلَّصَ ذَلِكَ السِّرَّ بِالَا ! (٢)

خَبْرٌ تَمَخَّضَ بِالْأَحْبَةِ ذِكْرَهُ

قَبْلَ الْيَقِينِ ، وَأَسْلَفَ الْبَلْبَالَا

(١) البزل : الابل التي اتمت التاسعة . المصاعب : الفحول التي صعب تدليلها

(٢) نفاسة : اي ضنا به لانه يجدنا اهلا له .

حتى اذا جَلَسَ الظُّنُونُ يَقِينُهُ

صدع القلوب ، واسقط الأحمال ! (١)

الشكُّ أبردُ في الحشا في مثله يا ليت شكِّي دام فيه وطالا !
جبلٌ تسنمت البلادُ هضابَه حتى اذا ملأ الأقاليم زالا !
يا طودُ ، كيف ، وأنت عاديُّ الذُرَى

ألقي بجانبك الردى زلزالا ! (٢)

ان قطع الآمال منك ، فانه من بعد يومك قطع الاءُمّالا
ما كنت أوّل كوكب ترك الدنا

وسما الي مُنظرائه ، فتعالى !

أنفًا من الدنيا بتت جبالها

ونزعت عنك قميصها الأسهالا (٣)

لا رزء أعظم من مُصائبك ، انه

وصل الدموع وقطع الاوصالا !

يا أمر الأقدار ، كيف أطعتها او ما وقاك جلالك الآجالا ؟

(١) الأحمال : اي الاجنة ، جمع جنين .

(٢) المادى : القديم .

(٣) بتت : قطعت .

كيف اغتفقت ، ففاجأتك بغيرة

أو أيس كنت المخلط المزجلا ؟

ولهذه القصيدة تمة أيضا

مدح الطائع

من قصيدة في مدح الطائع لله سنة

٣٨٠ هـ (٩٩٠ م) .

لله ثم لك المعلى الأعظم واليك ينتسب العلاء الاقدم

ولك التراث من النبي محمد

والبيت ، والحجر العظيم ، وزمزم

تمضي الملوك ، وأنت طود ثابت

ينجاب عنك متوج ومعمم

ما ذاك إلا أن غرباك منهم

أمضى ، وإن علو مجدك أعظم (١)

إن الخلافة ، مذ تهضت بعبثها

هدأ الضمير بها ، وثام النوم

لله أي مقام دين مقلته والأمر من دون القضية مبهم

فكأنما كنت النبي مُناجزاً بالقول ، أو بلسانه تتكلمُ
أيام طلقها المطيع ، وأوحشت

مذ زال عن ذا الغابِ ذاك الضيفمُ (١)

فيضي ، وأعقب بعده متيقظاً

سجلاًهُ بُوسى في الرجال ، وأنعمُ (٢)

كالغيث ، يخلفه الربيع ، وبعضهم

كالنار ، يخلفها الرمادُ المظلمُ

لا تهتدي نوب الزمان لدولة

الله فيها ، والنبيُّ ، وانتُم

شرفاً بني العباس مدَّ رواقه وعلى تساندها القنا والانجم

في فتية ركبوا العلى من هانم

يرمون أقطار العدو كما رُموا

يجري الحياء الغضُّ في قسائمهم

في حين يجري في أكفهم الدمُ (٣)

(١) المطيع : أي الخليفة المطيع لله .

(٢) سجلاًهُ : أي عطيتاه .

(٣) قسائمهم : وجوههم .

وَإِذَا غَضِبْتَ ، فَأَنْتَ أَنْتَ شَجَاعَةٌ

تُتَوَفَّى عَلَى غَضَبِ الرَّدَى ، وَهُمْ هُمُ !

بِحِمَائِلِ الْمَلِكِ الْجَلِيلِ مَقْلَدٌ وَبِخَاتَمِ النَّبَا الْعَظِيمِ مُخْتَمٌ
وَعَظُمْتَ قَدْرًا أَنْ يَرُوقَكَ مَغْنَمٌ

أَوْ أَنْ يُصْرَّ عَلَى بَنَانِكَ دِرْهَمٌ

هِيَ رَاحَةٌ مَا تَسْتَفِيقُ مِنَ النَّدَى

أَبَدَ الزَّمَانِ ، وَبَدْرَةٌ لَا تُتَخْتَمُ (١)

مَلِكٌ تَلَاعَبُ بِالْهَوَى عَزَمَاتُهُ بَعْدًا بِهِ عَمَّا يَقُولُ الْاَوَّامُ

عَالٍ عَلَى نَظَرِ الزَّمَانِ مُبَرَّأً مِمَّا يَمُنُّ بِهِ الزَّمَانُ وَيَسْلِمُ

يَبْنَا يُضِيءُ عَلَى الظَّلَامِ ، فَيَنْجَلِي

حَتَّى يُغَيِّرُ عَلَى الضِّيَاءِ فَيُظْلِمُ

النَّفْعَ وَالْإِضْرَارَ فَعَلَّ لِسَانُهُ

لِيرَاشِ عَافٍ ، أَوْ يُضْعِضَ مُجْرِمَ (٢)

وَيُرُوحُ عَنْهُ وَلِيَهُ وَعَدُوُّهُ هَذَا يَزِيدُ غِنًى ، وَهَذَا يُعَدِمُ

(١) البدره : كيس من المال .

(٢) يرأس : ينال خيراً . العافي : طالب المعروف .

فَعَلَى الْمَقَارِبِ مُطْلَعٌ مُتَبَلِّجٌ
وَعَلَى الْمَجَانِبِ عَارِضٌ مُتَجَسِّمٌ
فِي كُلِّ يَوْمٍ خَالِعٌ مُتَأَخِّرٌ

يَرْدَى ، وَجَدٌ غَالِبٌ مُتَقَدِّمٌ (١)
وَقُتُوحٌ أَمْصَارٌ تَرُوحُ وَتَقْتَدِي
لَوْلَاكَ لَمْ يَكُ مِثْلُهَا مَا يُرْتَقَى
عُلُوءٌ ، وَلَمْ يَكُ مِثْلُهَا مَا يُغْنَمُ

مدح القادر

من قصيدة مدح بها الخليفة القادر سنة ٥٥٣٨ هـ

أَمِنْ الْخُدُوجِ تَنْتَهِنُ الْأَنْزِيقُ
وَالرَّكَبُ يُطْفَو فِي السَّرَابِ وَيَغْرَقُ ؟ (٢)
يَقْطَعْنَ أَعْرَاضَ الْعَقِيقِ ، فَشُئْمُ
يَجْدُو رَكَائِبَهُ الْغَرَامُ ، وَتُعْرِقُ
أَبْقُوا أَسِيرًا بَعْدَهُمْ ، لَا يُفْتَدَى
مِمَّا يُجِنُّ وَطَالِبًا لَا يُلْحَقُ (٣)
يَهْفُو الْوَلُوعُ بِهِ ، فَيَطْرِفُ طَرْفَهُ
وَيَزِيدُ جَوْلَانُ الدَّمُوعِ فَيُطْرِقُ

(٢) الخالِع : الخارج من طاعة سلطانه . يَرْدَى : يهلك . الجَد : الحظ .

(١) الخُدُوج : الهوارج .

(٢) يجن : يخفي في قلبه .

ووراءَ ذاكِ الحِدرِ عارضُ مُزنَةٍ
لا نافعٌ ظمًا ، ولا مُتأَلِّقُ (١)
وَمُحَجَّبٌ ، فاذا بدا ، من نُوره
للركبِ مُلتَهَبٌ المَطالِعِ مُوَرِّقُ
خروا على شُعَبِ الرِّحالِ وأسندوا
أيدي الطعانِ الى قلوبِ تَخُفُّقِ
هل عهدُنا بعدَ التفرُّقِ راجعُ
او غصنُنا بعدَ التسلُّبِ مورِقُ ؟ (٢)
شوقٌ اقامَ وانتِ غيرُ مُقيمةٍ
والشوقُ بالكلفِ المُعْنَى أعلقُ
ما كنتُ أُحظى بالدُّنوِّ فكيفَ بي
واليومَ نحنُ مُغْرَبٌ ومُشْرِقُ ؟

* *

وَمُطَلِّحِينَ لَهُمْ بِكُلِّ ثَنِيَّةٍ
مُلَقًى وَسَادَتُهُ الثَّرَى وَالْمِرْفَقُ

(١) العارض : السحاب . المزنه : المطر .

(٢) التسلب : الحداث على الميت

مدحه الملك شرف الدولة

من قصيدة يمدح الملك شرف الدولة بن عضد
الدولة البويهى ، عند دخوله بغداد سنة ٣٧٦ هـ
(٩٨٦ م) بعد انتصاره على أخيه صاحب
الدولة ، ويشكره على إطلاق أبيه من القاعة :

أحظى الملوك ، من الأيام والدول
من لا ينادم غير البيض والأسل
وأشرف الناس مشغول بهمة
مدفع بين أطراف القنا الذبل
تطفئ على قضب الأبطال نخوته
وقائم السيف مندوب إلى القل (١)

* *

إيه لقد أسر الدنيا ، بنجده
أبو الفوارس ، والاقدام للبطل
ماض على الهول ، طلاع بغرته
على الحوادث ، مقدم على الأجل

(١) القضب : السيوف . القل : أعالي الرؤوس .

هَضَّيْتُ ، يَا مَلِكَ الْأَمْلاكِ ، مَنْزِلَةَ
رَدَّتْ عَلَيْكَ بِهَاءَ الْأَعْصَرِ الْأَوَّلِ
دَعَاكَ رَبُّ الْعَالِي دِينَ مِلَّتِهِ
وَمَلَّةٌ ، أَنْتَ فِيهَا ، أَعْظَمُ الْمَلَلِ !
صَدَمْتَ بَعْدَادَ وَالْأَيَّامُ غَافِلَةٌ
كَالسَّيْلِ يَا نَفَّاسُ أَنْ يَأْتِيَ عَلَيَّ مَهْلٌ
بِكُلِّ أَتْلَجٍ مَعْرُوفٍ بِطَاعَتِهِ إِذَا تَنَاسَرَ لَيْلُ الْحَادِثِ الْجَلَلِ
يَا قَائِدَ الْخَيْلِ ، إِنْ كَانَ السَّيَّانُ فَمَا
فَأَنْ رَحِمَكَ مُشْتَاقٌ إِلَى الْقُبُلِ
وَكَمْ مَدَدْتَ عَلَى الْأَقْرَانِ مِنْ رَهْجٍ
فِي لَيْلَةٍ تَغْدُرُ الْأَحْظَاظُ بِالْمُفْضِلِ (١)
وَمُسْتَفِرِّينَ ، مَا زَالَتْ قُلُوبُهُمْ
تَبْدُدُ الرَّأْيَ بَيْنَ الرِّيْثِ وَالْمَجَلِ
حَتَّى أَخَذَتْ عَلَيْهِمْ حَتَفَ أَنْفُسِهِمْ
فَأُظْلِمُوا بِبُرُوقِ الْعَارِضِ الْمَهْطِلِ

راموا مقاهك ، فازورت عيونهم

ما كل لحظ إلى الآفاق من قبل (١)

لله زهرة ملك قام حارسها وليس يعلم أن الشمس في الحمل

لا تأسف من الدنيا على سلف

فآخر الشهد فينا أعذب المسيل

ولا تبالي بفعل ، ان تهتم به

ولو رمى بك بين المذر والمدل

لا تمشين إلى أمر تعاب به فقلبا تظن الأيام بالزلال

لله ، أي فتي أمت لبانتة

رذيلة بين أيدي العيس والسبيل (٢)

لا يفسد الحب رأيا كان أصلحه

إذا الفتى طرد الآراء بالفزل

راك أشرف ممدوح لممدوح

وخير من شرعت فيه يد الأمل

(١) الآفاق : مجازي الدمع

(٢) البانة الحاجة .

فجاء نحوك لا يلاوي علي أحد

إنَّ المقيمَ عن النزاحِ في شغلٍ

وليس يأتلفُ الاحسانَ في ملكٍ حتى يؤلّفَ بين القول والعملِ

فما أملُّ مديهاً ، أنت سامعُه

وعاشقُ العزِّ لا يؤتى من المسائلِ

ما عُذرٌ مثلي في نقصِ وقولاته

أبي الوصي ، وجدِّي خاتمُ الرُّسلِ

هذا ابي ، والذي أرجو النجاحَ به

أدعوهُ منك طليقَ الهمِّ والوجَلِ

لولاك ، ما انفسحت في المديشِ همتهُ

ولا أقرَّ عُيونَ الخيلِ والنحوكِ (١)

غزل وعب الحجازيات

ليالي منى

من مُعِيدٍ لِي أَيَّامٍ	مي بجزع السمرات (١)
وليالي مجسم	ومنى والجمرات (٢)
وظباء حاليات	كظبياء عماطيات
رائصات في جلاليه	ب الدجى مختمرات (٣)
راميات بالعيون	نجل قبل الحصيات
ألعقر القاب راحت	ام لعقر البدنات ؟ (٤)
كيف اودعت فؤادي	أعيننا غير ثقات !
أيها القانص ، ما أح	سنت صيد الظبيات
فاتك السرب ، وما زو	دت غير الحشرات
يا ووقوفاً ما وقفنا	في ظلال السكيمات (٥)

(١) الجزع : منطف الوادي . السمرات : شجر الطاح ،

(٢) جمع المزدلفة ، موضع بين عرفات ومنى . منى : موضع بمكة . الجمرات :

الحجارة التي يرمي بها الحجاج ابليس .

(٣) مختمرات : لابسات الخمار ، والخمار ما تلبسه المرأة على وجهها بغية التستر

(٤) البدنات : جمع بدنة بالتحريك ، وهي الابل والبقر

(٥) الساطات : نوع من الشجر مفودها سداة

موقفنا يجمع فتيا	ن الهوى والفتيات
نتشاكى ما عنانا	بكلام العبرات
نظره يشغل منا	كل عين بقذاة
كم نأى بالنفوس عنا	من غزال ومهابة
آه من جيد الى الدا	ر كثير الافتات
وغرام غير ماض	بلقاء غير آت
فسقى بطن منى والا	خفيف صوب الغاديات (١)
وزمانا نائم العذ	ال مأمون الوشاة
في ليال كالآلي	بالغواني مقمرات
غرس عندي غرس الا	شوق مرور الجنة (٢)
أين راق لغرامى	وطبيب شكاتي (٣)

لوحة الفراق

يا قلب جدد كمدنا فوعد البين نعدنا
لم أر فرقا ، بعدهم بين الفراق والردى

(١) الحبيب : غرة بيضاء في الجبل الاسود الذي خلف ابي قيس بمكة ، وبها سمي مسجد الحبيب .

(٢) : مرور الجنة : اي مر الجنى

(٣) الرافى : راته - اي صنع له تعويذة تقيه امراض الحب والهوى

يا زفرةً هيَّجها حاد من الغورِ حداً (١)
أغنى زفيرُ العاشقين عيسه عن الحدا
أرعي الحمولَ ناظراً وألزم القلبَ يداً (٢)
وأطرُدُ الطرفَ على آثارهم ما أنظرَدا
مذ أوقدوا بأضائي جمر الغضا ، ما أخمدا (٣)
ومذ أذابوا ماء عيني بالآسى ، ما جمداً
يا هل أرى ، من حاجةٍ حقف النقا والجمداً (٤)
وحيثُ سال الرملُ عن جرعائه ، وانعقدا (٥)
وهل أعيدُ ناظراً يتبعُ سرِّباً مُنجداً (٦)
يمشِينَ هزاتِ القنا مال وما تقصدا
هل نأشدُّ ينشدُّ لي ذاك الغزالَ الأغيذاً
ما ضلَّ عني ، إنما ضلَّ بقائي حكماً (٧)

(١) الغور : اسم لعدة مواضع .

(٢) الحمول : الهزادج

(٣) الغضا : شجر ، خشب صلب ، يبقى مدة طويلة كي يصبح رماداً

(٤) الحقف : الموج من الرمل ، النقا : القطعة من الرمل ، الجمدا : جبل بنجدا .

(٥) الجرعاء : هضبة فيها قسم من الرمل

(٦) منجداً : آتياً نجداً .

(٧) ضلَّ بقائي : أي أضله

رَهْنَتُهُ قَلْبِي ، وَمَنْ يَرَهْنُ قَلْبًا أَبَدًا
 يَا مُنْجِزًا وَعِيدَهُ وَمَا طَلَّ مَا وَعَدَا
 أَرَاكَ مِنِّي أَقْرَبًا وَإِنِّ غَدَوْتَ أَبْعَدَا
 عَذَّبْتَ قَلْبِي غَنَاتًا وَالطَّرْفُ لَا الْقَلْبُ بَدَا (١)
 رَبِّ ثَنَايَا بَرَدَتْ لَدَيْ جَوِّي مَا بَرَدَا (٢)
 يَا حَرَّ قَلْبٍ مِنْ سُقْيِي رِضَائِهِنَّ الْإِبْرَدَا !
 لَمْ يَدْرِ هَلْ ذَاقَ بِهَا جَهْرَ غَضًّا أَوْ بَرَدًا ؟
 يَا كَبِيدِي تَجَلَّدَا ! فَمَا أَطِيقُ الْجَلْدَا !
 عَسَى فَوَادِي يَرْعَوِي رَبِّ مُضَلٍّ وَجِدَا

غريد وبالك

مُجَرِّي النِّسِيمِ عَلَى مَاءِ الْغَنَاقِيدِ
 وَعَلِّي بِالْأَمَانِي كُلِّ مَعْمُودٍ (٣)
 يَا تَفْحَةَ هَزَّتِ الْأَحْشَاءُ شَائِقَةً
 وَذَكَرَتْ تَفْحَاتِ الْخُرْدِ الْغَفِيرِ !

(١) غنات : خطأ .

(٢) الجوى : الحرقفة وشدة الوجع .

(٣) المعمود : الذي هذه المشق

يضمها الليل في أشاء غيبه
والقطر يلمس أطراف الجلاميد
كأنها عن طريق المزن طائشة
لحظ تردده أجفان مزوود (١)
ليت الأحياء أغرين الرياح بنا
وإن تأين على شحط وتبعيد
وليتهن ، على يأس اللقاء لنا
علمن بالوعد سير الضمير القود
أيت والليل مبثوث حبائله
والوجد يقنص مني كل مجاود
شوقاً اليك ، وإشفاقاً عليك ، ولي
دمعان ما بين محاول ومعتود
ليس الغريب الذي تدأى الديار به
إن الغريب قريب غير مودود
يا طائر الهان ، ما غربت عن سكن
يوماً ، ولا كنت عن مأوى بطرود

وَأَنْتِ فِي ظِلِّ أَفْنَانٍ مُهْدَلَّةٍ

تَحْنُو عَلَيْكِ بِقِنْوَانٍ الْعَنَاقِيدِ (١)

مَلَأَتْ عُشَّكَ طَعْمًا غَيْرَ مُخْتَلَسٍ

بَلَا رَقِيبٍ وَوَرْدًا غَيْرَ تَصْرِيدٍ (٢)

تَبْكِي ، وَمَا لَكَ مِنْ إِيْفٍ فَجِئَتْ بِهِ

وَلَا لُؤَيْتَ ، عَلَى بُعْدٍ ، بِمَوْعِدٍ (٣)

ظَلِمْتَ ، مَا أَنْتَ مِنْ هَمٍّ وَلَا كَمْدٍ

إِنَّ الْعَلِيلَ لَقَلْبٌ عَادَهُ عَيْدِي (٤)

أَنَا الَّذِي إِنْ بَكَى وَجَدَا ، فَحَقَّ لَهُ

كَمْ بَيْنَ بَاكِ مِنَ الْبَلَوَى ، وَغُرَيْدٍ !

حديث المضاجع

وَقَفْتُ بِرَبْعِ الْعَامِرِيَّةِ وَقَفَّةً

فَمَزَّ اشْتِيَاقِي ، وَالدَّمْعُ خَوَاضِعُ (٥)

(١) الأفنان : الأغصان .

(٢) التصريد السقي دون الري

(٣) لؤيت : أي ما طل

(٤) عاده : اتنابه . العيد : ما يتناوب الإنسان من هم أو مرض أو حزن .

(٥) عز : أي قوي .

وكم ليلاةٍ بتنا على غير ريبة

علينا عيونٌ للنهى ومسامعُ (١)

نفضُ حديثاً عن ختام مودة

معاقلها أحشاؤنا والأضالعُ (٢)

يكاد غرابُ الليل ، عند حديثنا

يطيرُ أدتياحاً، وهو في الوكرِ واقعُ

خلونا فكانت عفةٌ لا تعفُ (٣)

وقد رُفمت في الحيِّ عنّا الموانعُ

سأبوا مضجعي عني وعنّها ، فإننا

رضينا بما يُخبرنَ عنّا المضاجعُ

عائر الدموع

حاجةٌ للمتيمِّمِ المُشتاقِ (٣)

فبلاغُ السلامِ بعضَ التلاقي

أنَّ قاي اليه بالأشواقِ

أيُّها الراحِ المغيذُ تحمّلُ

أقر عني السلامَ أهلَ المصلّى

وإذا ما مررت بالحيِّف فاشهدْ

(١) النهى : العقل ..

(٢) الختام : ما يختم به على الشيء ..

(٣) المغذ : المبرع في السير ..

وَإِذَا مَا سُئِلْتُ عَنِّي ، فَقُلْ :

نَضَوُ هَوًى مَا أَظْنَعُهُ الْيَوْمَ بَاقِي (١)

ضَاعَ قَلْبِي فَأَنْشَدُهُ لِي بَيْنَ جَمْعٍ

وَمَنِي عِنْدَ بَعْضِ تِلْكَ الْحِدَاقِ (٢)

وَأَبَاكَ عَنِّي ، فَطَالَمَا كُنْتُ ، مِنْ قَبْلُ

أَعِيرُ الدُّمُوعَ لِلْمَشَاقِ

نَشَوَات

أَسْقِنِي ، فَالْيَوْمَ نَشَوَانُ وَالرَّبِّي صَادٍ وَرَبَّانُ

كَفَلْتُ بِاللَّهِ وَافِيَةً لَكَ نَيَاتٌ وَعِيدَاتُ

حَارَ وَفَدُ الرِّيحِ فَالْتَطَمَتْ مِنْهُ أَوْرَاقٌ وَأَغْصَانُ

كُلُّ فَرْعٍ مَالٍ جَانِبُهُ فَكَأَنَّ الْأَصْلَ سَكْرَانُ

وَكَأَنَّ النُّحْصَنَ ، مُكْتَسِيًّا مِنْ بَيَاضِ الطَّلِّ ، عُرْيَانُ

كَلَّمَا قَبَلْتُ زَهْرَتَهُ خَلْتُ أَنَّ الْقَطْرَ غَيْرَانُ

وَمَقِيلٍ بَيْنَ أَخْبِيَةِ قَلْبُهُ ، وَالْحَيُّ قَدْ بَانُوا (٣)

(١) النضو : الميزول .

(٢) الحدّاق : الاحداق .

(٣) المقيل : نومة تمتد النهار ، الاخبية : جمع غباء .

في أصحباب ، مفارشهم
 عسكرت فيها السحاب كما
 فارتشفنا ريق سارية
 فأسقني ، والوصل يألقي
 قهوة ما زال يقلق من
 غير سمي للام ، إذا
 رب بدر بت الثمة
 قدت خيل اللثم أصر فيها
 لي ندير من ممة بانه
 في قميص الليل عفة من
 كيف لا تبلى غلايلة
 وتدامى كالنجوم سطو
 خطرنا ، والخر تنفضهم
 كم تخلت من ضائرهم
 ثم ، أنقاء وكتبان (١)
 حط بالبيداء ركبنا
 حيث الأرض غدران (٢)
 إن يوم البين قرحان
 مجتناها المسك والبان
 صاح ساجي الصوت مرنان (٣)
 صاحبا ، والبدار نشوان
 حيث ذاك الخد ميدان
 ومن الصدين بستان (٤)
 ظن أن الوصل كتمان
 وهو بدر ، وهي كتان
 بالمني ، والدهر جذلات
 وذبول القوم أردان
 ثم ألباب واذهان

(١) الانقاء : جمع النقا ، وهو القطعة المحدودة من الرمل .

(٢) السارية الغمامة

(٣) الساجي : الساكن

(٤) المقبل : الثغر .

كلُّ عقلٍ ضاع من يقظٍ فهو في الكاسات خيرانُ
 إنما ضللت عقولهم حيث يُعييهم وجدانُ
 فاختلس طعم الزمان بها إنما الأيام أقرانُ ١

سيف العفة

تضاجعني الحسناءُ ، والسيفُ دوتها
 ضجيمان لي والعصْبُ ادناهما مني
 إذا دنت البيضاءُ مني لحاجةٍ
 أبى الأبيضُ الماضي وما طَلَّها عني
 وإن نام لي في الجفنِ إنسانٌ ناظرٌ
 تيقظ عني ناظرٌ لي في الجفنِ (٢)
 أغرت فتاةً الحيَّ مما أَلَفْتُهُ
 أغفلته دونَ الشعارِ من الضنِّ ٣
 وقالت : هبوه ليلةَ الخوفِ ضمه
 فما عذرُهُ في ضمه كيلةَ الأمنِ ؟

(١) الاقران : النظائر

(٢) الجفن الثاني : غمد السيف .

(٣) الضن : أي من الحرص عليه

عذري من الصحراء

يَقَرُّ بعيني ان أرى لك منزلاً
 بنعمان يزكو تربه وَيَطِيبُ
 وأرضاء بنوَارِ الأَقاحي صقيلةً
 تَرَدُّدُ فيها شَمَالٌ وجَنُوبُ
 وأيُّ حبيبٍ غَيَّبَ النَّأيُ شخصه
 وحال زمانٍ دونه وخطوب
 تطاولتِ الأَعلامُ بيني وبينه
 وأصبح نائي الدارِ ، وهو قريبُ ١
 لكِ اللهُ من مَطالوةِ القلبِ بالهوى
 قتيلةِ شوقٍ ، والحبيبِ غريبِ ٢
 أَقلُّ سلامي ، إن رأيتُكَ ، خيفةً
 وأعرضُ كَمَا لا يقال : مُريبُ
 وأطرقُ ، والعينانِ يُومِضُ لحظُها
 إليك ، وما بين الضَّلُوعِ وجيبِ ٣

(١) الأعلام : الجبال .

(٢) مطالوة : مهدورة .

(٣) يومض لحظها : ارجع الضمير الى احدى العينين . الوجيب : الخفكان .

يقولون : مشغوف الفؤاد مشغوع^١

ومشغوفة^٢ تدعو به فيجيب

وما علموا أنّا إلى غير ريبة

بقاه الليالي ، نتهدي ونؤوب

عفاي ، من دون الثقة ، زاجر

وصوتك ، من دون الرقيب ، رقيب (١)

عشقت ومالي ، يعلم الله ، حاجة

سوى نظري ، والعاشقون ضروب

ومالي ، يا كياء ، بالشعر طائل

سوى أن أشماري عليك نسيب

أحبك حباً لو جزيت بيهضه

أطاعك مني قائداً وجنيب

وفي القلب داء في يديك دواؤه

إلا ربّ داء لا يراه طبيب !

سرى لك من اوطانه كل عارض

تضاحك فيه البرق وهو قطوب (٢)

ولا زال خَفَّاقُ النسيم مُرَقِّقًا
عليك ، وأنواءُ الغمامِ تَصُوبُ (١)

لقاء لن يعود

وقف الهوى بي عندها وسرت بقلبي مُقلتاها
بردت عليّ ، كأنما ظلُّ الغمامة عارضاها (٢)
شمسٌ أقبلَ جيدها يومَ النوى ، وأجِلُ فاهها
وأذودُ قلبها ظامئًا لو قيل : وردك ، ما عداها!
ولو استطاع ، لقد جرى مجرى الوشاح على حشاها
يا يومَ مُفترقِ الرفاقِ تُرى تعودُ لملتقاها ؟
قالت : سيطرُك الخيالُ من العقيقِ ، على نواها (٣)
فعمدي بطيفك مُقلّةً إن غبت ، تطمعُ في كراها
انني شربتُ من الهوى حمراء ، صرّف ساقيها (٤)

(١) الانواء : اي الامطار

(٢) الظل : المطر الخفيف . العارضان : صفحتا الخدين

(٣) العقيق : الوادي ، واسم لعدة مواضع بالمدينة .

(٤) حمراء : اي خمرة الهوى الحمراء فهي شهوة ملتبهية

يا سَرَحَةً بالقاع لم يُبَلَّلْ بغير دمي ثراها
 ممنوعة ، لا ظلها يدنو إليّ ، ولا جناها
 أكذا تذوبُ عليكم نفسي ، وما بلغت منهاها
 أين الوجوه أحبها وأودُّ لو أنني قد اهاها
 أمسي لها مُتَقَدِّماً في المائدتين ، ولا أراها
 واهاً ! ولولا ان يلوم اللائمون ، لقلت : آها !

التحرق على الشباب

قال لي عند مُلتقى الركب عمرو :
 قَوْمَ الْعُودُ بعدنا فانصاتا (١)
 أين ذاك الصِّبَا ، وأين التَّصَابِي ؟
 سبقا الطالب المجدِّ وفاتا
 من قضى عُقْبَةَ الثلاثين يغدو
 راجعاً يطلب الصِّبَا ؟ هيهات ! (٢)
 لم تزل ، والمشيَّبُ غير قريب
 ناعياً للشباب حتى ماتا

(١) انصات المنحي : استوت قامته .

(٢) العقبة : النوبة .

كنت تبكي الأحياء ، فاستكثر اليوم

من الدمع ، واندب الأموات

شعوره نحر والدته

من قصيدة يتفجع فيها على والدته

أبكىك ، لو نفع الفليل بكائي

وأقول ، لو ذهب المقال بدائي (١)

وأعوذ بالصبر الجميل تمزيياً لو كان بالصبر الجميل عزائي

طوراً متكاثرني الدموع ، وتارة آوي إلى أكرؤمتي وحيائي

كم عبرة موهتها بأناملي وستررتها ، متجملاً ، بر دائي (٢)

أبدي التجلدد للعدو ولودري بتعلملي ، لقد اشتفى أعدائي

ما كنت أذخر في فداك رغبة

لو كان يرجع ميت بفداء (٣)

لو كان يدفع ذا الحمام بقوة

لتكدست عصب وراء لوائي

بمدر بين على القراع تفيأوا ظل الرماح لكل يوم لقاء

(١) نفع : أروي وشفى .

(٢) متجملاً : متكلفاً الصبر الجميل

(٣) الرغبة : العطاء الكثير .

قومٌ إذا أمرٍ هو بأغْبابِ السُّرى كَحَلَوِ العيونِ بِأَثَدِ الظَّامِ (١)
يَمْشُونَ فِي حِلَاقِ الدُّرُوعِ كَأَنَّهُمْ

صُمُّ الْجَلَامِدِ فِي غَدِيرِ الْمَاءِ
بِبُرُوقِ أَدْرَاعٍ ، وَرَعْدِ صَوَارِمِ

وَعَمَامِ قَسْطَلَةٍ وَوَبْلِ دِمَاءِ (٢)
فَارَقْتُ فَيْكَ تَمَاسُكِي وَتَجَمُّلِي وَنَسِيتُ فَيْكَ تَعَزُّزِي وَإِبَائِي
وَصَنَعْتَ مَا نَلَمَ الْوَقَارَ صَنِيعُهُ

مِمَّا عَرَانِي مِنْ جَوَى الْبُرْحَاءِ
كَمْ زَفْرَةٍ ضَعُفَتْ ، فَصَارَتْ أَنْثَى

أَتَمَّتْهَا بِتَنْفُسِ الصُّعْدَاءِ
كَهْفَانٍ أَزُوفٍ فِي حَبَائِلِ كُرْبَةٍ مَلَكَتْ عَلَيَّ جِلَادَتِي وَغَنَائِي (٣)
وَجَرَى الزَّمَانِ ، عَلَى عَوَائِدِ كَيْدِهِ

فِي قَلْبِ آمَالِي وَعَكْسِ رَجَائِي
قَدْ كُنْتُ أَمَلُّ أَنْ أَكُونَ لَكَ الْفِدَى
مِمَّا أَلَمَّ ، فَكُنْتُ أَنْتِ فِدَائِي

(١) الأَثَدُ : حَجَرٌ لِلْكُحْلِ .

(٢) الْقَسْطَلَةُ : غِبَارُ الْحَرْبِ (٣) الْغَنَاءُ : الْاضْطِلَاعُ بِالْأُمُورِ .

وَتَفَرَّقُ الْبُعْدَاءُ ، بعد مودة
صعب ، فكيف تفرق القرباء
كربلاء !

من قصيدة قالها في ذكرى مقتل الحسين ،
وما أصاب أهل واصحابه في كربلاء :

كربلاء ! لازت كرباً وبلاء !
كم على تربك ، لما صرَّعُوا
كم حصان الذيل يروي دمعها
تمسحُ التُّربُ ، على إعجالها
وضيوفُ الفلاة فقرة
لم يذوقوا الماء حتى اجتمعوا
تكسفُ الشمسُ شموماً منهم
وتنوشُ الوحشُ من أجسادهم

أرجل السبق ، وأيمان الندى (٣)

ووجوهاً كالمصاييح ، فمن قمر غاب ، ومن نجم هوى

(١) الظما : العطش .

(٢) الطلى : جمع طاية وطلاة ، وهي أصل العنق .

(٣) تنوش : تناول .

غَيْرَتُهُنَّ اللَّيَالِي ، وَغَدَا جَائِرَ الْحُكْمِ عَلَيْهِنَّ ، الْبَيْلِي
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، لَوْ عَايَنْتَهُمْ وَهُمْ مَا بَيْنَ قَتْلِ وَسَبِّ :
مِنْ رَمِيضٍ يُنْتَمِعُ الظِّلُّ ، وَمِنْ

عَاطِشٍ يُسْقَى أَنَايِبَ الْقَنَاسِ (١)

وَمَسْوُوقٍ عَاطِرٍ يُسْمَعُ بِهِ خَلْفَ مَحْمُولٍ عَلَى غَيْرِ وَطْأٍ
مُتَعَبٍ ، يَشْكُو أَذَى السَّيْرِ عَلَى

تَقَبِ الْمَنَسَمِ ، مَجْزُولِ الْمَطَا (٢)

كُرَأَتْ عَيْنَاكَ مِنْهُمْ مَنَظَرًا لَلْهَشَّاشِ شَجَوَاءَ ، وَلِلدَّيْنِ قَذَى
لَيْسَ هَذَا لِرَسُولِ اللَّهِ يَا أُمَّةَ الطُّغْيَانِ وَالْبَغْيِ جَزَاءُ !
غَارِسٌ ، لَمْ يَأَلُ فِي الْفَرَسِ لَهُمْ فَأَذَاقُوا أَهْلَهُ مُرَّ الْجَنَى
جَزَ رَوَاهُ جَزَرُ الْأَضَاحِيِّ ، أَسْلَهُ ثُمَّ سَاقُوا أَهْلَهُ سَوَقَ الْأَمَا
مُجَلَّاتٍ لَا يُوَارِيَنَّ ، مُضْحَى

مُسْنَنَ الْأَوْجِهِ ، أَوْ بِيضَ الطَّلَى

(١) الرميض : المتحرق القدمين من الحر .

(٢) النقب : البعير اذا حفي ، المنسم : خف البعير . المجـ زول : البعير في ظهره
دبرة ، اي قرحة .

هَاتِمَاتِ رَسُولِ اللَّهِ فِي

بَهْرِ السَّعْيِ ، وَعَثَرَاتِ الْخُطْبَى (١)

يَوْمَ لَا كَسْرُ حِجَابٍ مَانِعٌ
بِذْلَةَ الْعَيْنِ ، وَلَا ظِلُّ خَبَاءٍ (٢)

أَدْرَكَ الْكُفْرُ بِهِمُ ثَارَاتِهِ
وَأَدِيلُ الْغَيِّ مِنْهُمْ فَاشْتَفَى

يَا قَتِيلًا ! قَوْضَ الدَّهْرِ بِهِ
عَمَدَ الدِّينِ وَأَعْلَامَ الْهُدَى !

قَتَلُوهُ بَعْدَ عِلْمٍ مِنْهُمْ
أَنَّهُ خَامِسُ أَصْحَابِ الْكِسَاءِ (٣)

وَصَرِيحًا عَالَجَ الْمَوْتَ بِلَا
شَدِّ لَحْيَيْنِ ، وَلَا مَدِّ رِدَا

غَسَّلُوهُ بِدَمِ الطَّعْنِ ، وَمَا
كَفَّنُوهُ غَيْرَ بُوْغَاءِ الشَّرَى (٤)

مُرَّهَقًا يَدْعُو ، وَلَا غَوْثَ لَهُ
بَأْبٍ بَرٍّ ، وَجَدٍّ مُصْطَفَى !

وَبَأْمٍ رَفَعَ اللَّهُ لَهَا
عِلْمًا مَا بَيْنَ نِسْوَانِ الْوَرَى

أَيُّ جَدٍّ وَأَبٍ يَدْعُوهُمَا ؟
جَدٍّ ، يَا جَدٍّ ! أَغْنِي ! يَا أَبَا !

يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا فَاطِمَةَ
جَدٍّ ، يَا جَدٍّ ! أَغْنِي ! يَا أَبَا !

يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الْمُرْتَضَى
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، يَا فَاطِمَةَ

(١) البهر : جمع البهرة ، وهي هنا وسط النهار .
(٢) بذلة العين : امتحان النفس ، وقلة صونها ، والبذلة في الأصل ، مالا يصان من الثياب .

(٣) أصحاب الكساء : النبي محمد صلى الله عليه وسلم وعلي وفاطمة والحسن والحسين
خامسهم لأنه كان آخر من التف بالكساء معهم . قيل لهم ذلك لانقافهم بالكساء
الياني عند فاطمة ، ولقول النبي حين ذاك : هؤلاء عترتي واهل بيتي .

(٤) البوغاء : التربة الرخوة .

كَيْفَ لَمْ يَسْتَجِبْ لِلَّهِ لَهُمْ

بِانْقِلَابِ الْأَرْضِ، أَوْ رَجْمِ السَّمَاءِ؟ (١)

* *

حَمَلُوا رَأْسًا يُصَلُّونَ عَلَى
يَتَهَادَى بَيْنَهُمْ ، لَمْ يَنْقُضُوا
مَيِّتٌ تَبْكِي لَهُ فَاطِمَةُ
لَوْ رَسُولُ اللَّهِ يَحْيَا بَعْدَهُ
يَا جِبَالِ الْمَجْدِ عِزًّا وَعُكْلًا
جَعَلَ اللَّهُ الَّذِي نَابَكُمْ
لَا أَرَى حُزْنَ نَكَمٌ يُنْسَى، وَلَا
قَدْ مَضَى الدَّهْرُ، وَعَفَى بَعْدَكُمْ
جَدُّهُ الْأَكْرَمَ طَوْعًا وَإِبَاءً
عَمَّهمْ أَلْهَامٌ، وَلَا حَلُّوا الْحَبْيَ
وَأَبُوها ، وَعَلَى ذُو الْعُلَى
قَعَدَ الْيَوْمَ عَالِيَهُ لِلْعِزِّ
وَبُدُورَ الْأَرْضِ نُورًا وَسُنًّا
سَبَبَ الْوَجْدِ، طَوِيلًا، وَالْبُسْكَ
رُزْءَ كَمْ يُسَلَى، وَإِنْ طَالَ الْمَدَى
لَا الْجَوِي بَاخٌ، وَلَا الدَّمْعُ رَقَا (٢)

•

(١) رجم السما : أي ترجمهم السماء بشيها

(٢) باخ : سكن رقاً الدمع : انقطع جريانه

راحل أنت

من قصيدة قالها في عاشوراء سنة ٣٨٧ هـ (٩٩٨)

راحل أنت ، والليالي تزول^١ ومُضِرٌّ^٢ بك البقاء الطويل^٣
لا شجاع^٤ يبقى فيعتنق^٥ البيض

ولا أمل^٦ ولا مأمول^٧
غاية الناس في الزمان فناء^٨ وكذا غاية الفصون الذبول^٩
انما المرء^{١٠} للمنية^{١١} مخبوء^{١٢} وللاطن تستجيم^{١٣} الخيول^{١٤}
من مقل بين الضلوع ، الى طول

عنا^{١٥} ، وفي التراب مقل^{١٦} (٢)
فهو كالغيم^{١٧} ألنمت^{١٨} جنوب^{١٩}
يوم دجن^{٢٠} ، ومزقته قبول^{٢١} (٣)
يتناءى خيل^{٢٢} ، ومبكي طلول^{٢٣}
والليالي عون^{٢٤} عليك مع البين^{٢٥}
كما ساعد^{٢٦} الدوابل طول^{٢٧} (٤)
ربما وافق^{٢٨} الفتى من زمان^{٢٩}
فرح^{٣٠} ، غيره^{٣١} به متبول^{٣٢} (٥)

(١) تستجيم : تستريح .

(٢) مقل بين الضلوع : مقل النفس في الجسم .

(٣) القبول : ريح الصبا تأتي من الشرق .

(٤) الدوابل : الرماح .

(٥) متبول : مبتلى ، مذهب بمقله .

هي دنيا ، ان واعلت ذا ، جفّت

هذا ملالاً ، كأنها مُعطبولُ (١)

كلُّ ثباكٍ ، يُبكي عليه ، وإن طال بقاءُ ، والتماكلُ المشكولُ

والأُماني حَسرةٌ وعناءٌ للذي ظنَّ أنها تعليلُ

ما يُبالي الحمَامُ أين ترقى بهدماغات ابن فاطمَ غولُ (٢)

أيُّ يومٍ أدمى المدامَ فيه حادثٌ رائمٌ وخطبٌ جليلٌ ؟

يومٌ عاشوراءَ الذي لا أعان

الصَّحْبُ فيه ، ولا أجار القبيلُ (٣)

يا ابنَ بنتِ الرسولِ ، ضيّعتَ العهدَ

رجالٌ ، والحافظون قليل

ما أطاعوا النبيَّ فيك ، وقد

مالت بأرماحهم اليك الذُحولُ (٤)

وأحالوا على المقاديرِ في حربِكَ

لو أنَّ عُذرَهم مقبولُ

(١) العطبول : المرأة الفتية الجميلة .

(٢) الغول : الهلكه والداهية .

(٣) القبيل : الجماعة

(٤) الذحول : جمع ذحل ، وهو الثَّار أو طلب مكافأة بجنابة ، أو العداوة والحقد .

واستقالوا من بعد ما أجلبوا فيها، أَلَا نَ أَيْهَا الْمُسْتَقِيلُ؟ (١)
إِنَّ أَمْرًا قَنَعْتُ ، مِنْ دُونِهِ ، السَّيْفُ

لَمَنْ حَازَهُ لِمَرْعَى وَبَيْلُ (٢)
يَا حُسَامًا ، فَلَتَّ مَضَارِبُهُ الْهَامَ
وَقَدْ كَفَّلَهُ الْحُسَامُ الصَّقِيلُ !

يَا جَوَادًا ، أَدْمَى الْجِيَادَ مِنَ الطَّمَنِ
وَوَلَّى وَنَحَرُهُ مَبْلُولُ !

حَجَلُ الْخَيْلِ مِنْ دِمَاءِ الْأَعَادِي
يَوْمَ يَبْدُو طَمَنٌ ، وَتَحْقَى حُجُولُ (٣)
يَوْمَ طَاحَتْ أَيْدِي السَّوَابِقِ فِي النَّقْعِ
وَفَاضَ الْوَنَى ، وَغَاضَ الصَّهِيلُ

أَمْتَرَانِي أَلَذُّ مَاءً ، وَلَمَّا
يُرَو ، مِنْ مُهْجَةِ الْإِمَامِ ، الْفَلِيلُ ؟ !
أَمْ تَرَانِي أُعِيرُ وَجْهِي صَوْنًا
وَعَلَى وَجْهِهِ تَجُولُ الْخِيُولُ ؟ !

(١) اجلبوا : تجمعوا من كل وجه للحرب .

(٢) قنعت بالسيف : غطي رأسك به ، أي ضرب به .

(٣) حجل : خضب . الحجول : البياض في قوائم الفرس .

خطأ وصواب

صفحة	سطر	خطأ	صواب
١٦	٢٣	سوى	إلا
١٧	١٣	يدلو	يدلي
١٩	١	ما . ما	ما . ما
٢١	٦	ذلك السن المبكر	تلك السن المبكرة
٢٢	١	ببضع	ببضعة
٢٣	١٧-٨	رأينا من انها ، به	رأينا انها - بها
٢٦	٢٠	رجلا	رجل
٢٨	٨	اعدائه	اعدائه
٣٦	٨	الاخشيدين	الاخشيديون
٣٨	١٤	ابا العشائر	أبي العشائر
٤٣	٣٠-١٤	كبريائه ، شاعراً	كبرياؤه ، شاعر
٤٧	٧-٤	ابو فراس ، ابو العشائر ، وراءه	ابو فراس ، ابي العشائر ، ورائه
٥٦	٥-٤	ينجو - امرائها	ينج - امرؤها
٥٧	١١	اشهر ثلاث	اشهراً ثلاثة
١١٠	١٠	العددية	العديدة
١١١	١١-٦	اثر ، خطوط	اثراً ، خطوطاً
١١٢	٨	مظهرأ	مظهر
١١٣	١٧	تشويهاً ، فظيماً ، كريهاً ، بغضياً بتشويه ، فظيع ، كريه ، بغيض .	
١١٥	٢١-١٠	عصر - الفصاحة	عصره - الفضفاضة
١١٦	١٣	مناهجنا	منهاجنا

صفحة	سطر	خطأ	حواب
١٢٠	٥ - ٧	الحيا ، شأننا هاماً	الحياة ، شأن هام
١٢١	٣	اتفاقاً	اتفاق
١٢٣	٢١	مسعاً آخرأ	مسعى آخر
١٢٥	١٨، ٥، ٢	لكنه ، ادباءها ، امثلة	لكن ، ادباءها ، الأمثلة
١٢٧	١٧	متعب	متعباً
١٢٨	١٣	الاخيرة	الاخير
١٣٠	٨	الى سلطة	لسلطة
١٣١	٨	فيما	ما
١٣٦	١٠ - ٣٠	المعري ، وليس	كان المعري ، وليسوا
١٤١	١٠	الذي	الذين
١٤٣	١٢	سوى	إلا
١٤٨	٢٢	اطلاعاً واسعاً	إطلاع واسع
١٤٩	١٥	نثراً ، اثرأ ، طريفاً ، خالداً	نثر ، اثر ، طريف ، خالد
٢٣٣	٢	ام يمدح	ام انه يمدح
٢٣٦	١٥ - ٦	ابنائها ، ابو	ابناءه ، ابي
٢٣٩	١٦	منذ	من
٢٤٨	٥	رأياً	رأي
٢٥٧	١٢	يسبحن ، من العطرأ	يسبحن ، من العطر
٢٥٩	٤	ليغني	وليغن
٢٦٣	٣	ابتلي	ابتلي

فهرس

صفحة	
٢	مقدمة
	المتني
١١	دراسة
	مختارات شعرية
٥٩	المدح
٧٧	الهجاء
٨٢	الثناء
٩٥	الفخر
١٠٤	الحكم والامثال
	المعري
١٠٧	دراسة
١٥٠	رسالة الغفران
١٩٦	منتخبات متفرقة
٢١٢	الفساد
٢٢٢	السعادة
	الشريف الرضي
	دراسة
٢٧١	منتخبات شعرية